

اللهم نجِّ المستضعفين من المؤمنين في
كل مكان ، اللهم الطف بِـ أمة نبيِّك
محمد ﷺ وارحمها وفرّج كربتها



السِّيرَةُ النَّبَوِيَّة

بِرِوَايَةِ الإِمَامِ مُسْلِم

تأليف

الدُّكتور رِياض هاشِم هادِي

صلى الله عليه وسلم

محمد

دار الكتب العلمية

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

DKi

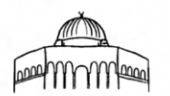
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان

Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon

Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban



تأليف
الدكتور رياض هاشم هادي



اللهم نجِّ المستضعفين من المؤمنين في
كل مكان ، اللهم الطف بِ أمة نبيِّك
محمد ﷺ وارحمها وفرِّج كربتها





الكتاب: السيرة النبوية برواية الإمام مسلم

Tittle: AS-SĪRA AN-NABAWIYYA
BIRIWĀYAT AL-'IMĀM MUSLIM

التصنيف: سيرة نبويّة

Classification: Prophetic Biography

المؤلف: الدكتور رياض هاشم هادي

Author: Dr. Riyadh Hashim Hadi

الناشر: دار الكتب العلميـــة - بيــروت

Publisher: Dar Al-Kotob Al-ilmiyah - Beirut

Pages	272	عدد الصفحات
Size	17 x 24 cm	قياس الصفحات
Year	2019 A.D. - 1440 H.	سنة الطباعة
Printed in Lebanon		بلد الطباعة لبنـــان
Edition 1st		الطبعة الأولى

sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
http://www.al-ilmiyah.com



اللهم نجِّ المستضعفين من المؤمنين في كل مكان ، اللهم الطف بِـ أمة نبيّك محمد ﷺ وارحمها وفـرّج كربتها

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Est. by Mohamad Ali Baydoun
1971 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ٨١٠/١١/١٢ ٨٠٤ ٥ ٩٦١+
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+
ص.ب: ٩٤٢٤-١١ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

قال الله ﷻ في نبيه (عليه الصلاة والسلام) يمدحه:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: 4]، ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 71].

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ۝٢١﴾ [الأحزاب: 21].

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾ [الأنبياء: 107].

الحمد لله حمداً يوازي نعمه والصلاة والسلام على نبينا الهادي المصطفى الخاتم وعلى آل بيته الأخيار وعلى صحابته الأطهار ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

مما سبق بيانه من آيات بينات إضافة إلى العديد منها يتبين لنا بوضوح أن الله ﷻ قد قدم هذه الآيات وبين فيها بأن طاعته مقرونة في طاعة نبيه ورسوله محمد (عليه الصلاة والسلام) وجعل اتباع نبيه ورسوله والاقتداء به وبهديه باباً إلى رضوانه ﷻ ودخول جنته. كما قرن عصيان رسوله محمد (ﷺ) وترك سنته باباً إلى سخطه وغضبه ودخول جهنم وبئس المصير أعاذنا الله ﷻ منها وإياكم.

وعلى ضوء ذلك عمد علماء الإسلام الأجلاء إلى دراسة السيرة النبوية والبحث فيها وقضوا جل أوقاتهم في التنقيب في سيرة الرسول محمد (عليه الصلاة والسلام). بل أفرد العديد منهم باباً خاصاً في مسنده أو صحيحه للحديث عن سيرة الرسول (عليه الصلاة والسلام) في كتاب السير والمغازي والمميز عندهم أنهم أخضعوا هذه الروايات لعلم الجرح والتعديل فجاءت هذه الروايات سليمة ودقيقة وتصل إلى درجة القبول والدقة والحجة لا سيما تلك التي جاءت

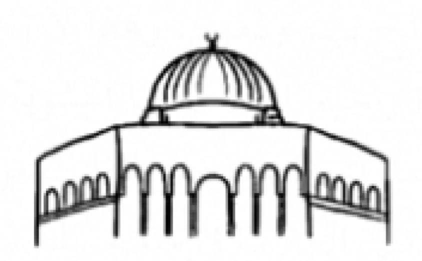
في صحيحي الإمامين البخاري ومسلم (رحمهما الله).

إلا أن المشكلة في كتابات أهل السنن والصحاح هي تناثر الروايات المتعلقة بحياة رسول الله (ﷺ) على أبواب عدة وأوردوها حسب الحاجة الفقهية إليها، مما يجعل القارئ لسيرة الرسول (عليه الصلاة والسلام) يقرأ كل صحيحي البخاري أو مسلم (رحمهما الله) من أجل الاطلاع على الروايات ذات العلاقة بسيرة الرسول (ﷺ) وكذا الحال مع بقية كتب السنن فهم بذلك يخالفون أصحاب المنهج التاريخي الذين كتبوا سيرة رسول الله محمد (ﷺ) ابتداء من الميلاد وإلى الوفاة بتسلسل زمني وفق الأحداث التي مرت بحياة رسول الله محمد (ﷺ). وهذا سهل على القراء الذين يريدون الاطلاع على سيرة نبيهم (ﷺ). مثل ابن إسحاق في كتابه السير والمغازي والواقدي في كتابه المغازي وابن سعد في كتابه الطبقات الكبير والبلاذري في كتابه الأنساب إلا أن المشكلة تكمن في أن أصحاب المنهج التاريخي لا يعولون أحياناً كثيرة في نقل أخبارهم على الدقة والموضوعية وصحة الخبر مما أوقعهم في الكثير من المشاكل مع أصحاب السنن والصحاح الذين اعتمدوا أسلوباً ومنهجاً مغايراً لهم في تقديم سيرة الرسول محمد (عليه الصلاة والسلام).

ويأتي ما كتبه الإمام مسلم (رحمه الله) في سيرة الرسول (ﷺ) بعد الإمام البخاري (رحمه الله) من أفضل كتب أصحاب السنن حيث خص كتاباً سماه المغازي ثم أفرد أبواباً في ذلك واعتمد في عرض مادته على الرواية السليمة وأخضعها إلى علم الجرح والتعديل حالها حال الروايات الأخرى التي جمعها في صحيحه. إلا أنها كانت متداخلة مع مواضيع أخرى يصعب على القارئ العامي الاطلاع عليها والبحث فيها. فكان لا بد من العمل على جمع هذه الروايات وإفرادها في كتاب خاص بها يطلق عليه السيرة النبوية برواية الإمام مسلم (رحمه الله). وقد استغرق ذلك فترة من الزمن وها نحن نحاول الآن وبحمد الله جمع هذه الروايات وعرضها في خطة علمية منهجية أكاديمية تتوافق مع العصر الزمني لحياة الرسول (ﷺ) وهذه الروايات وبلا أدنى شك هي من أصدق الروايات التي تتحدث عن حياة الرسول (ﷺ)، كما فعلنا سابقاً عندما استخرجنا السيرة النبوية برواية الإمام البخاري (رحمه الله).

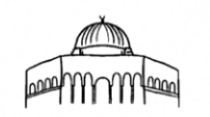
ونسأل الله سبحانه وتعالى أن نكون موفقين في ذلك وأن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه تعالى. وأن تعم به الفائدة على جميع المسلمين من الذين يحبون الله ﷻ ويحبون الرسول محمداً (ﷺ)، وأن يكون هذا العمل قربة لوجه الله ﷻ.

الباحث
مدينة الموصل/ العراق
جمادى الأولى ١٤٣٤هـ
آذار/ ٢٠١٣م



اللهم نَجِّ المستضعفين من المؤمنين في كل مكان ، اللهم الطف بِ أمة نبيِّك محمد ﷺ وارحمها وفرِّج كربتها

لَا غَالِبَ إِلَّا اللَّهَ



اللهم نجِّ المستضعفين من المؤمنين في كل مكان ، اللهم الطف بِ أمة نبيّك محمـد ﷺ وارحمها وفـرّج كربتـا

الهدف من العمل

إن من الأسباب التي دعت إلى جمع روايات السيرة النبوية من كتاب صحيح مسلم (رحمه الله) هو الحاجة إلى كتاب سليم ونقي في عرض وقائع السيرة النبوية، حيث إن جميع مؤلفات أصحاب المنهج التاريخي لاتخلو البتة من روايات غير سليمة، في حين أن أصحاب السنن قام منهجهم في عرض رواياتهم على علم الجرح والتعديل فأصبح بالإمكان اعتماد روايات السيرة النبوية عندهم. بل أصبح بالإمكان عقد مقارنة بين ما قدمه أصحاب السنن وأصحاب المنهج التاريخي. والذي في حقيقته قد يكون مطابقاً في الكثير من الفقرات إلا أن أغلب القراء قد لا يثقون فيما يقدمه أصحاب المنهج التاريخي. بل قد يذهب البعض منهم من باب التطرف إلى القدح بهم وذمهم. وهذا لا يجوز البتة فهم جزاهم الله خيراً قدموا لنا أعظم سيرة تاريخية نادرة عرفتها البشرية لحد الآن لنبي من أنبياء الله عز وجل وهو النبي الخاتم محمد (ﷺ) وعليه وجدنا أن من الضروري تقديم ما قدمه شيخ الإسلام وإمام المحدثين العلامة الإمام مسلم (رحمه الله) من خلال كتابه الصحيح وفق الطريقة الآتية:

1. جمع كل الروايات التي قدمها الإمام مسلم (رحمه الله) في صحيحه ذات العلاقة بالسيرة النبوية حصراً.
2. ثم عرض جميع هذه الروايات وفق الترتيب الزمني لأحداث السيرة وليس حسب تسلسلها الفقهي.
3. توثيق هذه الروايات إذا كان ذلك بالإمكان من خلال ما قدمه الإمام البخاري وعقد مقارنة ما بين كلتا الروايتين.
4. قد يصاغ إلى مقارنة مع بعض ما قدمه أصحاب المنهج التاريخي وفي مقدمتهم ابن إسحاق في كتابه السير والمغازي أو من كتاب السيرة النبوية الذي وصلنا برواية ابن هشام كاملاً أو غيرهم.

حتى يتبين للقارئ الكريم مدى الملائمة والتطابق والاختلاف إن كان هناك اختلاف أو تطابق.

فإن الهدف من هذه الدراسة هو الوصول إلى رواية سليمة للسيرة النبوية من خلال ما قدمه أصحاب الصحاح وهم بلا أدنى شك أوثق من كتب في سيرة الرسول محمد (عليه الصلاة والسلام). وقد تكون مثل هذه الدراسات بداية للوصول بأحداث السيرة النبوية إلى قمة الكمال في الصدق والدقة والنقاوة وإبعاد أحداث السيرة النبوية من التهويل والتزييف والمغالطة. لأننا نعيش في عصر التقدم العلمي الذي لا يقبل إلا ما كان صالحاً سليماً، وليس بالإمكان إقناع المتلقي بسهوله. فلا بد من درج الحقائق كاملة سليمة.

ففي عرض وقائع السيرة النبوية وفق هذا المنهج السليم الخالي من كل ما هو يسيئ إلى السيرة النبوية وصاحبها. تصبح هذه السيرة عند ذاك منهاج عمل في حياتنا اليومية نحن المسلمين ويكون نفوذها الروحي قد أصبح مهيمناً على مشاعرنا وأحاسيسنا وضمائرنا وسلوكنا اليومي لنا ولأبنائنا ولزوجاتنا ولأحفادنا. وهذا لا يتحقق ولا يتم إلا عندما نقدم سيرة رسولنا (ﷺ) كاملة سليمة صحيحة في كل أمر من أمور حياته الخاصة والعامة وجعلها منهجاً ونبراساً ويجب أن ننظر إليه لا على أنه صاحب دعوة ووحي من الله فقط بل ننظر إليه على أنه الهادي البشير إلى الحياة السعيدة الكاملة السليمة المبنية على منهج رباني. لأن رسالة الرسول محمد (عليه الصلاة والسلام) هي رسالة عالمية تصلح كمنهج حياة للمسلمين والبشرية قاطبة لكل زمان ومكان وهي غير مقتصرة على أمة دون غيرها أو زمان دون غيره فهي صالحة لكل زمان ولكل مكان فهي رسالة عالمية محضة.

كما أن أصحاب الصحاح والسنن ذهبوا في عرض رواياتهم عن حياة الرسول (عليه الصلاة والسلام) إلى التقديم والتأخير في عرض الرواية الواحدة أو الحدث المنفرد وهذا بحد ذاته يحدث عند القارئ الكريم مشكلة كبيرة في كيفية الوصول إلى التسلسل الزمني للحدث وهو يريد أن نستعرض أمامه أحداث السيرة حسب تسلسلها الزمني وليس الفقهي لأن ذلك قد يشتت أفكاره. ويفقد عند ذاك وحدة الموضوع ويتشتت عنده الهدف من قراءة السيرة النبوية.

فكان لا بد والحالة هذه من العمل على إخراج كافة الروايات المتعلقة بسيرة

الرسول (عليه الصلاة والسلام) من كتاب صحيح الإمام مسلم مثلاً ثم العمل على جمعها ثم تبويبها وفق تسلسلها الزمني وهذا بحد ذاته جهد كبير يتطلب فترة طويلة من الزمن ولا يتم هذا العمل بأيام أو أشهر بل قد يتطلب ذلك ما يزيد على سنة ومع ذلك تم الأخذ بالفكرة وتم إنجاز العمل بعون الله ﷻ مع حرصنا الشديد على تطبيق المنهج العلمي الأكاديمي في جمع الروايات وتبويبها ثم عرضها بشكلها المنطقي القائم على التسلسل الزمني للحدث من دون الإساءة إلى مفهوم النص أو الحدث أو التلاعب به.

منهج العمل

مما لا شك فيه أن الكتابة في سيرة الرسول محمد (عليه الصلاة والسلام) لهي من أسمى الأعمال بعد الاشتغال بالقرآن الكريم دراسة وتفسيراً واستخراجاً للأحكام. وعليه فمن الصعوبة أن نقدم شيئاً جديداً للقارئ المسلم في كتابة السيرة النبوية إذا اعتمدت المناهج السابقة في جمع الروايات وتقديمها كما هي من دون تعليق أو شرح أو نقد:

فعندما يحاول أي باحث أن يستخرج روايات السيرة النبوية ذات العلاقة بحياة الرسول (عليه الصلاة والسلام) من كتب الصحاح والسنن حصراً سوف تظهر أمامه مشكلة كبيرة وهي عدم التبويب في عرض الأحداث المتعلقة بحياة الرسول (عليه الصلاة والسلام) فهناك تقديم وتأخير شديد في عرض الأحداث مما قد يربك الباحث ويفقده عند ذاك متعة الاستفادة من أحداث السيرة النبوية والسيطرة عليها وكذا الحال بالنسبة للقارئ الكريم.

ومن هنا كان لا بد من استخدام منهج علمي رصين يقوم على عرض الروايات المتعلقة بسيرة الرسول محمد (عليه الصلاة والسلام) على اساس التسلسل الزمني للحدث دون أن يفقده مكانته وأهميته وهذا المنهج سيدفع بالباحث إلى التقديم والتأخير في عرض روايات أصحاب الصحاح والسنن بحيث يجعلها تنسجم مع مسار حياة الرسول (عليه الصلاة والسلام) وليس في ذلك أي إشكال أو خرق لما قدمه أصحاب الصحاح والسنن فيما يتعلق بسيرة الرسول (عليه الصلاة والسلام).

فلما كان منهج العمل يقوم على استخراج سيرة سليمة من خلال جمع روايات السيرة من عند الإمام وشيخ المحدثين مسلم (رَحِمَهُ اللَّهُ) ثم عرض هذه الروايات كسيرة صحيحة سليمة تنسجم مع عصرنا المتقدم في معطياته الحضارية، فكان لا بد من استخدام التبويب في عرض هذه الروايات فحصل نوع من التقديم والتأخير قد يكون بشكل ملفت للنظر. إلا أن الباحث هنا لم يحاول أبداً تعديل الروايات أو اضافة أي معلومة إليها. لأن ذلك يخالف منهج العمل في هذه الدراسة أولاً ثم إنه مخالف للبحث العلمي المنهجي الذي يعتمد الأمانة في عرض الروايات. ثانياً ثم إضافة إلى ذلك أن ما قدمه الإمام مسلم (رَحِمَهُ اللَّهُ) في صحيحه عدته الأمة الإسلامية أصح كتاب في السنة النبوية بعد كتاب صحيح البخاري (رَحِمَهُ اللَّهُ) ويأتي كليهما بعد القرآن الكريم. فكتب الصحاح والسنن والمسانيد تعد عند المسلمين المصدر التشريعي الثاني بعد القرآن فالمنهج الذي اعتمد في هذا العمل يقوم على جمع الروايات كما أوردها الإمام مسلم (رَحِمَهُ اللَّهُ) ثم اعتماد المقارنة مع ما قدمه الإمام البخاري (رَحِمَهُ اللَّهُ) في صحيحه ثم تقديم بعض الشروحات التي قدمها الإمام النووي (رَحِمَهُ اللَّهُ) على أحداث الروايات التي قدمها الإمام مسلم قدر المستطاع وإذا كان ذلك متيسراً أثناء العمل.

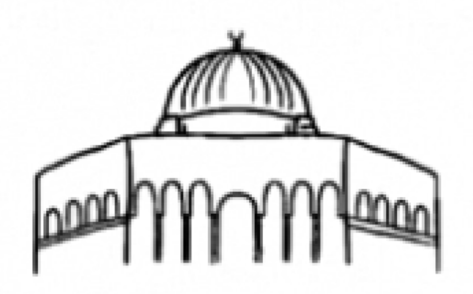
وقد حاول الإمام النووي (رَحِمَهُ اللَّهُ) توضيح الكثير من تلك الأحداث ذات العلاقة بالسيرة النبوية. فهو لم يقف عند الشرح والتعليق لهذه الأحداث بل قام بشرح الصحيح كاملاً جزاه الله خيراً. كما فعل الإمام أحمد بن حجر العسقلاني عندما شرح صحيح الإمام البخاري في كتابه عمدة القارئ فمنهج البحث إذاً يقوم في هذه الدراسة على جمع الروايات ذات العلاقة بسيرة الرسول محمد (عليه الصلاة والسلام) عند الإمام مسلم (رَحِمَهُ اللَّهُ) في صحيحه ثم تناول ما قدمه الإمام البخاري (رَحِمَهُ اللَّهُ) حول نفس الأحداث وبيان وجه التوافق أو الاختلاف فيما بينهما. كما حاول الباحث أن يعلق على بعض الأحداث المتعلقة بالسيرة إلا أنها كانت تعليقات متواضعة خجولة ونسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن تكون مفيدة وصحيحة وسليمة.

وبعد هذا التقديم لا بد من إطلاع القارئ المسلم الكريم على العمل في تقديم تلك الروايات فكان لا بد من تقديم ترجمة كاملة عن حياة الإمام

مسلم (رحمه الله) حياته ونشأته ومأثره العلمية وطلبه للعلم وسيرته وشمائله وفقهه ومكانته عند علماء عصره وأخيراً وفاته.

إلا أنه من الملاحظ عندما قمنا بجمع المادة عن حياة الإمام مسلم (رحمه الله) كانت ترجمته مقتضبة وقليلة عند كل من ترجم له من علماء عصره أو من جاء بعده فكانت هذه بالنسبة للباحث مشكلة كبيرة على عكس الإمام البخاري (رحمه الله) فلقد حفلت كتب التراجم والسير بالعديد من الروايات حوله، ومع ذلك تمكن الباحث من تقديم ترجمة كاملة لحياة الإمام مسلم (رحمه الله) على الرغم من أنها مقتضبة إلا أنها مفيدة بإذن الله تعالى.

ومن الله التوفيق



اللهم نجِّ المستضعفين من المؤمنين في كل مكان ، اللهم الطف بِـ أمة نبيِّك محمد ﷺ وارحمها وفرّج كربتها

لا غالب إلا الله

ترجمة الإمام مسلم (رحمه الله)

اسمه وكنيته:

هو مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، وقيل هو مسلم بن مسلم بن وردين كوشاذ القشيري النيسابوري[1].

مولده:

ولد الإمام مسلم (رحمه الله) بمدينة نيسابور وهي إحدى مدن خراسان عام 204هـ/ 820 م[2].

يقول ابن خلكان: هكذا وجدته في بعض الكتب ولم أرَ أحداً من الحفاظ يضبط مولده ولا تقدير عمره[3]، وأجمعوا أنه ولد بعد المئتين وكان شيخنا تقي الدين أبو عمر عثمان المعروف بابن الصلاح يذكر مولده وغالب ظني أنه قال سنة 202[4].

كنيته وصفاته:

يكنى الإمام مسلم (رحمه الله) بأبي الحسين أكبر أبنائه. وقيل هو صاحب الصحيح أحد الأئمة الحفاظ وأعلام المحدثين[5].

---

(1) ينظر حول ذلك أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق د.يوسف علي الطويل، ط1 (بيروت 1491هـ/ 1998م) 4/ 417، أبو الحجاج جمال الدين يوسف المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ط1 (1425هـ/ 2004م) 9/ 104.

(2) ينظر حول ذلك، ابن خلكان، المكان نفسه، المزي، المكان نفسه، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تاريخ الإسلام، تحقيق، مصطفى عبد القادر ط1 (بيروت 1426هـ/ 2005م) 7/ 82-84.

(3) ينظر ابن خلكان، وفيات، 4/ 418، الذهبي، المكان نفسه.

(4) ينظر ابن خلكان، المكان نفسه.

(5) ينظر خير الدين الزركلي، الاعلام، ط16 (بيروت 2005)/ 221.

قال الإمام الذهبي في وصف حال الإمام مسلم. قال الحاكم: كان متجر مسلم خان محمش ومعاشه من ضياعه بأستوا أتت من اعقابه من جهة البنات في داره. وكان تام القامة ابيض الرأس واللحية يرخي طرف عمامته بين كتفيه[1].

رحلته في طلب العلم:

ذكرت المصادر التاريخية وكتب التراجم والسير أن الإمام مسلم (رحمه الله) رحل إلى الحجاز ثم إلى مصر ثم إلى الشام ثم إلى العراق[2].

وذكرت هذه المصادر أنه قدم بغداد غير مرة فروى عنه أهلها. وكان آخر قدومه لها في سنة 259 هجرية. وقيل إنه زار دمشق ويؤكد ذلك الإمام الذهبي بقوله: (دفع صالح بن أبي ورقة لحاء شجرة بخط مسلم قد كتبها بدمشق من حديث الوليد بن مسلم)[3]. ويبدو أنه قد دخلها مجتازا[4].

مكانته العلمية عند علماء عصره:

يقول الإمام الذهبي وهو يحدثنا عن مكانة الإمام (رحمه الله) عند علماء عصره يقول: قال أبو عمرو أحمد بن المبارك[5]: سمعت إسحاق بن منصور يقول لمسلم بن الحجاج: لن تعدم الخير ما أبقاك الله للمسلمين. وقال أحمد بن مسلمة: رأيت أبا زرعة وأبا حاتم يقدمان مسلم بن الحجاج في معرفة الصحيح على مشايخ عصرهما. وسمعت الحسن بن منصور يقول: سمعت إسحاق بن راهويه وذكر مسلم بن الحجاج فقال بالفارسية كلاماً معناه: أي رجل يكون هذا؟ قال أحمد بن سلمة: وعقد لمسلم مجلس المذاكرة فذكر له حديث لم يعرفه فانصرف إلى منزله وأوقد السراج. وقال لمن في الدار لا يدخل أحد منكم. فقيل له: أهديت لنا سلة تمر فقال قدموها فقدموها اليه. فكان يطلب الحديث ويأخذ تمره. فأصبح وقد فني التمر ووجد الحديث رواها الحاكم ثم قال: زادني الثقة من أصحابنا أنه منها مات[6].

---

(1) ينظر الذهبي، تاريخ، 7/ 84-85.

(2) ينظر ابن خلكان، وفيات، 40/ 417-418.

(3) ينظر الذهبي، تاريخ، 7/ 83-84.

(4) ينظر الذهبي، المكان نفسه.

(5) ينظر الذهبي، المكان نفسه.

(6) ينظرالمزي، تهذيب، 9/ 608.

ويضيف الإمام الذهبي بقوله أيضا: وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم: يصف الإمام مسلم (رحمه الله) فقال: كان ثقة من الحفاظ كتبت عنه بالري وسئل أبي عنه فقال صدوق. وقال أبو قريش الحافظ: سمعت محمد بن بشار يقول حفاظ الدنيا أربعة: أبو زرعة بالري ومسلم بنيسابور وعبد الله الدارمي بسمرقند ومحمد بن إسماعيل ببخارى[1].

وقال الإمام الذهبي في حديثه عن مكانة الإمام مسلم (رحمه الله) ما نصه: (وقال أبو عمرو بن حمدان: سألت ابن عقدة الحافظ عن البخاري ومسلم أيهما أعلم؟ فقال: كان محمد عالما ومسلم عالما. فكررت عليه مرارا. ثم قال: يا عمرو وقد يقع لمحمد بن إسماعيل الغلط في أهل الشام وذلك أنه أخذ كتبهم فنظر فيها. فربما ذكر الواحد منهم بكنيته ويذكره في مواضع أخر باسمه ويتوهم أنهما اثنان. وأما مسلم فقل ما يقع له من الغلط في العلل. لأنه كتب المسانيد ولم يكتب المقاطيع ولا المراسيل[2].

وقال ابن منده: سمعت الحافظ أبا علي النيسابوري يقول: ما تحت أديم السماء كتاب أصح من كتاب مسلم وقال مكي بن عبدان: سمعت مسلما يقول: عرضت كتابي هذا المسند على أبي زرعة فكلّ ما شاء علي في هذا الكتاب أن له علة وسببا تركته وكل ما قال إنه صحيح ليس له علة فهو الذي أخرجت. ولو أن أهل الحديث يكتبون الحديث مئتي سنة فمدارهم على هذا المسند[3] وهناك العديد من الروايات التي قدمها أصحاب التراجم عن مكانة الإمام مسلم مما تدل على عظيم شأنه ومكانته عند علماء عصره.

قال أبو عبد الله الحافظ: قرأت بخط أبي عمرو المستملي: أملى علينا إسحاق بن منصور سنة إحدى وخمسين ومئتين ومسلم بن الحجاج ينتخب عليه وأنا استملي فنظر إسحاق بن منصور إلى مسلم فقال: لن تعدم الخير ما أبقاك الله للمسلمين[4].

آثاره العلمية:

يعد الإمام مسلم (رحمه الله) من كبار علماء الحديث بل من المتقدمين عليهم بعد

(1) ينظر الذهبي، تاريخ، 7/ 83-84.
(2) ينظر الذهبي، تاريخ، 7/ 85.
(3) ينظر الذهبي، تاريخ، 7/ 84.
(4) ينظر حول ذلك المزي، تهذيب، 9/ 607.

الإمام البخاري (رحمه الله) وشاع ذكره في عموم البلاد الإسلامية لما تركه من علم نافع يخدم به المسلمين ومن أشهر مصنفاته (كتاب الصحيح) الذي عرف فيما بعد (بصحيح مسلم) الذي جمع فيه اثني عشر ألف حديث عن الرسول (عليه الصلاة والسلام) كتبها في خمس عشرة سنة وله مصنفات أخرى عديدة لم تشتهر كشهرة الصحيح منها :

1. المسند الكبير رتبه على أسماء الرجال.
2. الجامع مرتب على الأبواب.
3. الكنى والأسماء.
4. الإفراد والوجدان.
5. الأقران.
6. مشايخ الثوري.
7. تسمية شيوخ مالك وسفيان وشعبه شرحه كثيرون.
8. كتاب المخضرمين.
9. أولاد الصحابة.
10. أوهام المحدثين.
11. كتاب الطبقات.
12. أفراد الشاميين.
13. كتاب التمييز.
14. كتاب العلل.
15. كتاب طبقات الحنابلة[1].

وقال الإمام محمد الماسرجي : سمعت مسلم بن الحجاج يقول صنفت هذا المسند الصحيح من ثلاثمئة ألف حديث مسموعة ويقول أيضاً[2].

وبعد هذا المصنف أجد الصحيحين المعول عليهما عند عامة المسلمين في مشارق الارض ومغاربها[3].

---

(1) ينظر حول ذلك الذهبي، تاريخ، 7/ 85-86.
(2) ينظر ابن خلكان، وفيات الأعيان، 4/ 417-418.
(3) ينظر ابن خلكان، وفيات الأعيان، 4/ 417.

شيوخه

إن لكل عالم من علماء المسلمين وفي أي حقل تخصص كان لا بد له من شيوخ ساهموا في تنمية قدراته العلمية وأثروا فيها وكان لهم الدور المميز والفعال في بلوغ ذلك العالم أو الفقيه أو الشيخ تلك المكانة العلمية الكبيرة وقد يختلف تأثير هؤلاء العلماء أو المشايخ على هذا العالم من حيث القوة والتأثر فلأحدهم يكون التأثير الكبير والمباشر ويطبع على تلميذه في اعماله ومصنفاته تأثيراته الكبيرة وقد يكون لشيخ آخر تأثير إلا أنه ليس بنفس القوة مع عظيم شهرته وقدرته وهكذا. كما هو حاصل عندنا وفي عصرنا الحاضر.

ومما لا شك فيه أن للإمام مسلم (رحمه الله) شيوخ أثروا على منهجه وطريقته في عمله وهذا التأثير قد يكون احياناً قويا أو متوسطاً أو ضعيفاً وهكذا. إلا أننا نرى أن للإمام مسلم شيوخاً عدة ويقول الإمام العلامة ابن خلكان بأن الإمام مسلم سمع سنة ثماني عشرة ومئتين ببلده من يحيى بن يحيى. وكذلك سمع من الإمام بشر بن الحكم وإسحاق بن راهويه وهو اقدم شيوخه سمع منه وهو في الحج. وسمع من الإمام اسماعيل بن أبي اويس وسمع من أحمد بن يونس وعمر بن حفص بن غياث وسعيد بن منصور وخالد بن خداش. وعاد إلى وطنه ثم رحل في حدود الخمس وعشرين ومئتين فسمع من الإمام علي بن الجعد ولم يروِ عنه في صحيحه لأجل بدعة ما.

وسمع كذلك من الإمام الحجة أحمد بن حنبل (رحمه الله) وسمع من الإمام شيبان بن فروخ وسمع من الإمام خلف البزاز وسعيد بن عمرو الاشعثي وعون بن سلام وإبراهيم بن موسى القراء ومحمد بن مهران المجال ومحمد ابن الصباح الدولابي وأبي نصر التمار ويحيى بن بشير الحريري وقتيبة بن سعيد واميه بن بسطام وجعفر بن حميد وحيان بن موسى المروزي والحكم بن موسى القنطري وعبد الرحمن بن سلام الجمحي وخلق كثير من العراقيين والحجازيين والشاميين والمصريين والخرسانيين.

ويقول الإمام الذهبي فسمى شيخنا في تهذيب الكمال مئتين وأربعة وعشرين شيخاً، يضيف بقوله رأيت بخط حافظ أنه قد روى في صحيحه عن مئتين وسبعة

عشر ويقدم الإمام الذهبي (رحمه الله) قائمة أخرى بأسماء شيوخ اخرين للإمام العلامة مسلم (رحمه الله). وفي مقطع اخر يقول الإمام الذهبي (رحمه الله) وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة مسلم أنه سمع بدمشق من محمد بن خالد السكسكي ولم يذكر أنه سمع من غيره. وهذا بعيد ولعله لقي محمد بن خالد في الموسم (الحج) ولكن قال ابن عساكر: حدثني أبو النصر اليوتاري قال دفع إليّ صالح بن أبي ورقة من لحاء شجرة بخط مسلم قد كتبها بدمشق من حديث الوليد بن مسلم[1].

تلاميذ الإمام مسلم

إن لكل عالم من علماء المسلمين وفي أي حقل من حقول المعرفة الإسلامية لا بد أن يكون له تلاميذ درسوا على يديه وتأثروا به أو قد يكون هؤلاء قد تأثروا بشيخهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة أو قد تكون عن طريق الاتصال العلمي أو الحب لذلك الشيخ فالإمام مسلم حاله كحال الاخرين من علماء الإسلام لهم شيوخ أخذوا عنهم ولهم تلاميذ نقلوا علومهم عنهم وهكذا ويقدم لنا الإمام الذهبي (رحمه الله) مجموعة من الأسماء الذين عدهم تلاميذ للإمام مسلم (رحمه الله) ونقلوا عنه علومه في الحديث والسنة فمنهم: (وقال مكي: سألت مسلماً عن علي ابن الجعد فقال ثقة ولكنه كان جهمياً. فسألته عن محمد بن يزيد فقال: لا تكتب عنه وسألته عن محمد بن عبد الوهاب وعبد الرحمن بن بشر فوثقهما وسألته عن قطن بن إبراهيم فقال: لا يكتب حديثه. وممن صنف مستخرجاً على (صحيح مسلم) أبو جعفر بن حمدان الجري، وأبو بكر محمد بن محمد بن رجاء النيسابوري وأبو عوانه يعقوب بن إسحاق الإسفرائيني. وأبو حامد الشاركي الهروي، وأبو بكر محمد بن عبد الله الشافعي وأبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم وأبو الحسن الماسرجي وأبو نعيم الاصفهاني وأبو الوليد حسان بن محمد الفقيه[2].

منهج الإمام مسلم (رحمه الله) في كتابه:

قبل الحديث عن منهج الإمام مسلم (رحمه الله) في عرض رواياته عن السيرة

(1) للمزيد حول ذلك ينظر المزي، تهذيب، 9/ 604-607.

(2) ينظر الذهبي، تاريخ، 7/ 84-85.

النبوية لا بد لنا من تقديم التسمية الدقيقة للكتاب الذي عرف باسمه صحيح مسلم فهذا الكتاب عرف تحت اسم (المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله (ﷺ) والذي وضع فهارسه وصنفه الأخوان الباحثان محمد وهيثم ابنا نزار بن تميم والذي طبع ببيروت عام 1419 هـ الموافق1999م في شركة الأرقم.

وأما إذا رغبنا بالحديث عن محتويات صحيحه فلقد حصر فيه الإمام الأحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول الله (عليه الصلاة والسلام) والتي وجه عنايته إليها والتي يستفاد منها في عرض سيرته وشمائله ومعجزاته.

وإن الإمام مسلم (رَحِمَهُ اللَّهُ) لم يقتصر ما كتبه فقط على الصحيح فله العديد من المؤلفات والتي سبق عرضها. إلا أنها جميعاً لم تضاهي ما قدمه في الصحيح فلهذا عد الصحيح من أهم ما قدمه الإمام.

ويقوم منهج الإمام مسلم (رَحِمَهُ اللَّهُ) على اتباع قواعد وسلوكيات خاصة به منها :

1. أنه كان معروفاً بأنه روى كل أخباره ومروياته في السيرة عن شيوخه (رحمهم الله) والذين اختارهم بعناية فائقة من أجل ذلك. رحل في طلب هذا العلم في عموم البلاد الإسلامية حتى لقي معظمهم وسمع منهم مباشرة ورضي عدالتهم وضبطهم واشترط تحقيق ذلك فيمن رووا عنهم حتى يتصل إسناد كل حديث مرفوع في جامعه الصحيح إلى رسول الله (عليه الصلاة والسلام) وهكذا يتبين للقارئ الكتاب الصحيح من البداية إلى النهاية يحسن بعدالته ومنهجيته في النقل والكتابة فالقارئ يجد نفسه أمام إمام متحدث وشارح ومذكر بأقوال الصحابة وبتعدد طرقها وجعل الإسناد أحياناً للحديث واحداً.

2. فلما كان هذا منهج الإمام في عرض وقائع كتابه الصحيح فلقد غير ذلك في عرض ما يتعلق بالسيرة فجعلها في صحيحه ضمن الأبواب التي ترجم لها بعناية كبيرة تدل على إدراك واسع لأحكام الشريعة. وخصها بأبواب تحت عناوين شتى إلا أنه حصرها جميعاً تحت كتاب الجهاد والسير (المغازي) وشملت بذلك أموراً عدة رأى فيها الإمام اتصالاً وثيقاً مع أحداث السيرة فعرضها معها مثال ذلك باب جواز الإغارة على الكفار الذين بلغتهم دعوة الإسلام من غير تقديم الإعلام بالإغارة أو باب تأمير الإمام الأمراء على

البعوث ووصيته إياهم بأداب الغزو وغيرها وكذلك باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير وباب تحريم الغدر وباب جواز الخداع في الحرب وأبواب عديدة قدمها الإمام مسلم على أنها جزء من السيرة.

3. وجاءت تعليقات الإمام مسلم (رحمه الله) في صحيحه بمثابة بلاغات وأحاديث نبوية وقد تكون أحياناً هذه التعليقات من كلام الصحابة والمقطوعات التي يتوقف فيها الإسناد إلى ما دون كالتابعي والتي يذكرها أحياناً للاستئناس.

4. وإذا كان من شروط المؤرخ في السيرة النبوية الحياد التام في نقل الأخبار والوثائق حتى يعد موضوعياً فإننا نجد الإمام مسلم (رحمه الله) في كتابه الصحيح يمثل لنا قمة النزاهة والموضوعية والأمانة العلمية في ما قدمه في صحيحه من أحاديث الاحكام وأخبار السيرة النبوية. ومن الأمثلة على دقته ونزاهته نجد أن بعض المستشرقين قد فقدوا بعض الأحاديث الواردة في فضائل بني أمية من صحيح مسلم وكذلك فعل الإمام البخاري (رحمهما الله) فعدوا ذلك نوعاً من التأثير السياسي للعباسيين عليهم وذلك لأنهم وجدوا مثل هذه الأحاديث في مسند الإمام أحمد بن حنبل (رحمه الله) مما لا شك فيه أن هؤلاء المستشرقين هذه اساليبهم في الايقاع بين المسلمين في حين بيّن هؤلاء أن الإمام البخاري ومسلم عندما غابت مثل هذه الأحاديث عن صحيحيهما تدل وبلا شك على أن هذه الأحاديث فاقدة للشروط التي وضعها كل من الإمامين في صحيحيهما[1].

5. كما أننا نجد الإمام مسلم (رحمه الله) عندما يعرض مادته العلمية فيما يتعلق بسيرة الرسول (عليه الصلاة والسلام) له شخصيه مميزة تظهر جليا من اختياره للأسانيد والمتون التي يعرضها عن كل حدث إضافة إلى أنه يتابع سلسلة الإسناد بكل دقة ويسوقها من عدة طرق من أجل تدعيم الحديث أو الخبر الذي يقدمه وهذا بحد ذاته ميزة له فنراه مثلا يقول بمثل حديث خالد، أو يقول بهذا الاسناد، أو يقول واللفظ له، أو يقول كلاهما عن أبي الزبير بهذا الاسناد، أو يقول حدثنا شعبة بهذا الإسناد. غير أنه قال: جراب من شحم ولم يذكر الطعام... إلى آخره من الشواهد العديدة التي تدل على منهجية الإمام في عرض مادته بشكل دقيق.

---

(1) ينظر مستو، مناهج، 245.

6. عد مصنف الإمام مسلم (رحمه الله) موضوع هذه الدراسة الصحيح من أهم المصنفات له على الإطلاق حيث عده علماء الإسلام مرجعهم الأول بعد مصنف الإمام البخاري الصحيح في السنة النبوية فانكب العديد منهم عليه دراسة وشرحاً وتوضيحاً. فلقد ترجموا لرجاله وشرحوا نصوصه واستقصوا سماعاته ورواياته وذكروا العديد من الشواهد والمتابعات لأحاديثه وكل هذا يضيف لأخبار السيرة وموضوعاتها ثروة معرفية عظيمة ويعطى لها أعلى درجات التوثيق والموضوعية.

ولمعرفة المزيد عن منهج الإمام نذكر ما قاله عياض: والذي تأوله الحاكم على مسلم من احترام المنبه له قبل استيفاء غرضه إلا من الطبقة الأولى. فأنا أقول إنك إذا نظرت تقسيم مسلم في كتابه (الحديث) أو الصحيح كما قال على ثلاث طبقات من الناس على غير تكرار.

فذكر أن القسم الأول حديث الحفاظ. ثم قال إذا انقضى هذا اتبعه بأحاديث من لم يوصف بالحذق والإتقان. وذكر أنهم لاحقون بالطبقة الأولى فهؤلاء مذكورون في كتابه لمن تدبر الأبواب. والطبقة الثالثة. ثم تكلم فيهم قوم وزكاهم آخرون فخرج حديثهم من ضعف أو اتهم بدعة وكذلك فعل البخاري[1].

وقال ابن سفيان الفقيه العادل: قلت للإمام مسلم: حديث ابن عجلان عن زيد بن أسلم: وإذا قرئ فأنصتوا. قال: صحيح قال لما لم تضعه في كتابك؟ قال: إنما وضعت ما أجمعوا عليه. قال الحاكم: إذا اراد مسلم أن يخرج (الصحيح) على ثلاثة اقسام وثلاث طبقات من الرواة. وقد ذكر مسلم هذا في صدر خطبته. قال الحاكم: فلم يقدر الفراغ من الطبقة الأولى. وبات ثم ذكر الحاكم ذاك القول الذي هو دعوى وهو قال أن لا يذكر من الحديث إلا ما رواه صحابي مشهور له روايتان ثقتان أو أكثر ثم يرويه عنه تابعي مشهور له أيضاً رويتان ثقتان وأكثر ثم كذلك من بعدهم[2].

قال أبو علي الحياني: المراد بهذا أن الصحابي أو هذا التابعي. وقد روى عنه رجلان خرج بهما عن حد الجهالة[3].

---

(1) ينظر الذهبي، تاريخ، 7/ 86-87.
(2) ينظر الذهبي، تاريخ، 7/ 86-87.
(3) ينظر الذهبي،المكان نفسه.

علاقة الإمام مسلم بالإمام البخاري (رحمهما الله):

تميزت علاقة الإمام مسلم بالإمام البخاري بصفة خاصة عن غيرها من العلاقات التي طبعت علاقات العلماء المسلمين من حيث عدها البعض أشبه بالمحنة تعرض لها الإمام مسلم في علاقته مع الإمام البخاري وهذا ما يذكره العلامة ابن خلكان: وقال عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ: لما استوطن البخاري نيسابور أكثر مسلم من الاختلاف اليه. فلما وقع بين محمد بن يحيى والبخاري ما وقع في مسألة اللفظ نادى عليه ومنع الناس من الاختلاف إليه حتى هجر وخرج من نيسابور في تلك المحنة قطعه أكثر الناس غير مسلم فإنه لم يتخلف عن زيارته فنقل إلى محمد بن يحيى أن مسلم بن الحجاج على مذهبه قديماً وحديثاً وأنه عوتب على ذلك بالحجاز والعراق ولم يرجع عنه. فلما كان يوم مجلس محمد بن يحيى قال في آخر مجلسه: إلا من قال باللفظ فلا يحل له أن يحضر مجلسنا[1]. فأخذ مسلم لباء فوق عمامته. وقام على رؤوس الناس وخرج من مجلسه. وجمع كل ما كتب وبعث به على ظهر حمال إلى باب محمد ابن يحيى فاستحكمت الوحشة وتخلف عنه وعن زيارته[2].

وقال الخطيب البغدادي: كان مسلم يناضل عن البخاري حتى أوحش ما بينه وبين محمد بن يحيى الذهلي بسببه[3].

وفاتــه:

توفي الإمام مسلم (رَحِمَهُ ٱللَّهُ) وغفر له بظاهر نيسابور عام 261 هـ/ 875 م[4].

وقيل: توفي عشية يوم الاحد ودفن بنصر آباد ظاهر نيسابور يوم الاثنين لخمس وقيل لست بقين من شهر رجب الفرد سنة 261 هـ نيسابور وعمره خمس وخمسون سنة[5].

(1) ينظر ابن خلكان، وفيات، 4/ 416-417.
(2) ينظر ابن خلكان، وفيات الأعيان، 4/ 417-418.
(3) ينظر ابن خلكان، الوفيات، 4/ 418، الذهبي، تاريخ، 7/ 85.
(4) حول ذلك ينظر ابن خلكان، وفيات الأعيان، 4/ 417.
(5) ينظر المزي، تهذيب أسماء، 9/ 608.

ما بين الإمام البخاري والإمام مسلم في صحيحيهما وأصحاب السير والمغازي من توافق واختلاف:

إن المقارنة بينما ورد في مصنفات السير والمغازي وبينما ورد في كتب الصحاح وفي مقدمتها صحيح مسلم (رحمه الله) أو صحيح البخاري أو في مصنفات أصحاب السنن كلها تصل بنا هذه المقارنات إلى قناعات علمية مهمة ومفيدة في علوم السيرة والمغازي ومن أهم تلك القناعات:

1. الثقة الكبيرة بما قدمه أصحاب السير والمغازي من روايات نجدها واردة عند الإمامين مسلم والبخاري رحمهما الله في صحيحيهما ويتفق معهما مما يدل على علو مكانتهما وصدقهما عند المسلمين.
2. تصحيح ما وقع في كلام بعض الصحابة من وهم ومثاله ما رواه الإمامان الجليلان مسلم والبخاري وابن إسحاق في السيرة عن ابن عباس (رضي الله عنهما): أن النبي (صلى الله عليه وسلم) تزوج ميمونة وهو محرم[1]. حيث روى الإمام مسلم في صحيحه عن أم المؤمنين ميمونه (رضي الله عنها) أنها قالت: تزوجها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو حلال وبنى بها وهو حلال[2].

وقدم جهود العلماء هذا الحديث على قول ابن عباس (رضي الله عنهما) لأنها صاحبة القضية فهي أعلم وأدق وكذا فعل أبو رافع أخبر بذلك كما رواه الإمام الترمذي عنه[3].

وعليه نجد أن هذه القضية كانت بالنسبة إلى علماء المسلمين مهمة جداً لذا نجدهم يحاولون البت بها بشكل سليم ودقيق بعيداً عن كل الثغرات. فلقد قال ابن

---

(1) ينظر محيي الدين أبو زكريا بن شرف النووي، صحيح الإمام مسلم ط1 (دمشق: 1424هـ/ 2003م) 9/ 853.

(2) رواه البخاري في الحج (1740) والنكاح (4824) ومسلم في النكاح (1410) ورواه البخاري في النكاح (1411).

(3) رواه الترمذي في الحج، (841).

القيم الجوزية (رَحِمَهُ ٱللَّهُ) في كتابه زاد المعاد (تزوج ميمونة بنت الحارث الهلالية وهي آخر من تزوج بها. تزوجها بمكة في عمرة القضاء بعد أن حل منها على الصحيح)[1].

وقيل قبل إحلاله هذا: قول ابن عباس ووهم (رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا) فإن السفير بينهما بالنكاح أعلم الخلق بالقصة وهو أبو رافع (رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ) وقد أخبر أنه تزوجها حلالاً وقال (كنت السفير بينهما وابن عباس إذ ذاك له نحو العشر سنين أو فوقها)[2].

وكان غائباً عن القصة لم يحضرها وأبو رافع رجل بالغ وعلى يده دارت القصة فهو أعلم بها ولا يخفى أن مثل هذا الترجيح موجب للتقديم[3].

وعند ابن سعد في طبقاته حول نفس الموضوع يقول: (إن رسول الله (صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) تزوج ميمونة في شوال سنة سبع) قال الحافظ ابن حجر (رَحِمَهُ ٱللَّهُ) فإن ثبت أن هذا صح، تزوجها وهو حلال لأنه إنما أحرم في ذي العقدة منها)[4].

تصحيح ما سبق إليه القلم من الخطأ في السيرة النبوية وحتى كتب الصحاح ومثاله ما وقع في السيرة أن غزوة بني المصطلق (أو المريسيع) كانت سنة ست هجرية ما وقع عن الإمام البخاري (رَحِمَهُ ٱللَّهُ) في صحيحه من أنها وقعت سنة اربع فضلاً عن ابن عقبة[5] وعلل الإمام ابن حجر على ذلك بقوله: (وكأنه سبق فلمَّ ما أراد أن يكتب (سنة خمس) فكتب (سنة اربع)[6] في حين نجد أن الإمام مسلم (رَحِمَهُ ٱللَّهُ) لا يحدد تاريخاً معيناً لهذه الغزوة فقال: فكتب اليّ إنما كان ذلك في أول الإسلام. قد أغار رسول الله (صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) على بني المصطلق وهم غارون وأنعامهم تسقى على الماء فقتل مقاتليهم وسبى سبيهم واصاب يومئذ قال يحيى:

---

(1) ينظر أبو عبد الله بن القيم الجوزية: زاد المعاد في هدي خير العباد وضحه الشيخ حسن محمد المسعودي ط1 (القاهرة: 1347 هـ/ 1928م) 1/ 28.

(2) ابن القيم الجوزية، زاد المعاد، المكان نفسه.

(3) ينظر ابن القيم الجوزية، المكان نفسه.

(4) ينظر الإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة4،/ 412.

(5) ينظر ابن حجر، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، علق عليه محمود فؤاد عبد الباقي ط3 (دمشق: 1421هـ/ 2000م) باب الغازي، 7/ 535.

(6) ينظر ابن حجر، فتح الباري، 7/ 235-536.

أحسبه قال جويرية أو قال البتة ابنة الحارث[1] وفي مغازي موسى بن عقبة ومن عدة طرق أخرجها الحاكم في المستدرك والبيهقي في الدلائل أنها (سنة خمس وهي أشبه من قول ابن إسحق أنها كانت سنة ست هجرية[2].

ومن الفوائد المرجوة في عقد مثل هذه المقارنات ما بين كتب السير والمغازي وكتب الصحاح والسنن هو إزالة اللبس عما وقع في الصحيحين ومثاله (ما ورد في صحيح مسلم الذي سبق أن عرضناه وكذلك فعل البخاري من أن رسول الله (ﷺ) هاجم بني المصطلق وهم غارون أي غافلون- وهذا في حد ذاته مخالف للنهج الالهي في الدعاء والدعوة مثل اعلان القتال قال تعالى ﷻ: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ [الأنفال: 58]. قال الإمام حافظ ابن كثير (رحمه الله) في تفسير قوله تعالى ﷻ آنفاً (اي نقيضاً لما بينك وبينهم من المواثيق والعهود أي أعلمهم بأنك حرب لهم وهو حرب لك وأنه لا عهد بينك وبينهم على السواء)[3].

في حين ذهبت معظم كتب السير والمغازي ابتداءً من ابن إسحق في كتابه السير والمغازي والواقدي في كتابه المغازي وابن سعد في كتابه الطبقات الكبير والبلاذري في كتابه الأنساب وابن قيم الجوزية في كتابه زاد المعاد (أن الرسول (عليه الصلاة والسلام) أنذر بني المصطلق فأمر عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أن يدعوهم إلى الإسلام وتوحيد الله ونبذ الشرك والوثنية قبل قتالهم. وعلل الإمام العلامة ابن حجر (رحمه الله) على ذلك بقوله: (فيحتمل أن يكون حين الايقاع بهم ثبتوا قليلا فلما كثر فيهم القتل انهزموا بأن يكون لما وهم على الماء ثبتوا وتصافوا ووقع القتال بين الطائفتين ثم بعد ذلك وقعت الغلبة عليهم) وقد ذكر هذه القصة على هذا النحو ابن سعد على نحو ما ذكرها ابن إسحاق[4].

---

(1) أخرجه مسلم في باب الجهاد والسير. 1730

(2) ابن حجر، المكان نفسه.

(3) ينظر عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، علق عليه محمد ناصر الألباني ط1 (دمشق: 1425هـ/ 2004م) 4/ 46-47.

(4) ينظر حول ذلك محمد بن إسحاق، السيرة النبوية، تحقيق، أحمد فريد المزيدي ط1 (بيروت، 1424هـ/ 2004م) 435 وينظر كذلك محمد بن عمر بن واقد، المغازي، تحقيق، مارسدن جونس، ط1 (بيروت: دار) 1/ 407-408.

فيما مضى من عرض لبعض الروايات يتبين لنا أن مصنفات عديدة قد ضمت في جوانبها طائفة عديدة وكثيرة من أحداث السيرة النبوية فكلٌّ تحدث بما عثر عليه أو سمعه من الرواد فكان ذلك كله جهداً عظيماً قدمه هؤلاء العلماء لنا لكي نتبصر ونتطلع على الكثير من الأحداث التي مرت بحياة الرسول (عليه الصلاة والسلام) وانهم جميعاً كانوا مقتفين اثر هذه الأحداث بما ورد عندهم من الإسناد فهم يتجنبوا إلى حد ما الخوض في مثل تلك الأحداث على طريقة القصاصين أو الرواد المشكوك بعدالتهم. إلا اننا عندما نقرأ ما قدمه الإمام مسلم (رَحِمَهُ ٱللَّهُ) في صحيحه سوف نراه قد افتتح مصنفه بالحديث عن جواز الإغارة على الكفار الذين بلغتهم دعوة الإسلام من غير تقدم الاعلام بالإغارة وبعدها باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها وهي افتتاحية تختلف عما بدأه البخاري الذي بدأ حديثه بالوحي ثم الحديث عن بئر زمزم، ثم يعرض مسلم ابوابه على نحو مختلف عما قدمه البخاري فهو يكمل ابوابه بالحديث عن باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير ثم باب تحريم القدر ثم باب جواز الخداع في الحرب ثم باب كراهة تمني لقاء العدو والامر بالصبر عند اللقاء وباب استحباب الدعاء بالنصر عند لقاء العدو وباب تحريم قتل النساء والصبيان في الحرب وباب جواز قطع اشجار الكفار وتحريقها ثم باب تحليل الغنائم لهذه الأمة خاصة، ثم باب الأنفال ثم باب استحقاق القاتل سلب القتيل ثم باب التنفيل وفداء المسلمين بالاسارى، ثم باب حكم الفيء، ثم باب قول النبي (ﷺ) (لا نورث ما تركناه فهو صدقة) ثم باب كيفية قسمة الغنيمة بين الحاضرين. ثم باب ربط الاسير وحبسه وجواز المن عليه ثم باب إجلاء اليهود من الحجاز، ثم باب جواز قتال من نقض العهد وجواز إنزال أهل الحصن على حكم حاكم عدل أهل للحكم، ثم باب من لزمه امر فدخل عليه أمر آخر، ثم باب المهاجرين إلى الانصار منائحهم من الشجر والثمر حين استغنوا عنها بالفتوح، ثم باب اخذ الطعام من ارض العدو ثم باب كتاب النبي (ﷺ) إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام ثم باب غزوة حنين وهكذا نجد أن الإمام مسلم (رَحِمَهُ ٱللَّهُ) في عرضه لأحداث السيرة النبوية يخالف تماماً ما قدمه الإمام البخاري في صحيحه عندما بدأ حديثه بالحديث عن الوحي ثم الحديث عن بئر زمزم ثم الحديث عن أنساب العرب والوقوف على تاريخهم والحديث عن معتقداتهم قبل الإسلام مثل الحديث عن زيد بن عمرو بن نفيل

ولقائه بالرسول (عليه الصلاة والسلام) وهو غلام حدث اسفل مكة ببلدح. كما تحدث الإمام البخاري عن قبيلة خزاعة وكيف أدخلت الوثنية إلى مكة بعدما استقرت بها على يد زعيمها وسيدها عمرو بن لحى الخزاعي الذي امر بجلب الاصنام ووضعها حول الكعبة وأمر بالطواف حولها[1].

ومن المسائل المهمة التي اوردها الإمام البخاري في صحيحه في السيرة النبوية مسألة مشاركة الرسول (ﷺ) في بناء الكعبة وهذا لم نجده عند الإمام مسلم في صحيحه. إضافة إلى أن البخاري يحدد عمر الرسول محمد (ﷺ) يوم شارك في بناء الكعبة فيقول مثلاً (كان عمر النبي (ﷺ) خمساً وعشرين سنة)[2] ويقف محدثا عن اختلاف قريش حول من يضع الحجر الاسود ويتفقون على أول داخل فيه فيكون الرسول[3].

كما نجد الإمام البخاري (رحمه الله) في صحيحه يعتمد إلى تقسيم أبواب كتابه إلى أبواب مغايرة تماماً لما قدمه الإمام مسلم من هذه الأبواب التي لا نجدها عند الإمام مسلم في صحيحه هي باب صفة النبي الخلقية وباب علامات النبوة، وهي مهمة جداً لدارس السيرة النبوية.

ومن النماذج التي قدمها الإمام البخاري في صحيحه وافتقدها الإمام مسلم في صحيحه ذكر وبعث الرسول (عليه الصلاة والسلام) فهو هذا الباب يقدم النسب الكامل للرسول (عليه الصلاة والسلام) فهو يقول (هو محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركه بن الياس ابن مضر بن نزار بن معاذ بن عدنان[4].

وكذلك يحدثنا الإمام البخاري (رحمه الله) عن البعثة: يقول حدثنا أحمد بن أبي رجاء حدثنا النضر بن هشام عن عكرمة عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال انزل على

---

(1) ينظر ابن حجر، فتح الباري، 7/ 184-185.
(2) ينظر ابن حجر، فتح الباري، 7/ 84.
(3) ينظر ابن حجر، فتح الباري، 7/ 85.
(4) ينظر ابن حجر، فتح الباري7،/ 204.

رسول الله (ﷺ) وهو ابن أربعين فمكث في مكة ثلاث عشرة سنة ثم أمر بالهجرة فهاجر إلى المينة فمكث بها عشر سنين ثم توفي[1].

في حين نرى أن الإمام مسلم (رحمه الله) في صحيحه يقدم تفاصيل اوسع من الإمام البخاري (رحمه الله) في حديثهم عن مسألة واحدة فمثلاً يحدثنا الإمام البخاري في باب ما لقي النبي (ﷺ) وأصحابه من المشركين بمكة. حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن ابن إسحاق عن عمرو عن ميمون عن عبد الله (رضي الله عنه) قال (بينما النبي (ﷺ) ساجد وحوله ناس من قريش جاء عقبة بن أبي معبط بسلي جزور فقذفه على ظهر النبي (ﷺ) فلم يرفع رأسه فجاءت فاطمة عليها السلام فأخذته من ظهره ودعت على من وضع. فقال النبي (ﷺ): اللهم عليك الملأ من قريش أبا جهل ابن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأمية بن خلف أو أبي خلف، فرأيتهم قتلوا يوم بدر فألقوا في بئر غير أمّية بن خلف أو أبي خلف تقطعت أوصاله فلم يُلق في البئر[2].

في حين يذكر الإمام مسلم (رحمه الله) بنفس الباب رواية فيها إضافات لم نجدها عند الإمام البخاري (رحمهما الله) يقول:

باب ما لقي النبي (ﷺ) من أذى المشركين والمنافقين (1694): وحدثنا عبد الله بن عمر بن محمد بن أبان الجعفي حدثنا عبد الرحيم. يعني أبا سليمان عن زكريا عن أبي إسحاق عن عمرو عن ميمون الأودي عن ابن مسعود قال بينما رسول الله (ﷺ) يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس وقد نحرت جزور بالأمس. فقال أبو جهل ايكم يقوم إلى سلا جزور بني فلان فيأخذه فيضعه في كتفي محمد إذا سجد، فانبعث أشقى القوم فأخذه فلما سجد النبي (ﷺ) وضعه بين كتفيه قال: فاستضحكوا وجعل بعضهم يميل إلى بعض. وأنا قائم انظر لو كانت لي منعة طرحته عن ظهر الرسول (ﷺ) والنبي (ﷺ) ساجد ما يرفع رأسه حتى انطلق انسان فأخبر فاطمة فجاءت وهي جويرية، فطرحته عنه ثم اقبلت عليهم تشتمهم. فلما قضى النبي (ﷺ) رفع صوته ثم دعا عليهم. وكان إذا دعا دعا ثلاثة وإذا سأل سأل ثلاثا. ثم قال: اللهم عليك بقريش ثلاث مرات فلما سمعوا

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه باب مبعث النبي. 3851،

(2) أخرجه البخاري في صحيحه باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة، 3854.

صوته ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته. ثم قال: (اللهم عليك بأبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عقبة وأمية بن خلف وعقبه بن أبي معيط) وذكر السابع ولم أحفظه. فوالذي بعث محمدا (ﷺ) بالحق لقد رأيت الذين سمى صرعى يوم بدر ثم سحبوا إلى القليب قليب بدر)[1] وذكرها الإمام مسلم بثلاث طرق وبألفاظ مختلفة[2].

إضافة إلى ذلك نجد أن الإمام مسلم عرض مادته في باب الجهاد والسير (المغازي) ضمن أبواب قدمنا سابقا قسماً منها. لا تتفق مع التسلسل الزمني للأحداث فهو ابتدأ حديثه بعد أن قدم أبواباً حول جواز الإغارة على الكفار الذين بلغهم دعوة الإسلام من غير تقديم الاعلام بالأغارة ثم باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصية إياهم بأداب الغزو وغيرها ثم باب في الأمر بتيسير وترك التنفير ثم باب تحريم الغدر ثم باب جواز الخداع في الحرب ثم باب كراهة تمني لقاء العدو ثم باب استحباب الدعاء بالنصر عند لقاء العدو ثم باب تحريم قتل النساء والصبيان في الحرب ثم باب جواز قتل النساء والصبيان في البيات من غير تعمد ثم باب جواز قطع أشجار الكفار وتحريقها ثم باب تحليل الغنائم لهذه الأمة خاصة ثم يتحدث عن مقتل أبي جهل في معركة بدر فهو لم يذكر المعركة بل ذكر مقتل أبي جهل وأورد مقتله للدلاله على مسألة فقهية هي استحقاق السلب لمن قتله أولاً[3]. ويتحدث مباشرة عن غزوة هوازن يحدثنا فيقول (قال: غزونا مع رسول الله (ﷺ) هوازن فبينا نحن نتضحى مع رسول الله (ﷺ) إذ جاء رجل على جمل أحمر فأناخه ثم انتزع طلقاً من حقبه فقيد به الجمل. ثم تقدم يتغدى مع القوم وجعل ينظر وفينا ضعفة ورقة في الظهر وبعضنا مشاة إذا خرج يشتد فأتى جمله فأطلق قيده ثم أناخه وقعد عليه فأثاره فاشتد به الجمل فأتبعه رجل على ناقة ورقاء، قال سلمة: وخرجت أشتد فكنت عند ورك الناقة ثم تقدمت حتى كنت عند ورك الجمل. ثم تقدمت حتى أخذت بخطام الجمل فأنخته فلما وضع ركبته على الأرض اخترطت سيفي فضربت رأس الرجل فندر، ثم جئت بالجمل أقوده عليه رحله وسلاحه. واستقبلني رسول الله (ﷺ) والناس معه. فقال (من قتل

---

(1) أخرجه الإمام مسلم في باب ما لقي النبي ﷺ، (1794).

(2) ينظر باب ما لقي رسول الله ﷺ 4673/ 108، 4674/ 109، 4675/ 110.

(3) ينظر مسلم، صحيح، 854-864.

الرجل) قالوا ابن الأكوع قال: له سلبه أجمع[1].

قال الإمام مسلم في صحيحه عندما يعرض لنا الغزوات أو الأحداث التي مرت بحياة الرسول (عليه الصلاة والسلام) يحاول تقديمها ضمن أبوابها الفقهية عندما يتحدث عن استحقاق القاتل لسلب المقتول الكافر يجمع كل الروايات التي مرت بحياة الرسول (عليه الصلاة والسلام) وهذا يفيد أصحاب الفقه للاستفادة من التخريجات الفقهية أما لدراس السيرة فهي غير منسجمة مع بعضها فالقارئ للسيرة يريد تسلسلاً منطقياً للحدث وليس تجزاء للحدث. وسنحاول هنا تقديم الأحداث حسب تسلسلها الزمني إذا كان بمقدورنا ذلك والله الموفق.

كما أننا نسجل على الإمام مسلم (رَحِمَهُ ٱللَّهُ) في صحيحه أنه يذكر عديداً من الغزوات والسريا ابتداء من غزوة بدر إلا أنه لم يذكر الغزوات أو السرايا التي حدثت قبل مثل غزوات بواط وودان وذي العشيره التي خرج بها بنفسه (عليه الصلاة والسلام) ثم السرايا التي أرسلها من مقامه في المدينة لتحقيق أهداف عسكرية بالنسبة إلى دولة الإسلام مثل سرية سيف بحر التي أمر عليها عمه حمزة (رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ) وسرية عبيدة بن الحارث لملاقات قافلة لقريش، بأرض ثنية المرة، وسرية سعد بن أبي وقاص إلى الخرار استعراضاً للقوة وأخيراً سرية نخلة بقيادة عبد الله بن جحش لرصد تجاره قريش والتي كانت فاتحة الصراع العسكري مع قريش.

من الملاحظات المهمة التي يمكن أن نلاحظها على ما قدمه الإمام مسلم في صحيحه ما قدم عما قدمه الإمام البخاري حصراً في باب السير والجهاد أي فيما يتعلق بسيرة الرسول (عليه الصلاة والسلام) الخاصة فرق كبير فما قدمه البخاري (رَحِمَهُ ٱللَّهُ) فيه تسلسل منطقي للأحداث المتعلقة بالأحداث التي مرت بحياة الرسول (عليه الصلاة والسلام) خصوصاً فيما يتعلق بالسريا وبالغزوات فهو يعرضها لنا كغزوة حدثت مع ذكر جميع الامور التي حدثت فيها. كذا فعل في غزوات بدر وأحد والخندق حصل تقديم وتأخير في عرض هذه الغزوات إلا أنها كانت في معظم عرضها تتصف بالجانب التاريخي ثم الفقهي فمثلاً عندما يحدثنا

---

(1) أخرجه الإمام مسلم، باب استحقاق القاتل سلب القتيل، (1754).

عن غزة بدر فهو يبدأ بذكر من يقتل يوم بدر ثم معنى بدر ثم دعاء الرسول (ﷺ) يوم بدر ثم يذكر موقف الانصار يومها ثم يبين لنا عدة أصحاب بدر وهي مسألة مهمة جداً يحدثنا فيقول (وحدثني محمد، حدثنا وهب عن شعبة عن أبي إسحاق عن البراء قال: (استصغرت أنا وابن عم عمر يوم بدر وكان لها المهاجرون يوم بدر نيفاً على ستين والأنصار نيفاً وأربعين ومئتين)[1] ومن طريق اخر يحدثنا فيقول: (وحدثنا محمد بن كثير: أخبرنا سفيان عن أبي إسحاق عن البراء (رضي الله عنه) قال: (كنا نتحدث عن أصحاب بدر ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً بعدة أصحاب طالوت الذين جازوا معه النهر وما جاوز معه إلا مؤمن)[2]. ثم يحدثنا الإمام البخاري في نفس الموضوع عن دعاء النبي محمد (ﷺ) على كفار قريش ثم يعرض في باب قتل أبا جهل ثم شأن المتبارزين يوم بدر ثم مقتل أمية بن خلف ثم مصير قتلى المشركين ثم يحدثنا عن فضل من شهد بدراً ثم توجيهات من رسول الله (ﷺ) العسكرية للمسلمين في كيفية لقاء المشركين وعدد القتلى يوم بدر من المشركين ثم شهود الملائكة بدر ومكانة المطعم بن عدي واخيراً يستعرض لنا أسماء من سمي من أهل بدر[3].

إن حديث الإمام البخاري (رحمه الله) عن غزوة بدر بهذه الطريقة يوحي لنا مدى قابلية الإمام على عرض مادته بشكل علمي منهجي دقيق يكاد يصل إلى مرحلة الدقة المطلقة وينفرد عن غيره من أصحاب السنن بهذا العرض المميز لهذه الغزوة وعن غيرها ويتفق إلى حد ما مع أصحاب المغازي إلا في أشياء قد يراها غير جديرة بالذكر وهو يختلف[4] عن الإمام مسلم (رحمه الله) عندما يعرّف غزوة بدر فلقد عرضها بشكل مختصر جدا فعندما نعرض ما ذكره الإمام مسلم سنلحظ بشكل جلي الفرق بين الإمامين في عرضهما لهذه الغزوة: يقول الإمام مسلم في باب غزوة بدر[5] حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن

---

(1) ينظر هادي، السيرة النبوية برواية الإمام (البخاري) ط1 (موصل 2010) 100-101.

(2) ينظر هادي المكان نفسه.

(3) ينظر هادي، السيرة النبوية، 97-107.

(4) ينظر هادي، السيرة النبوية، 97.

(5) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب غزوة بدر (1779).

ثابت عن انس أن رسول الله (عليه الصلاة والسلام) شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان. قال: فتكلم أبو بكر فأعرض عنه. ثم تكلم عمر فأعرض عنه. فقام سعد بن عبادة فقال ايانا تريد يا رسول الله؟ والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحر لخضناها ولو أمرتنا أن نضرب اكبادها إلى برك الغماد لفعلنا. قال فندب رسول الله (عليه الصلاة والسلام) الناس. فانطلقوا حتى نزلوا بدراً. ووردت عليهم روايا قريش وفيهم غلام اسود لبني الحجاج. فأخذوه. فكان أصحاب رسول الله (عليه الصلاة والسلام) يسألونه عن أبي سفيان وأصحابه فيقول: ما لي علم بأبي سفيان ولكن هذا أبو جهل وعتبة وشيبة وأمية بن خلف. فإذا قال ذلك ضربوه. فقال نعم، أنا أخبركم هذا أبو سفيان. فإذا تركوه فاسألوه فقال: ما لي بأبي سفيان علم ولكن هذا أبو جهل وعتبة وشيبة وأمية بن خلف في الناس فإذا قال هذا أيضاً ضربوه ورسول الله (عليه الصلاة والسلام) قائم يصلي. فلما رأى ذلك انصرف قال، والذي نفسي بيده لتضربوه إذا صدقكم وتتركوه إذا كذبكم[1].

ثم يضيف الإمام مسلم قائلاً: فقال رسول الله: (هذا مصرع فلان قال: ويضع يده على الارض. ها هنا وها هنا قال فما ماط أحدهم عن موضع يد رسول الله (عليه الصلاة والسلام)[2].

وفي باب قتل أبي جهل يحدثنا الإمام مسلم بقوله: (حدثنا علي بن حجر السعدي أخبرنا إسماعيل. يعني ابن علية حدثنا سليمان التيمي: حدثنا أنس بن مالك قال: قال رسول الله (ﷺ): (من ينظر لنا ما صنع أبو جهل، فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برك. قال فأخذ بلحيته فقال انت أبو جهل؟ فقال: وهل فوق رجل قتلتموه - وقال قتله قومه؟ قال: قال أبو مجلز: قال أبو جهل فلو غير أكارٍ قتلني)[3].

ويحدثنا الإمام مسلم (رحمه الله) في باب كراهة الاستعانة في الغزو بكافر يقول: حدثني زهير بن حرب حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن مالك (ح) وحدثنيه أبو

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب غزوة بدر (1779).
(2) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب غزوة بدر (1779).
(3) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب قتل أبي جهل 1800.

طاهر واللفظ له - حدثني عبد الله بن وهب عن مالك بن انس بن النضل بن أبي عبد الله عن عبد الله بن نيار الأسلمي عن عروة بن الزبير عن عائشة زوج النبي (عليه الصلاة والسلام) أنها قالت: خرج رسول الله (عليه الصلاة والسلام) قبل بدر فلما كان بحرة الوبرة أدركه رجل قد كان يذكر منه جرأة ونجدة. فخرج أصحاب رسول الله (عليه الصلاة والسلام) حيث رأوه فلما أدركه قال الرسول (عليه الصلاة والسلام) جئت لأتبعك وأصيب معك. قال له رسول الله (عليه الصلاة والسلام) تؤمن بالله ورسوله؟ قال: لا قال: (فارجع فلن أستعين بمشرك قال: ثم مضى. حتى إذا كنا بالشجرة أدركه الرجل فقال له كما قال أول مرة فقال له النبي (عليه الصلاة والسلام) كما قال أول مرة. قال: فارجع فلن أستعين بمشرك. قال: ثم رجع فأدركه بالبيداء فقال له كما قال أول مرة: تؤمن بالله ورسوله؟ قال: نعم فقال له رسول الله (عليه الصلاة والسلام) فانطلق)[1] بعد هذا العرض لما قدمه الإمام مسلم عن غزوة بدر نلتمس اختلافاً بينه وبين ما قدمه الإمام البخاري كلاهما طرق هذا الباب من أجل تعزيز المواقف الفقهية عند علماء الإسلام ونرى أنه بهذا العرض اغفل العديد من المسائل على اهميتها الكبيرة في أحداث السيرة ثم أننا لمسنا أن الإمام البخاري كثيراً ما يستشهد بأحاديث أصحاب المغازي مثل ابن إسحاق في كتاب السير والمغازي والواقدي في كتاب المغازي في حين لم نلمس ذلك أبداً عند الإمام مسلم عند عرضه لمادته. فهو لم يذكر ابن إسحاق من قريب أو بعيد وكذلك لم يذكر الواقدي علماً أن أصحاب المغازي تفوقوا على أصحاب الصحاح والسنن في عرض السيرة النبوية فكانت عندهم متناسقة متسلسلة الأحداث يتجنبوا التكرار والتداخل مع الأحداث الأخرى ثم لم يكونوا يهتمون بالجوانب الفقهية التي دفعت بأصحاب الصحاح والسنن إلى عدم ترتيب الأحداث وفق تسلسلها الزمني.

وإذا ما اردنا الحديث عن الإمام مسلم (رَحِمَهُ اللهُ) في كتابه الفضائل الذي قسمه إلى عدة أبواب باب فضل نسب النبي (عليه الصلاة والسلام) وتسليم الحجر عليه قبل النبوة. فهو لم يذكر النسب الزكي للرسول (عليه الصلاة والسلام) بالكامل

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب كراهة الاستعانة في الغزو بكافر (1817).

كما فعل الإمام البخاري في صحيحه أو ابن إسحاق في كتابه السير والمغازي أو ابن سعد في كتابه الطبقات الكبير فهو حدثنا بقوله: حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا الاوزاعي عن أبي عمارة شداد أنه سمع واثلة بن الأسقع يقول: سمعت رسول الله (عليه الصلاة والسلام) يقول: (إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم)[1].

ويضيف الإمام مسلم في معرض حديثه عن فضائل الرسول (عليه الصلاة والسلام) وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة. حدثنا يحيى بن أبي بكير عن إبراهيم بن طهمان حدثني سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله (عليه الصلاة والسلام): (إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن)[2].

ثم ينتقل بعد ذلك في ذكر أبواب فضائل النبي (عليه الصلاة والسلام) فيذكر باب تفضيل نبينا على جميع الخلائق ثم باب معجزات النبي عليه الصلاة والسلام ثم باب توكله (عليه الصلاة والسلام) على الله تعالى وعصمة الله تعالى له من الناس. ثم باب بيان مثل ما بعث النبي (عليه الصلاة والسلام) من الهدى والعلم ثم باب شفقته على أمته ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم ثم باب ذكر خاتم النبيين ثم باب إذا أراد الله تعالى رحمة أمة قبض نبيها قبلها ثم باب اثبات حوض نبينا (عليه الصلاة والسلام) وصفاته ثم باب في شجاعة النبي (عليه الصلاة والسلام) وتقدمه للحرب، ثم باب كان النبي من أجود الناس بالخير من الريح المرسلة ثم باب كان رسول الله (عليه الصلاة والسلام) أحسن الناس خُلقاً، ثم باب ما سئل رسول الله (ﷺ) شيئاً قط فقال لا وكثرة عطاؤه وأخيراً باب رحمته (عليه الصلاة والسلام) الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك.

تميز الإمام مسلم كثيراً في باب الفضائل عن غيره من أصحاب السنن الذين اختصروا هذا الموضوع كثيراً أما أصحاب السير والمغازي فقد غفل الكثير منهم

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب فضل نسب النبي عليه الصلاة والسلام (2276).
(2) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب فضل نسب النبي عليه الصلاة والسلام (2277).

هذا الموضوع لا سيما ابن إسحاق في كتابه السير والمغازي وكذلك الواقدي في كتابه المغازي والبلاذري في كتابه الأنساب استثناء لابن سعد في كتابه الطبقات الذي حاول الحديث عن موضوع الفضائل المعجزات إلا أنها كانت مختصرة إلى حد ما. وعند الإمام البخاري (رَحِمَهُ ٱللَّهُ) كانت مقتضبة كذلك ويقدمها بشكل مغاير عما عرضه الإمام مسلم فكل منهما له أسلوبه وطريقته في عرض مادته العلمية فيما يتعلق بحياة الرسول (ﷺ) والتي وجدها بأنها أنسب طريقة وهذه ميزة العلم والعلماء وهو عدم التقليد حتى أنهم لم يجاروا أصحاب المغازي والسير في عرض مادتهم فعرضوها ضمن ارائهم الفقهية فجاءت مختلفة تماماً عما قدمه أصحاب المغازي الذين اعتمدوا المنهج التاريخي في عرض مادتهم.

فجزى الله الجميع الخير لما بذلوه من جهد في تقديم صورة ناجحة عن سيرة الرسول محمد (عليه الصلاة والسلام).

إلا أنهما على ما يبدو قد اتفقا على مسألة مشتركة مهمة في صحيحيهما وهي عدم الحديث بشكل مسهب أو مطول عن الفترة المحصورة ما بين الميلاد والبعثة، والتي اسهب فيها كثيراً أصحاب المغازي والسير.

قد يرجع السبب في ذلك إلى عدم قدرة الروايات المستقاة عندهم عن هذه المرحلة على النقد والتحقيق مما دعاهم إلى اغفالها وعدم الخوض بها فمثلاً نجد الإمام البخاري لم يتحدث عن هذه المرحلة إلا باقتضاب شديد مثل حديثه عن رحلة سيدنا إبراهيم وزوجته هاجر وابنه إسماعيل (عليهما السلام) إلى مكة ثم مبعث النبي (ﷺ) ثم تسمية سيدنا محمد ثم وفاة عبد الله والد الرسول (عليه الصلاة والسلام) ثم يتحدث عن أيام الجاهلية ثم الحديث عن زيد بن عمرو بن نفيل ثم بنيان الكعبة ثم زواجه (عليه الصلاة والسلام) من السيدة خديجة (رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا) ثم عبادة الاوثان والوحي وهكذا تنتهي عنده المرحلة ما بين الميلاد والبعثة فهو على عكس ابن إسحاق الذي أفرد في كتابه المغازي لهذه الفترة مجلداً كاملاً أطلق عليه (المبتدأ) وفيه يتحدث عن عبادات العرب قبل الإسلام مثل الشرك والوثنية وولادة الرسول (عليه الصلاة والسلام) وذهابه إلى مضارب حليمة السعدية ثم حادثة شق الصدر وعودته إلى مكة ووفاة أمه آمنة وكفالة جده عبد المطلب له ثم دخوله دار الندوة ثم وفاة جده عبد المطلب وكفالة عمه أبي طالب له واشتغاله

بالرعي ثم ذهابه مع عمه بتجارة إلى الشام ثم اشتراكه في حلف الفضول ومشاركته في حرب الفجار ومساهمته في بناء الكعبة ثم زواجه من السيدة خديجة (رضي الله عنها) ثم تحنثه في غار حراء وهكذا سار على منهج ابن إسحاق جميع أصحاب المنهج التاريخي. مثل ابن سعد في كتابه الطبقات الكبير والبلاذري في كتابه الأنساب وغيرهم كثير. أما الإمام مسلم (رحمه الله) فهو لم يخالف الإمام البخاري بل نراه يختصر مادته بشكل ملفت للنظر ولايقدم لنا سبباً وجيهاً في اعراضه عن ذكر مثل هذه المسائل التي قد تكون مهمة بالنسبة لنا من وجهة نظرنا لأنها تفيد في التعريف بهذه المرحلة المهمة في حياة الرسول (عليه الصلاة والسلام) وتسليط الضوء عليها ويكاد أصحاب المنهج التاريخي هم الوحيدون الذين غطوا هذه المرحلة لما فيها من أهمية كبيرة في عرض السيرة النبوية.

ومما لا شك فيه أن هذه الروايات من وجهة نظر أصحاب الصحاح والسنن فيها شيء من عدم الدقة والصحة أو أن البعض منها قد يسيء إلى شخص رسول الله (عليه الصلاة والسلام) مما حدا بهم رفض معظمها وعدم التعويل عليها في كتاباتهم في باب السير والمغازي فمثلاً نجد الإمام مسلم (رحمه الله) لا يحدثنا عن مسائل إلا بحدود ضيقة جداً عن الفترة ما بين الميلاد والبعثة فمثلاً في كتاب باب فضل نسب النبي (صلى الله عليه وسلم) وتسليم الحجر عليه قبل النبوة حدثنا الإمام مسلم عن ذلك بقوله: (حدثنا يحيى بن أبي بكير عن إبراهيم بن طهمان. حدثني سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله (عليه الصلاة والسلام) إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن)[1].

وفي نفس الباب الفضائل يحدثنا الإمام مسلم بقوله: حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا الأوزاعي عن أبي عمارة شداد أنه سمع واثلة بن الأسقع يقول: (سمعت رسول الله (عليه الصلاة والسلام) يقول: إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم)[2].

---

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب فضل نسب النبي عليه الصلاة والسلام (2277).

(2) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب فضل نسب النبي عليه الصلاة والسلام (2276).

ويستعرض الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الفضائل مزيداً من الأبواب حول فضائل النبي (عليه الصلاة والسلام) ففي باب المعجزات يحدثنا فيقول: وحدثني أبو الربيع، سليمان بن داود العتكي: حدثنا حماد يعني ابن زيد: حدثنا ثابت عن أنس أن النبي (عليه الصلاة والسلام) دعا بماء فأتي بقدح رحراح فجعل القوم يتوضؤون فحزرت ما بين الستين إلى الثمانين قال: فجعلت أنظر إلى الماء ينبع من بين أصابعه [1] وفي رواية أخرى حول نفس الموضوع يقول الإمام: وحدثني إسحاق بن موسى الأنصاري، حدثنا معن: حدثنا مالك (ح) وحدثني أبو الطاهر: أخبرنا ابن وهب عن مالك بن أنس عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك أنه قال: رأيت رسول الله (عليه الصلاة والسلام) وحانت صلاة العصر فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فأتى رسول الله (ﷺ) بوضوء فوضع رسول الله (ﷺ) في ذلك الإناء يده، وأمر الناس أن يتوضؤوا منه. قال: فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه فتوضأ الناس حتى توضؤوا من عند آخرهم [2] ويحدثنا كذلك عن معجزات الرسول (عليه الصلاة والسلام) فيقول وحدثني سلمة بن شبيب حدثنا الحسن بن أعين حدثنا معقل عن أبي الزبير عن جابر أن أم مالك كانت تهدي للنبي (ﷺ) في عكة لها سمناً فيأتيها بنوها فيسألون الأدم. وليس عندهم شيء فتعمد إلى الذي كانت تهدي فيه للنبي (عليه الصلاة والسلام) فتجد فيه سمناً. فما زال يقيم لها أدم بيتها حتى عصرته.فأتت النبي (عليه الصلاة والسلام) فقال: (عصرتيها)؟ قالت: نعم. قال: (لو تركتيها ما زال قائماً)[3] وفي رواية أخرى يحدثنا الإمام عن معجزات الرسول (عليه الصلاة والسلام) فيقول حدثنا سلمة بن شبيب: حدثنا الحسن بن أعين: حدثنا معقل عن أبي الزبير عن جابر: أن رجلاً أتى النبي (ﷺ) يستطعمه، فأشطر وسق شعير فما زال الرجل يأكل منه وامرأته وضيفهما حتى كاله: فأتى النبي (عليه الصلاة والسلام) فقال: (لو لم تكله لأكلتم منه ولقام لكم)[4].

---

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب المعجزات (2279).

(2) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه باب المعجزات النبي عليه الصلاة والسلام (2279).

(3) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه باب معجزات النبي عليه الصلاة والسلام (2280).

(4) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه باب معجزات النبي عليه الصلاة والسلام (2281).

ويحدثنا الإمام مسلم (رحمه الله) في باب توكله (عليه الصلاة والسلام) على الله تعالى وعصمة الله تعالى له من الناس في كتاب الفضائل فيقول: حدثنا عبد بن حميد: أخبرنا عبد الرزاق: أخبرنا معمر عن الزهري عن أبي سلمة عن جابر (ح) وحدثني أبو عمران محمد بن جعفر بن زياد. واللفظ له- أخبرنا إبراهيم يعني ابن سعد عن الزهري عن سنان بن أبي سنان الدؤلي عن جابر بن عبد الله قال: غزونا مع رسول الله (عليه الصلاة والسلام) غزوة قِبل نجد. فأدركنا رسول الله (عليه الصلاة والسلام) في واد كثير العضاة، فنزل رسول الله (عليه الصلاة والسلام) تحت شجرة فعلق سيفه بغصن من أغصانها قال: وتفرق الناس في الوادي يستظلون بالشجر قال: فقال الرسول (عليه الصلاة والسلام) أن رجلاً أتاني وأنا نائم فأخذ السيف فاستيقظت وهو قائم على رأسي فلم أشعر إلا والسيف صلتاً في يده. فقال لي: من يمنعك مني؟ قال قلت: الله. ثم قال في الثانية: من يمنعك مني؟ قال: قلت: الله. قال: فشام السيف فها هو ذا جالس، ثم لم يعرض له رسول الله (عليه الصلاة والسلام)[1]. وذكر هذا الحديث من عدة طرق وبألفاظ مختلفة[2] كما تنوعت الأبواب وتعددت في كتاب الفضائل كلها تدل صحة وقوة المعجزات للرسول (عليه الصلاة والسلام) ومن الملاحظ هنا أن أصحاب السير والمغازي لم يفردوا بأحاديثهم شيئاً عن المعجزات إلا ما ندر.

بعد هذا العرض السريع لما قدمه الإمامان، مسلم والبخاري في صحيحيهما من مقتطفات عن حياة الرسول (عليه الصلاة والسلام) ثم حاولنا عرض قسم من الموافقات أو الاختلافات التي حصلت عندهم أو عند أصحاب المغازي والسير بشكل موجز. بقي لنا الآن أن نستعرض بشكل علمي منهجي الأبواب التي قدمها الإمام مسلم في كتاب الجهاد والسير (المغازي) بشكل يعتمد المنهج التأريخي حتى يتسنى للقارئ الكريم الاستفادة من سيرة نبوية مستخرجة من صحيح مسلم (رحمه الله).

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب معجزات النبي عليه الصلاة والسلام(843).

(2) ينظر باب المعجزات، كما أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجهاد والسير في باب من علق سيفه بالشجر في السفر(2910).

يفتتح الإمام مسلم صحيحه في هذا الكتاب بتقسيمه إلى أبواب مبتدأ الأبواب بباب جواز الإغارة على الكفار الذين بلغتهم دعوة الإسلام من غير تقديم الإعلام بالإغارة يقول في عرضه لهذا الباب حدثنا يحيى بن يحيى التميمي حدثنا سليم بن أخضر عن ابن عوف قال: كتبت إلى نافع أسأله عن الدعاء قبل القتال؟ قال: فكتب اليّ: إنما كان ذلك في أول الإسلام قد أغار رسول الله (عليه الصلاة والسلام) على بني المصطلق وهم غارون تسقى على الماء فقتل مقاتلتهم وسبى سبيهم وأصاب يومئذٍ قال يحيى أحسبه قال أو قال البتة - ابنة الحارث[1].

وفي باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصية إياهم بأداب الغزو وغيرها يحدثنا فيقول حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة: حدثنا وكيع بن الجراح عن سفيان (ح) وحدثنا إسحاق بن إبراهيم: أخبرنا يحيى بن آدم: حدثنا سفيان: قال أملاه علينا إملاءً. وحدثني عبد الله بن هاشم - واللفظ له - حدثني عبد الرحمن - يعني ابن مهدي- حدثنا سفيان عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال: كان رسول الله (عليه الصلاة والسلام) إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً. ثم قال: (أغزوا باسم الله. في سبيل الله. قاتلوا من كفر بالله أغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا. وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال - أو خلال- فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم إلى الإسلام. فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم. ثم ادعهم إلى التحول من ديارهم إلى دار المهاجرين. وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين. فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين. ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء. إلا أن يجاهدوا مع المسلمين. فإن هم أبوا فسلهم الجزية. فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم. وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه. فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة نبيه. ولكن اجعل

---

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب جواز الإغارة، (1730) كما أخرجه البخاري/ 2541.

لهم ذمتك وذمة أصحابك. فإنكم أن تخفروا ذممكم وذمم أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله. وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله، فلا تنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك، فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا)[1] وذكره الإمام من طريق آخر[2].

وفي باب الأمر بالتيسير وترك التنفير يحدثنا فيقول: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب واللفظ لأبي بكر قال: حدثنا أبو أسامة عن بريد بن عبد الله عن أبي بردة عن أبي موسى. قال: كان رسول الله (عليه الصلاة والسلام) إذا بعث أحداً من أصحابه في بعض أمره قال: (بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا)[3].

وفي باب تحريم الغدر من كتاب الجهاد والسير (المغازي) يحدثنا الإمام بقوله: (حدثنا زهير بن حرب حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث حدثنا المستمر ابن الريان حدثنا أبو نظرة عن أبي سعيد: قال: قال رسول الله (عليه الصلاة والسلام): (لكل غادر لواء يوم القيامة يرفع له بقدر غدره، ألا غادر أعظم غدراً من أمير عامه)[4].

وفي باب جواز الخداع في الحرب يقول الإمام مسلم وحدثنا علي بن حجر السعدي وعمرو الناقد وزهير بن حرب - اللفظ لعلي وزهير. قال علي: أخبرنا وقال الآخران: حدثنا سفيان قال: سمع عمرو جابراً يقول: قال رسول الله (عليه الصلاة والسلام) (الحرب خدعة)[5] ومن طريق آخر وبنفس اللفظ قال رسول الله (الحرب خدعة)[6].

---

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب تأمير الإمام 1731.

(2) ينظر الإمام مسلم في صحيحه باب تأمير الإمام 1731.

(3) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب الأمر بالتيسير (1732) وكذلك أخرجه البخاري في 4343.

(4) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب تحريم الغدر (1738/ 16) وكذلك الإمام البخاري 3188.

(5) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب جواز الخداع في الحرب (1739) وكذلك أخرجه الإمام البخاري 3030/ 3031.

(6) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب جواز الخداع في الحرب (1740).

وفي باب كراهة تمني لقاء العدو والأمر بالصبر عند اللقاء يحدثنا الإمام مسلم فيقول حدثنا الحسن بن علي الحلواني وعبد بن حميد. قالا: حدثنا أبو عامر العقدي عن المغيرة - وهو ابن عبد الحزامي - عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن النبي (ﷺ) قال: (لا تمنوا لقاء العدو فإذا لقيتموه فاصبروا)[1]. وفي لفظ آخر أن رسول الله (عليه الصلاة والسلام) كان في بعض أيامه التي لقي فيها العدو ينتظر حتى إذا مالت الشمس قام فيهم فقال: (يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية. فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف. ثم قام النبي (ﷺ) وقال: اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم).

وفي باب استحباب الدعاء بالنصر عند لقاء العدو يحدثنا الإمام مسلم فيقول حدثنا: وحدثني حجاج بن الشاعر حدثنا عبد الصمد: حدثنا حماد عن ثابت عن أنس: (أن رسول الله (عليه الصلاة والسلام) كان يقول يوم أحد: اللهم إنك إن تشاء لا تعبد في الأرض)[2]وفي لفظ آخر قال: (دعا رسول الله (عليه الصلاة والسلام) على الأحزاب فقال: (اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم)[3].

وفي باب تحريم قتل النساء والصبيان في الحرب يحدثنا الإمام مسلم فيقول: حدثنا يحيى بن يحيى ومحمد بن رمح قالا أخبرنا الليث (ح) وحدثنا قتيبة ابن سعيد حدثنا ليث عن نافع عن عبد الله. إمرأة وجدت في بعض مغازي رسول الله (عليه الصلاة والسلام) مقتولة. فأنكر رسول الله (عليه الصلاة والسلام) قتل النساء والصبيان وفي لفظ آخر فنهى رسول الله (عليه الصلاة والسلام) عن قتل النساء والصبيان)[4].

وفي باب جواز قتل النساء والصبيان في البيات من غير عمد يحدثنا الإمام

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب كراهة تمني لقاء العدو (1741).

(2) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب استحباب الدعاء بالنصر، (1743) وأخرجه البخاري 2933.

(3) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب استحباب الدعاء بالنصر (858).

(4) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب تحريم قتل النساء، (1744) وكذلك أخرجه البخاري 3014.

مسلم فيقول: وحدثنا يحيى بن يحيى وسعيد بن منصور وعمرو الناقد جميعاً عن ابن عيينة قال يحيى: (أخبرنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس عن المصعب بن جثامة قال سئل النبي (عليه الصلاة والسلام) عن الذراري من المشركين يبيتون فيصيبون من نسائهم وذراريهم فقال: (هم منهم)[1] وفي لفظ آخر أن النبي (ﷺ) قيل له: لو أن خيلاً أغارت من الليل فأصابت من أبناء المشركين قال: (هم من أبنائهم).

وفي باب تحليل الغنائم لهذه الأمة خاصة يحدثنا الإمام مسلم حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء: حدثنا ابن المبارك عن معمر (ح) وحدثنا محمد بن رافع -واللفظ له- حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر، عن همام بن منبه قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله (عليه الصلاة والسلام) فذكر أحاديث منها وقال رسول الله (عليه الصلاة والسلام): (غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه: لا يتبعني رجل قد ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها ولما يبن. ولا آخر قد بنى بنياناً ولما يرفع سقفها ولا آخر قد اشترى غنماً أو خِلَفَاتٍ. وهو ينتظر ولادها. قال: فغزا فأدنى للقرية حين صلاة العصر -أو قريباً من ذلك- فقال للشمس: أنت مأمورَة وأنا مأمور اللهم احبسها علي شيئاً فحبست عليه حتى فتح الله عليه قال: فجمعوا ما غنموا فأقبلت النار لتأكله فأبت أن تطعمه. فقال: فيكم الغلول. فلتبايعني قبيلتك فبايعته. قال: فلصقت يد رجل بيده الغلول، أنتم غللتم. قال: فأخرجوا له مثل رأس بقرة من ذهب. قال: فوضعوه في المال وهو بالصعيد. فأقبلت النار فأكلته فلم تحل الغنائم لأحد من قبلنا ذلك بأن الله تبارك وتعالى رأى ضعفنا وعجزنا فطيبها لنا)[2].

وفي باب الأنفال يحدثنا الإمام مسلم بقوله وحدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا أبو عوانة عن سماك عن مصعب بن سعد عن أبيه قال: أخذ أبي من الخمس سيفاً فأتى به النبي (عليه الصلاة والسلام) فقال: هب لي هذا، فأبى فأنزل الله ﷻ:

---

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب جواز قتل النساء (1745) وكذلك أخرجه الإمام البخاري 3012.

(2) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب تحليل الغنائم، (1747) كما أخرجه البخاري في كتاب قرض الخمس (1324).

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ﴾ [الأنفال: 1] ويضيف لنا الإمام عن موضوع الأنفال بقوله: وحدثنا عبد الملك بن شعيب بن الليث. حدثني أبي عن جدي قال: حدثني عقيل بن خالد عن ابن شهاب عن سالم عن عبد الله أن رسول الله (عليه الصلاة والسلام) قد كان ينفل بعض من يبعث من السرايا لأنفسهم خاصة سوى قسم عامة الجيش والخمس في ذلك واجب كله)[(1)].

وهنا نرى أن الإمام مسلم (رحمه الله) في صحيحه في كتاب الجهاد والسير يحاول أن يجمع كل الأحاديث ذات العلاقة بموضوع الجهاد والمغازي ويستعرضها لنا بشكل دقيق ومن عدة طرق وبعدة ألفاظ حتى يكون قد ألم بالموضوع وأعطاه كل حقوقه العلمية والفقهية. فهو يقدم لنا العديد من الأبواب قبل أن يخوض أو يتحدث عن المغازي كما يريد الإمام أن يقدم لنا تفاصيل فقهية كاملة عن أحوال الجيش الإمارة والقيادة وما يحصل عند الأمراء من ملابسات.

وفي باب استحقاق القاتل سلب القتيل يحدثنا الإمام فيقول: وحدثنا أبو الطاهر وحرملة -واللفظ له - أخبرنا عبد الله بن وهب قال: سمعت مالك بن أنس يقول: حدثني يحيى بن سعيد عن عمر بن كثير بن أفلح عن أبي محمد مولى أبي قتادة عن أبي قتادة قال: خرجنا مع رسول الله (عليه الصلاة والسلام) عام حنين فلما التقينا كان للمسلمين جولة قال: فرأيت رجلاً من المشركين قد علا رجلاً من المسلمين فاستدرت إليه حتى أتيته من ورائه فضربته على حبل عاتقه وأقبل عليّ فضمني ضمة وجدت منها ريح الموت. ثم أدركه الموت.فأرسلني فلحقت عمر بن الخطاب فقال: ما للناس. فقلت أمر الله . ثم إن الناس رجعوا وجلس رسول الله (عليه الصلاة والسلام) فقال: (من قتل قتيلاً له عليه بينة فله سلبه، قال: فقمت فقلت: من يشهد لي؟ ثم جلست. ثم قال مثل ذلك. فقال فقمت فقلت من يشهد لي: ثم جلست ثم قال ذلك الثالثة.فقمت فقال رسول الله (عليه الصلاة والسلام) مالك يا أبا قتادة؟ فقصصت عليه القصة فقال: رجل من القوم صدق يا رسول الله سلب ذلك القتيل عندي فأرضه من حقه.وقال أبو بكر الصديق: لاها الله إذا لا يعمد

---

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب الأنفال (4586/ 40 (..) كما أخرجه الإمام البخاري في باب الدليل على أن الخمس (3135).

إلى أسد من أسد الله يقاتل عن الله وعن رسوله فيعطيك سلبه. فقال رسول الله (عليه الصلاة والسلام) (صدق فأعطه إياه) فأعطاني قال: فبعت الدرع فابتعت به مخرفاً في بني سلمة فإنه لأول مال تأثلته في الإسلام)[1].

وفي باب كيفية قسمة الغنيمة بين الحاضرين يحدثنا الإمام مسلم بقوله حدثنا يحيى بن يحيى وأبو كامل فضيل بن حسين كلاهما عن سليم قال يحيى أخبرنا سليم بن أخضر عن عبيد الله بن عمر. أن رسول الله (عليه الصلاة والسلام) قسم في النفل: للفرس سهمين وللرجل سهماً)[2] وفي باب ربط الأسير وحبسه وجواز المن عليه يحدثنا الإمام مسلم بقوله حدثنا قتيبة بن سعيد: حدثنا ليث عن سعيد ابن أبي سعيد أنه سمع أبا هريرة يقول بعث رسول الله (ﷺ) خيلاً قِبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال. سيد أهل اليمامة. فربطوه بسارية من سواري المسجد فخرج إليه رسول الله (ﷺ) فقال: (ماذا عندك يا ثمامة. فقال عندي: يا محمد خير. إن تقتل تقتل ذا دم تنعم تنعم على شاكر وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت فتركه رسول الله (عليه الصلاة والسلام) حتى كان بعد الغد فقال: (ماعندك يا ثمامة؟) قال: ماقلت لك. إن تنعم تنعم على شاكر وإن تقتل تقتل ذا دم. وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت. فقال رسول الله (عليه الصلاة والسلام) (أطلقوا ثمامة) فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لاإله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. يا محمد والله ما كان على الأرض وجه أبغض إليّ من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إليَّ. والله ما كان دين أبغض إليّ من دينك فأصبح دينك أحب الدين كله إلي والله ما كان بلد أبغض إليّ من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إلي. وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى؟ فبشره رسول الله (ﷺ) وأمره أن يعتمر.

فلما قدم مكة قال له قائل: أصبوت؟ فقال: لا ولكني أسلمت مع رسول الله

---

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب استحقاق القاتل سلب القتيل (1751) وكذلك أخرجه البخاري في باب بيع السلاح في الفتنة رقم (2100).

(2) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب كيفية قسمة الغنيمة (1762).

(عليه الصلاة والسلام) ولا والله، لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله (عليه الصلاة والسلام)[1] وأخرجه من طريق آخر[2]. بنفس اللفظ.

مما سبق عرضه آنفاً وجدنا بأن الإمام مسلم(رحمه الله) قد حرص بشكل كبير على تقديم كل ما هو فقهي ومتعلق بأحوال الجهاد والغزو والقتال والأسر حتى يتبصر المسلم بأحوال القتال والجهاد في عصر الرسالة وحتى يكون ذلك منهجاً تسير عليه الأمة فيما بعد. فهو في مقدمته تلك يستعرض كافة المسائل الفقهية ذات العلاقة بالقتال وأحواله كافة.

وبعد ذلك يقدم لنا الإمام المسائل ذات العلاقة بالسيرة والمغازي إلا أنه يعرضها على أبوابه الفقهية، ولما كانت هذه الطريقة لا تخدم قارئ السيرة الذي يرغب التطلع إلى أحوال السيرة بشكل زمني متسلسل. كان لا بد لنا من تبويبها حسب التسلسل الزمني للأحداث وهذا بحد ذاته تطلب جهداً فائقاً في ترتيب الأحداث حسب وثائقها التاريخية وليس الفقهية ونأمل أن نكون موفقين في عرضها بشكل سليم صحيح.

في بداية حديث الإمام مسلم (رحمه الله) في كتاب الإيمان باب الوحي وهو هنا يخالف الإمام البخاري (رحمه الله) الذي تناول عدة مسائل قبل الحديث عن الوحي منها رحلة سيدنا إبراهيم وزوجته إلى مكة ثم باب مبعث النبي (صلى الله عليه وسلم) ثم باب تسمية محمد ثم وفاة عبد الله ثم باب أيام الجاهلية ثم حديث زيد بن عمرو بن نفيل قبل الإسلام ثم باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل ثم باب بنيان الكعبة ثم تزويج السيدة خديجة وفضلها (رضي الله عنها) ثم عبادة الأوثان ثم الوحي ثم باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله (عليه الصلاة والسلام)[3]. يبدو أن الإمام البخاري (رحمه الله) قد غطى مساحة كبيرة من حياة الرسول (عليه الصلاة والسلام)

---

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب ربط الأسير (1764) وأخرجه البخاري في كتاب الصلاة. باب الاغتسال رقم (462).

(2) ينظر الإمام مسلم، المكان نفسه.

(3) ينظر رياض هاشم هادي، السيرة النبوية برواية الإمام البخاري، ط1 (موصل: 1431هـ/ 2010) 29-36.

قبل البعثة في حين أن الإمام مسلم لم يتطرق إليها من قريب أو بعيد ولم يقدم لنا سبب إعراضه عن الكتابة عن هذه المرحلة هل بسبب عدم قناعته بالأحداث أم أنه وجد بأن الإمام البخاري تناولها لذا أثر عدم الحديث عنها. ومع ذلك سنحاول تقديم ما قدمه الإمام مسلم عن كيفية نزول الوحي وهو يخالف كذلك أصحاب المغازي والسير من أمثال ابن إسحاق والواقدي وابن سعد والبلاذري الذين كتبوا عن هذه المرحلة شيئاً طيباً ومفيداً على الرغم من أنه لا يخلو البتة من روايات غير صحيحة ففي باب بدء الوحي إلى رسول الله (عليه الصلاة والسلام) يقول الإمام مسلم (رَحِمَهُ اللَّهُ) حدثنا أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن عبد الله بن عمرو بن سرح. أخبرنا ابن وهب. قال: أخبرني يونس عن ابن شهاب قال: حدثني عروة ابن الزبير: أن عائشة زوج النبي (عليه الصلاة والسلام) أخبرته أنها قالت: كان أول ما بدء به رسول الله (عليه الصلاة والسلام) من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لايرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه (وهو التعبد) الليالي اولات العدد. قبل أن يرجع إلى اهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها)[1]. حتى فجئه الوحي وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال: اقرأ وقال: (ما أنا بقارئ) قال، فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد. ثم أرسلني فقال: اقرأ. قال قُلت: (ما أنا بقارئ) قال: فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد. ثم ارسلني فقال: اقرأ فقلت: (ما أنا بقارئ) فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد. ثم ارسلني فقال: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ [العلق: 1-5] وعاد رسول الله إلى بيته (ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال: (زملوني زملوني) فزملوه حتى ذهب عنه الروع ثم قال لخديجة: (أي خديجة! مالي) واخبرها الخبر قال: (لقد خشيت على نفسي)[2]. قالت له خديجة: (كلا، أبشر فوالله لايخزينك الله ابداً. والله إنك لتصل الرحم

---

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب بدء الوحي (160) وأخرجه البخاري 3392، 4953، 4955، 4956، 4957، 6982.

(2) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب بدء الوحي (160).

وتصدق الحديث، وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرئ الضيف وتعين على نوائب الحق)[1]. فانطلقت به خديجة حتى اتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى وهو ابن عم خديجة أخي ابيها وكان امرءاً تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربي ويكتب من الانجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب وكان شيخاً كبيراً قد عمي فقالت له خديجة أي عم: اسمع من ابن أخيك)[2].

قال له ورقة بن نوفل: يا ابن أخي: ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله (ﷺ) خبر ما رأه.

فقال له ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على موسى (عليه السلام) يا ليتني فيها جذعاً، يا ليتني أكون حياً حين يخرجك قومك. قال رسول الله (ﷺ) (أومخرجي هم؟) قال ورقة: نعم لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك انصرك نصراً مؤزراً)[3].

ويضيف الإمام مسلم في مقطع آخر ويقول حدثني أبو الطاهر أخبرنا ابن وهب قال: حدثني يونس قال: قال ابن شهاب: أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن: أن جابر بن عبد الله الأنصاري (وكان من أصحاب الرسول) (عليه الصلاة والسلام) كان يحدث قال: قال رسول الله (ﷺ) وهو يحدث عن فترة الوحي (قال في حديثه) (فبينما أنا امشي سمعت صوتاً من السماء، فرفعت رأسي. فإذا الملك الذي جاءني جالساً على كرسي بين السماء والارض) قال رسول الله (ﷺ): (فجئت منه فرقاً فرجعت فقلت: زملوني زملوني فدثروني[4] فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥﴾ [المدثر: 1-5] قال: ثم تابع الوحي[5].

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب بدء الوحي (160).

(2) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان باب بدء الوحي (252/ 160).

(3) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان باب بدء الوحي 255/ 161.

(4) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان باب بدء الوحي (255/ 161) أخرجه البخاري كذلك 4، 3238، 4925، 4926، 4954، 6214.

(5) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب بدء الوحي (255/ 161) أخرجه البخاري كتاب التهجد، باب ترك القيام للمريض (1125).

وعودة إلى كتاب الجهاد والسير (المغازي) وحول باب الوحي يحدثنا الإمام فيقول. حدثنا إسحاق بن إبراهيم أخبرنا سفيان عن الاسود بن قيس أنه سمع جندباً يقول: أبطأ جبريل على رسول الله (ﷺ) فقال المشركون: قد ودع محمد. فأنزل الله ﷻ: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى: 1-3].

ومن طريق آخر يحدثنا الإمام مسلم حول نفس الموضوع فيقول: (حدثنا إسحاق بن إبراهيم ومحمد بن رافع، واللفظ لابن رافع. قال إسحاق أخبرنا وقال ابن رافع: حدثنا يحيى بن ادم حدثنا زهير عن الاسود بن قيس قال: سمعت جندب بن سفيان يقول: اشتكى رسول الله (ﷺ): فلم يقم ليلتين أو ثلاثاً فجاءته امرأة فقالت: يا محمد إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك. لم اره قربك منذ ليلتين أو ثلاث. قال فأنزل الله ﷻ: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ [الضحى: 1-3].

وينتقل الإمام مباشرة إلى موضوع تبليغ الدعوة إلى الناس ويضعها في باب (قوله تعالى): ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ من كتاب الإيمان فيقول: حدثنا قتيبة بن سعيد وزهير بن حرب قالا: حدثنا جرير عبد الملك بن عمير عن موسى بن طلحة: عن أبي هريرة قال: لما أنزلت هذه الآية: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[1] وعاد رسول الله (ﷺ) قريشاً فاجتمعوا. فعم وخص. فقال: (يا بني كعب بن لؤي: أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عمرو بن كعب! أنقذوا أنفسكم من النار. يا بني عبد شمس! أنقذوا أنفسكم من النار. يا بني عبد مناف! أنقذوا أنفسكم من النار. يا بني هاشم! أنقذوا أنفسكم من النار يا بني عبد المطلب! أنقذوا أنفسكم من النار يافاطمة! أنقذي نفسك من النار. فإني لا أملك لكم من الله شيئاً غير أن لكم رحماً سابلُّها ببلالها)[2].

ومن طريق آخر يحدثنا الإمام مسلم: حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير حدثنا

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان باب بيان من مات على الكفر (348/ 204).

(2) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان باب بيان من مات على الكفر (348/ 204).

وكيع ويونس بن بكير. قالا: حدثنا هشام بن عروة عن أبيه: عن عائشة قالت لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ قام رسول الله (ﷺ) على الصفا فقال (يا فاطمة بنت محمد! يا صفية بنت عبد المطلب! يا بني عبد المطلب! لا أملك لكم من الله شيئاً سلوني من مالي ما شئتم)[1].

لقد ذكر الإمام مسلم دعوة الرسول محمد (عليه الصلاة والسلام) لقومه من عدة طرق وبالعديد من الألفاظ[2]. إلا أنها جميعاً محصورة في دعوة آل بيته وقومه إلى الإسلام والإيمان بدعوة التوحيد. فكان لا بد من البدء مع القوم والعشيرة لأن المجتمع يقوم انذاك على العصبية القبلية وعلى صلة الرحم وقرابة الدم. فكان لا بد أن يبدأ الخطاب القرآني بهم لأنهم أوْلى الناس بهذا الإنذار غير أننا نرى أن الإمام يحدثنا عن موقف مُعادٍ مقيت للرسول (عليه الصلاة والسلام) ودعوته ففي باب ما لقي النبي (ﷺ) من أذى المشركين والمنافقين يقول وحدثنا عبد الله بن عمر بن محمد بن أبان الجعفي حدثنا عبد الرحيم، يعني بن سليمان عن زكريا، عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون الأودي عن بن مسعود قال: بينما رسول الله يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس وقد نحرت جزور بالامس. فقال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سلا جزور بني فلان فيأخذه فيضعه في كتفي محمد إذا سجد؟ فانبعث أشقى القوم فأخذه. فلما سجد النبي (ﷺ) وضعه بين كتفيه قال: فاستضحكوا وجعل بعضهم يميل إلى بعض. وأنا قائم أنظر لو كانت لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله (ﷺ) والنبي ساجد ما يرفع رأسه. حتى انطلق انسان فأخبر فاطمة فجاءت هي وجويرية فطرحته عنه ثم اقبلت عليهم تشتمهم فلما قضى النبي (ﷺ) صلاته رفع صوته ثم دعا عليهم. وكان إذا دعا ثلاثاً وإذا سأل ثلاثاً. ثم قال: (اللهم عليك بقريش ثلاث مرات. فلما سمعوا صوته ذهب الضحك وخافوا دعوته. ثم قال: (اللهم عليك بأبي جهل بن هشام

---

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان باب بيان من مات على الكفر (350/ 205).

(2) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان باب أن من مات على الكفر (348/ 204، 349/ 204، 350/ 205، 351/ 204، 352/ 206، 352/ 206) كذلك أخرجه الإمام البخاري، 3527.

وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عقبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط. وذكر السابع ولم احفظه فو الذي بعث محمداً بالحق لقد رأيت الذي سمى صرعى يوم بدر ثم سحبوا إلى القليب قليب بدر)[1].

ومن طريق آخر يحدثنا الإمام مسلم فيقول: حدثنا محمد بن المثنى ومحمد ابن بشار واللفظ لابن المثنى. قالا حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة قال: سمعت أبا إسحاق يحدث عن عمر بن ميمون عن عبد الله قال: بينما رسول الله (ﷺ) ساجد وحوله ناس من قريش إذ جاء عقبة بن أبي معيط بسلا جزور فقذفه على ظهر رسول الله (ﷺ) فلم يرفع رأسه فجاءت فاطمة فأخذته عن ظهره ودعت على من صنع ذلك. فقال: اللهم عليك الملأ من قريش أبا جهل بن هشام وعقبه بن ربيعة وعقبة بن أبي معيط وشيبة بن ربيعة وأمية بن خلف أو ابن أبي خلف وشعبه الشاك قال: فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر فألقوا في بئر غير أن أمية أو أبياً فقطعت أوصاله فلم يلق في البئر)[2].

بداية كان كفار مكة من زعماء الملأ ينظرون إلى دعوة الرسول (ﷺ) كواحد من الدعاة الاحناف الذي كانوا يدعون إلى توحيد الله ونبذ الشرك والوثنية من أمثال قس بن ساعدة الأيادي وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل ويستغلون مواسم الأسواق والحج والعمرة لإظهار ذلك. غير أنهم وجدوا بعد ذلك أن دعوة الرسول (ﷺ) هي ليست كتلك الدعوات وأنها بدأت تؤثر على معتقداتهم الدينية ومكانتهم في مجتمع مكة الجاهلي وخصوصاً عند نزول السور المكية التي انهالت على الاباء والاجداد بالويل والثبور وأن مصيرهم جهنم وبئس المصير ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ [الأنبياء: 98] لقد كانت هذه الآيات وغيرها تزلزل عقيدة الشرك والوثنية التي

---

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الجهاد والسير باب 107/ 1794 أخرجه البخاري في باب إذا لقي على ظهر المصلي قذر (240).

(2) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الجهاد والسير باب ما لقي النبي عليه الصلاة والسلام من أذى (1794/ 108) كما أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الوضوء ما لقي على ظهر المصلي (240).

سارت عليها قريش. فعملت قريش أولاً على ارسال سفارات إلى أبي طالب لحث محمد (عليه الصلاة والسلام) على عدم الإساءة إلى الأباء والأجداد والمعتقدات والا سيناله منهم هو وأتباعه ما يسوؤهم من الاضطهاد والقتل والتنكيل. ولما فشلت كل أساليب قريش في اقناع الرسول (ﷺ) في الكف عن سب الاله ونعتها بالجاهلية وأن معتنقيها مصيرهم جهنم وبئس المهاد. انتقلت قريش إلى مرحلة الدفاع عن عقيدتها بطرق عديدة منها فرض الحصار على بني هاشم وعبد المطلب لا سيما أن فشل قريش في اقناع عم الرسول (عليه الصلاة والسلام) بالتخلي عنه لكي يسهل قتله من قبل قريش ثم اضطهاد أتباع الرسول (عليه الصلاة والسلام) من الموالي والعبيد والشرفاء نساءً ورجالاً مما دفع الرسول (عليه الصلاة والسلام) إلى الايذان للمسلمين الاوائل بالهجرة إلى الحبشة خوفاً من بطش قريش بهم[1]. ثم إن زعماء مكة أحكموا سيطرتهم على تحركات الرسول (عليه الصلاة والسلام) بعد وفاة عمه أبي طالب ومجيء عمه أبي لهب الذي كان من أشد أعداء الرسول (عليه الصلاة والسلام) ودعوته. مما اضطره إلى السفر إلى الطائف. هذه الفترة لم يكتب عنها أصحاب الصحاح والسنن أي شيء غير أنها فترة مهمة جداً في مسيرة الدعوة والرسالة الإسلامية ولم يقدموا لنا سبباً لإغفالهم الحديث عنها لأنها خالية من أية قضايا فقهية أم أنهم رؤوا أن الروايات لا تستقيم أمام النقد ومع ذلك نجد أن الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الجهاد والسير باب ما لقي رسول الله (ﷺ) من أذى المشركين يحدثنا عن رحلة رسول الله (ﷺ) إلى الطائف فيقول: وحدثني أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن سرح وحرملة بن يحيى وعمرو بن سواد العامري وألفاظهم متقاربة. قالوا حدثنا بن وهب قال أخبرني يونس عن بن شهاب حدثني عروة بن الزبير. أن عائشة زوج النبي (عليه الصلاة والسلام) حدثته أنها قالت لرسول الله (عليه الصلاة والسلام) يا رسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد فقال (ﷺ): (لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على بن عبد ياليل بن عبد كلال

(1) ينظر رياض هاشم هادي، الوجيز في السيرة، ط1، (موصل: 2008) 185.

فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إن الله ﷻ قد سمع قول قومك وما ردوا عليك. وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم قال: فناداني ملك الجبال وسلّم عليّ. ثم قال: يامحمد إن الله قد سمع قول قومك لك. وأنا ملك الجبال. وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك. فما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين. فقال له رسول الله (عليه الصلاة والسلام): بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لايشرك به شيئاً)[1] وفي رواية أخرى للإمام حول نفس الموضوع يقول: حدثنا يحيى بن يحيى وقتيبة بن سعيد كلاهما عن أبي عوانة قال يحيى: أخبرنا أبو عوانة عن الأسود بن قيس عن جندب بن سفيان قال دميت أصبع رسول الله (عليه الصلاة والسلام) في بعض تلك المشاهد فقال:

هل أنت إلا أصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت[2]

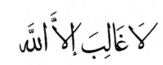
وفي رواية أخرى: يحدثنا الإمام عن هذه المسألة بقوله: (وحدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة وإسحاق بن إبراهيم جميعاً عن بن عيينة عن الأسود بن قيس بهذا الإسناد وقال: كان رسول الله (ﷺ) في غار فنكبت أصبعه)[3].

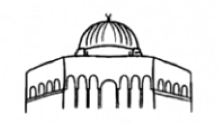
---

(1) أخرجه الإمام مسلم في باب ما لقي النبي من أذى المشركين (1795) كما أخرجه البخاري في باب إذا قال أحدكم أمين والملائكة (3231).

(2) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب ما لقي النبي (1796) كما أخرجه البخاري في باب من ينكب في سبيل الله (2802).

(3) ينظر الإمام مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله (ﷺ) إلى السموات وفرض الصلوات، 259 (162).






اللهم نجّ المستضعفين من المؤمنين في
كل مكان ، اللهم الطف بِـ أمة نبيّك
محمـد ﷺ وارحمها وفـرّج كربتـا

فصل في رحلة الإسراء والمعراج

ونستمر في رحاب صحيح مسلم (رحمه الله) وهو يستعرض لنا بعلمية محدث عالم كبير أهم الأحداث التي مرت بحياة الرسول (عليه الصلاة والسلام) والتي وجدها جداً مهمة وضرورية فعرضها (رحمه الله) علينا بشكل سلس طيب فجزاه الله خيراً على جهوده في نقل السيرة النبوية بهذا الشكل غير القابل للرد أو الطعن. ففي كتاب الإيمان باب الإسراء والمعراج برسول الله (عليه الصلاة والسلام) إلى السماوات وفرض الصلوات يحدثنا فيقول: حدثنا شيبان بن فروخ، حدثنا حماد ابن سلمة، حدثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك أن رسول الله (عليه الصلاة والسلام) قال: (أتيت بالبراق، (وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه) قال: فركبته حتى أتيت بيت القدس. قال: فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء. قال: ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين. ثم خرجت. فجاءني جبريل (عليه السلام) بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن. فقال جبريل عليه السلام: اخترت الفطرة. ثم عرج بنا إلى السماء، فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل وقد بعثت إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا. فإذا أنا بآدم. فرحب بي ودعا لي بخير. ثم عرج بنا إلى السماء الثانية. فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل: من أنت؟ قال: جبريل قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعثت إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا فإذا أنا بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا صلوات الله عليهما فرحبا ودعوا لي بخير. ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة. فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال محمد. قيل وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه ففتح لنا. فإذا أنا بيوسف (عليه السلام) إذا هو قد أعطي شطر الحسن فرحب ودعا لي بالخير. ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة. فاستفتح جبريل (عليه السلام) قيل: من هذا؟ قال: جبريل قيل ومن معك قال: محمد، قال: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه ففتح

لنا. فإذا أنا بإدريس فرحب ودعا لي بخير. قال الله ﷻ ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧﴾ ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة، فاستفتح جبريل، قيل من هذا؟ قال: جبريل. قيل ومن معك؟ قال محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا فإذا أنا بهارون عليه السلام فرحب ودعا لي بخير. ثم عرج بنا إلى السماء السادسة. فاستفتح جبريل عليه السلام قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد (عليه الصلاة والسلام) قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بموسى عليه السلام فرحب ودعا لي بخير. ثم عرج إلى السماء السابعة. فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد (عليه الصلاة والسلام) قيل: وقد بعثت إليه؟ قال: قد بعثت إليه ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم عليه السلام مسنداً ظهره إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه. ثم ذهب بي لسدرة المنتهى، وإذا ورقها كأذان الفيلة. وإذا ثمرها كالقلال. قال فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها فأوحى الله إليّ ما أوحى ففرض عليّ خمسين صلاة في كل يوم وليلة.

فنزلت إلى موسى عليه السلام فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قلت خمسين صلاة قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف. فإن أمتك لا يطيقون ذلك. فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم. قال: فرجعت إلى ربي فقلت: يارب: خفف على أمتي فحط عني خمساً. فرجعت إلى موسى فقلت حط عني خمساً. قال: إن أمتك لا يطيقون ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف. قال: فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام حتى قال: يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة. لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة. فإن عملها كتبت له عشراً. ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئاً فإن عملها كتبت سيئة واحدة) قال: فنزلت حتى انتهيت إلى موسى عليه السلام، فأخبرته فقال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف. فقال رسول الله (عليه الصلاة والسلام) فقلت: قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه)[1].

(1) أخرجه الإمام مسلم في باب الإسراء والمعراج، (259/ 162).

فصل حادثة شق الصدر

ومن الأمور التي يحدثنا الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان باب الإسراء والمعراج مسألة مهمة جداً وهي حادثة شق الصدر التي أثبتها علماء الصحاح والسنن وذكرها أصحاب المغازي والسير وشكك بها الباحثون المعاصرون فالبعض منهم لم يوردها في أحاديثه عندما يتحدث عن السيرة النبوية نهائياً ولم يعلق أبداً ونحن نقول طالما ذكرها أصحاب الصحاح والسنن فهي من المسلمات غير القابلة للطعن، والله أعلم.

وإن حادثة شق الصدر تعد من المسائل المهمة في حياة الرسول (عليه الصلاة والسلام) فالإمام البخاري تحدث عنها[1]. وكذلك الإمام مسلم تناولها بشيء من الإيجاز إلا أن تناوله إياها وسردها في صحيحه تدل على علو شأنها وصحتها ودقتها وكذلك فعل بعض أصحاب المغازي والسير مثل الإمام السهيلي في كتابه الروض الأنف[2] حدثنا بقوله: (الأولى في حالة الطفولة لينقى قلبه من مغمز الشيطان، وليطهَّر ويقدس من كل خلق ذميم حتى لا يتلبس بشيء مما يعاب على الرجال، وحتى لا يكون في قلبه شيء إلا التوحيد. ولذلك فوليا عني، يعني الملكين، وكأني أعاين الأمر معاينة)[3].

ويضيف في مقطع أخر: وجاء الغسل بالثلج لما يشعر الثلج من ثلج اليقين وبرده على الفؤاد. وكذلك هناك حصل له اليقين بالأمر الذي يراد به وبوحدانية ربه)[4].

وأما حدوث شق الصدر للمرة الثانية فكان بعد عودته (عليه الصلاة والسلام)

---

(1) ينظر البخاري، صحيح، كتاب المناقب، باب مكان النبي تنام عينه (3570).

(2) ينظر الإمام أبي القاسم السهيلي، الروض الأنف، تحقيق مجدي بن منصور، ط1 (بيروت: د/ت) 1/ 291-292.

(3) السهيلي، المكان نفسه.

(4) السهيلي، المكان نفسه.

من الطائف وقبل رحلة الإسراء والمعراج المباركة[1].

وأما الإمام مسلم في صحيحه فيعرضها بالشكل الآتي:

ويبدو أنها أكثر من مرة حدثت للرسول (عليه الصلاة والسلام) الأولى عندما كان في مضارب حليمة السعدية وعمره آنذاك سنتان والثانية عندما أذن له بالإسراء والمعراج برفقة سيدنا جبريل عليه السلام وسوف نعرضها كما قدمها الإمام يقول: حدثني عبد الله بن هاشم العبدي حدثنا بهز بن أسد. حدثنا سليمان بن المغيرة. حدثنا ثابت: عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله (عليه الصلاة والسلام): أتيت فأنطلقوا بي إلى زمزم فشرح عن صدري ثم غسل بماء زمزم ثم أنزلت)[2]. وفي رواية أخرى بلفظ آخر يقول: حدثنا شيبان بن فروخ. حدثنا حماد بن سلمة. حدثنا ثابت البناني: عن أنس بن مالك أن رسول الله (عليه الصلاة والسلام) أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان. فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب فاستخرج منه علقة. فقال: هذا حظ الشيطان منك. ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه. ثم أعاده في مكانه. وجاء الغلمان يسعون إلى أمه(يعني ظئره) فقالوا: إن محمداً قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون. قال أنس. وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره)[3].

وأما في الثانية والتي هي على ما يبدو تمت قبل رحلة الإسراء والمعراج فيحدثنا عنها الإمام مسلم (رحمه الله) بقوله: حدثنا هارون بن سعيد الأيلي، حدثنا بن مهب. قال: أخبرني سليمان (وهو بن بلال)[4]، قال: حدثني شريك بن عبد الله ابن أبي نمر قال: سمعت أنس بن مالك يحدثنا عن ليلة أسري برسول الله (عليه الصلاة والسلام) من مسجد الكعبة. أنه جاء ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه. وهو نائم في المسجد الحرام.

---

(1) السهيلي، المكان نفسه.

(2) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب الإسراء والمعراج (26/ 162).

(3) أخرجه الإمام البخاري مسلم في صحيحه في باب الإسراء والمعراج (261/ 162) وقد أخرجه الإمام البخاري برقم 3570، 4964.

(4) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب الإسراء والمعراج (262/ 162).

وساق الحديث بقصته نحو حديث ثابت البناني وقدم فيه شيئاً وأخر وزاد ونقص[1]. وفي رواية أخرى يحدثنا الإمام عن نفس الحادثة فيقول: وحدثني حرملة بن يحيى التجيبي أخبرنا بن وهب. قال: أخبرني يونس عن بن شهاب: عن أنس بن مالك قال: كان أبو ذر يحدث أن رسول الله (عليه الصلاة والسلام) قال: (فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل عليه السلام ففرج صدري ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً. فأفرغها في صدري. ثم أطبقه)[2]. ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء. فلما جئنا السماء الدنيا قال جبريل عليه السلام لخازن السماء الدنيا: إفتح ويسرد نفس القصة التي ذكرناها آنفاً.

وأما الإمام البخاري (رحمه الله) يحدثنا عن حادثة شق الصدر التي جرت للرسول (عليه الصلاة والسلام) قبل رحلة الإسراء والمعراج فيقول حدثنا إسماعيل قال: حدثني أخي، عن سليمان، عن شريك بن عبد الله ابن أبي نمر: سمعت أنس بن مالك يحدثنا عن ليلة أسري بالنبي (صلى الله عليه وسلم) من مسجد الكعبة جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه. وهو نائم في مسجد الحرام. فقال أولهم: أيهم هو؟ فقال أوسطهم: هو خيرهم وقال آخرهم: خذوا خيرهم.فكانت تلك. فلم يرهم حتى جاءوا ليلة أخرى فيما يرى قلبه والنبي صلى الله عليه وسلم نائمة عيناه ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم. فتولاه جبريل. ثم عرج به إلى السماء)[3].

مما سبق عرضه نرى قد يكون هناك اتفاق إلى حد ما بين أصحاب السنن والصحاح مع أصحاب المغازي والسير حول موضوع محدد على الرغم من اختلاف الروايات في عرض تلك الحادثة أو القصة. إن هذا التوافق يدل على صحة تلك القصة أو الرواية وإلا فكيف اتفق أن يرويها علماء الحديث من أمثال الإمام البخاري ومسلم وأصحاب السنن من أمثال السهيلي وغيرهم.

---

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب الإسراء والمعراج (262/ 162).

(2) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب الإسراء والمعراج (260/ 162، 261/ 162، 262/ 162، 263/ 163) كما أخرجه البخاري من نفس الباب 3570، 4964، عن قتادة، 5610 وعن قتادة 6581 وعن قتادة 7517.

(3) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب المناقب، باب كان النبي صلى الله عليه وسلم (3570).

سبق أن ذكرنا أن أصحاب الصحاح والسنن لم يذكروا جميع الأحداث التي مرت بحياة الرسول (عليه الصلاة والسلام) فقد نرى هناك انتقالات سريعة في عرض بعض الأحداث والتغافل عن أحداث مرت فعلاً بحياة الرسول (عليه الصلاة والسلام) وهو يدعو الناس إلى توحيد الله وترك عبادة الشرك والأوثان فمثلا نجد أن الإمام مسلم ينتقل بسرعة من عودته من رحلة الإسراء والمعراج إلى ذكر أحداث حدثت في المدينة مثل بناء المسجد النبوي. في حين هناك أحداث خطيرة مرت على الدعوة في هذه المرحلة مثلاً أن قريش بعد عودة الرسول (عليه الصلاة والسلام) من رحلة الإسراء والمعراج ويحدث أهل مكة بما رأى وشاهد فيكذبه العديد منهم وحتى من الذين آمنوا به ويرتد البعض منهم عن التوحيد. كما أن هجرة الرسول (ﷺ) إلى الطائف وعودته منها ودخوله مكة بجوار المطعم بن عدي قبل هذه الرحلة أن هذا الأمر وغيره دفع بزعماء مكة إلى اتخاذ موقف حاسم من الرسول (عليه الصلاة والسلام) ودعوته في هذه المرحلة التي أصبح فيها (عليه الصلاة والسلام) فاقداً لأي سند عشائري يحميه من اعتداءات صعاليك قريش وكفارها. فذهبوا إلى كبيرهم أبي عبد شمس الوليد بن المغيرة يستشيرونه في اتخاذ موقف موحد ضد الرسول (عليه الصلاة والسلام) ودعوته ويصف لنا القرآن الكريم[1]. هذا الموقف بكل دقة وإتقان وروعة الذي عبر فيه الوليد عن موقفه المعاند للإسلام ولرسوله قال تعالى ﷻ: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾ [المدّثّر: 17-25]. وهذه المسألة وقف عندها أصحاب التفسير بالشرح والتعليق وفي مقدمتهم العلامة بن الأثير بقوله: (يقول تعالى متوعداً لهذا الخبيث الذي أنعم الله عليه بنعم الدنيا فكفر بأنعم الله وبدلها كفراً وقابلها بالجحود بآيات الله والافتراء عليها وجعلها من قول البشر وقد عدد الله عليه نعمه)[2].

---

(1) سورة المدثر، الأيات، 18-25.

(2) عماد الدين أبي الفداء بن كثير: تفسير القرآن العظيم، اعتنى به محمد ناصر الألباني، ط1 (1425هـ/ 2004م) 8/ 166-170..

وفي قوله تعالى ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ١٨﴾ أي إنما أرهقناه صعوداً أي قربناه من العذاب الشاق لبعده عن الإيمان لأنه (فكر وقدر) أي: تروى ماذا يقول في القرآن حين سئل عن القرآن ففكر ماذا يختلق من المقال (وقدر) أي: تروى ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ٢٠﴾ دعاء عليه ﴿ثُمَّ نَظَرَ ٢١﴾ أي: أعاد النظر والتروي ﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾ أي: قبض بين عينيه وقطب ﴿وَبَسَرَ﴾ أي: كلح وكره، ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ﴾ أي صرف عن الحق ورجع القهقري مستكبراً عن الانقياد للقرآن ﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ٢٤﴾) أي هذا سحر ينقله محمد وغيره عمن قبله ويحكيه عنهم، وإن هذا ليس بكلام الله[1].



اللهم نجِّ المستضعفين من المؤمنين في
كل مكان ، اللهم الطف بِ أمة نبيِّك
محمد ﷺ وارحمها وفرّج كربتها

(1) ابن الأثير، التفسير، المكان نفسه.



فصل الأحداث السابقة للهجرة الكبيرة

ثم إن قريشاً اتفقت على تشكيل فريقين فريق المستهزئين وفريق المقتسمين الذي أخذوا على عاتقهم محاربة الرسول (عليه الصلاة والسلام) أينما ذهب وأعانهم في ذلك عمه أبو لهب. ولم يحدثنا أصحاب السنن كيف أن العناية الإلهية فرجت عن رسول الله (عليه الصلاة والسلام) بإسلام أهل يثرب ومبايعة الرسول (عليه الصلاة والسلام) في العقبة الأولى والثانية. وأن الرسول (عليه الصلاة والسلام) أمر المسلمين بالهجرة إلى يثرب لإقامة المسلمين فيها وإنشاء دولة الإسلام فيها. وكيف أنه عمل على المصالحة ما بين الأوس والخزرج ونظم أمور المدينة أليست هذه الأحداث مهمة في مسيرة الدعوة الإسلامية؟

فصل تنظيمات الرسول (ﷺ) في المدينة

وينتقل الإمام ليعرض لنا مسألة جداً مهمة في حياة الدعوة ألا وهي ابتناء المسجد النبوي فنراه يقول حدثنا يحيى بن يحيى وشيبان بن فروخ كلاهما عن عبد الوارث: قال يحيى: أخبرنا عبد الوارث بن سعيد عن أبي التياح الضبعي[1]: حدثنا أنس بن مالك: أن رسول الله (عليه الصلاة والسلام) قدم المدينة فنزل في علو المدينة في حي يقال لهم بنو عمرو بن عوف. فأقام فيهم أربع عشرة ليلة. ثم إنه أرسل إلى ملأ بني النجار. فجاؤوا متقلدين سيوفهم قال: فكأني أنظر إلى رسول الله (عليه الصلاة والسلام) على راحلته وأبو بكر ردفه وملأ بني النجار حوله. حتى بفناء أبي أيوب قال فكان رسول الله (عليه الصلاة والسلام) يصلي حيث أدركته الصلاة. ويصلي في مرابض الغنم. ثم إنه أمر بالمسجد. قال:

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب المساجد باب ابتناء مسجد النبي (9/ 524) كما أخرجه البخاري برقم 234، 428، 1868.

فأرسل إلى ملأ بني النجار فجاؤوا فقال: (يا بني النجار: ثامنوني بحائطكم هذا قالوا: لا والله: لا نطلب ثمنه إلا إلى الله قال أنس: فكان فيه ما أقول كان فيه نخل وقبور المشركين وخرب. فأمر رسول الله (عليه الصلاة والسلام) بالنخل فقطع وبقبور المشركين فنبشت وبالخرب فسويت. قال فصفوا النخل قبلة وجعلوا عضادتيه حجارة. قال: فكانوا يرتجزون ورسول الله (عليه الصلاة والسلام) معهم وهم يقولون: (اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة فانصر الأنصار والمهاجرة)[1].

وقد عرض الإمام البخاري (رحمه الله) في صحيحه عدة روايات قبل الإمام مسلم عن بناء المسجد فمن هذه الروايات قال: حدثنا آدم قال: حدثنا شعبة قال: أخبرنا أبو التياح يزيد بن حميد، عن أنس قال: كان النبي (ﷺ) يصلي قبل أن يبني المسجد في مرابض الغنم)[2]. والرواية الثانية نقلها الإمام مسلم نصاً[3]. وهناك روايات عديدة وبألفاظ مختلفة[4].

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب ابتناء المسجد (9/ 524).

(2) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في باب ابتناء المسجد (234).

(3) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في باب ابتناء المسجد (428).

(4) ينظر الإمام البخاري في صحيحه في باب ابتناء المسجد (429، 1868، 2106، 2771، 2774، 2779، 2932).

فصل تحويل القبلة

في حين عرض أصحاب المغازي والسير مسألة بناء المسجد بشكل تفصيلي أكثر من أصحاب السنن ومما ذكر بن هشام بشكل مختصر عن بناء مسجد النبي أن الرسول من بعد ما مكث في بني عمرو وبني عوف بضعاً وعشرين ليلة وبنى له هناك مسجد قباء، انتقل إلى وسط المدينة (يثرب) والتف إليه الأنصار وكلٌّ يريد أن ينزل الرسول (ﷺ) عنده فقال دعوها فإنها مأمورة وتركها رسول الله (ﷺ) إلى أن بركت في الأرض أو المربد وهو لغلامين يتيمين من بني النجار فابتاع الأرض وهي أرض فسحة فيها قبور وغير ذلك.

فأمر (ﷺ) الصحابة ببناء المسجد وشارك بنفسه (ﷺ) في البناء وهنا يتطابق أهل السير والمغازي مع أهل السنن في كيفية البناء[1].

وهكذا وعلى طريقة أصحاب السنن ينتقل الإمام مسلم (رحمه الله) مباشرة ليعرض لنا مسألة مهمة وهي تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة يحدثنا فيقول: حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة حدثنا أبو الأحوص عن أبي إسحاق: عن البراء بن عازب قال: صليت مع النبي (ﷺ) إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً، حتى نزلت الآية التي في البقرة: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [البقرة: 144]. فنزلت بعدما صلى النبي (عليه الصلاة والسلام) فانطلق رجل من القوم فمر بنا بناس من الأنصار وهم يصلون، فحدثهم فولوا وجوههم قبل البيت)[2]. وفي رواية أخرى يحدثنا الإمام مسلم عن تحويل القبلة فيقول: حدثنا قتيبة بن سعيد (واللفظ له) عن مالك بن أنس عن عبد الله بن دينار: عن ابن عمر قال: بينما الناس في صلاة الصبح في قباء إذ جاءهم آتٍ فقال: إن رسول الله

(1) للمزيد ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية.

(2) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه باب المساجد (11/ 525).

(عليه الصلاة والسلام) قد أنزل عليه الليلة. وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة). وفي رواية عن أنس: أن رسول الله (عليه الصلاة والسلام) كان يصلي نحو بيت المقدس، فنزلت :﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: 144]. فمر رجل من بني سلمة هم ركوع في صلاة الفجر. وقد صلوا ركعة فنادى: ألا إن القبلة قد حولت فمالوا كما هم نحو القبلة)[1].

ويحدثنا الإمام البخاري في صحيحه حول مسألة القبلة في باب الصلاة من الإيمان يقول: حدثنا عمرو بن خالد قال: حدثنا زهير قال: حدثنا أبو إسحاق عن البراء بن عازب. أن النبي (عليه الصلاة والسلام) كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده. أو قال أخواله من الأنصار. وأنه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهراً. وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم، فخرج رجل ممن صلى معه، فمر على أهل مسجد وهم راكعون. فقال: أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله (عليه الصلاة والسلام) قبل مكة. فداروا كما هم قبل البيت. وكانت اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلي قبل بيت المقدس وأهل الكتاب: فلما وجهه قبل البيت أنكروا ذلك)[2].

وقد عالجت كتب السير والمغازي نفس الموضوع بشكل طيب وأدلت بدلوها فيه وتطابقت آراؤهم مع أصحاب السنن تماماً فهذا الإمام السهيلي يقول عن موضوع حرف القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام ما نصه نقلاً عن بن إسحاق: (قال ابن إسحاق: ولما صرفت القبلة عن الشام إلى الكعبة، وصرفت في رجب على رأس سبعة عشر شهراً من مقدم رسول الله (عليه الصلاة والسلام) المدينة. أتى رسول الله (عليه الصلاة والسلام) رفاعه بن قيس وقردم بن عمرو، وكعب بن الأشرف، ورافع ابن أبي رافع، والحجاج بن عمرو حليف كعب بن الأشرف، والربيع بن الربيع ابن أبي الحقيق. وكنانة بن الربيع ابن أبي الحقيق

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه باب المساجد (15/ 527).
(2) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في باب الصلاة (40، 399، 4486).

فقالوا: يا محمد، ما ولاك عن قبلتك التي كنت عليها. وأنت تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه؟ ارجع إلى قبلتك التي كنت عليها نتبعك ونصدقك وإنما يريدون بذلك فتنته عن دينه فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ [البقرة: 142- 143]. يعقب الإمام السهيلي على مقالة بن إسحاق فيقول: (وذكر تحويل القبلة، وما قالته جماعة يهود حين قالوا: يا محمد ما ولاك عن قبلتك وهم السفهاء من الناس. فيهم نزلت هذه الآية)[1].

وللبلاذري[2] قول آخر في حرف الكعبة يقول: (وحرفت القبلة إلى الكعبة من جهة بيت المقدس، في الظهر من يوم الثلاثاء للنصف من شعبان سنة اثنتين من الهجرة. ويقال على رأس ستة عشر شهراً من منزل البراء بن معرور. فقال اليهود: (آمنوا بما جاء محمد أول النهار وكفروا به آخره) فأنزل الله الآيتين[3] وقوم يقولون: صدفت في صلاة الصبح والأول أثبت)[4]. وهكذا نجد أن لكل فئة رأي في صرف الكعبة.

(1) السهيلي، الروض الأنف، 1/ 409-410.

(2) أحمد بن يحيى بن بلاذر، أنساب الأشراف، تحقيق محمد حميد، ط1 (القاهرة: 1958) 1/ 271-272.

(3) سورة آل عمران: الآيات 72- 73.

(4) البلاذري، المكان نفسه.

فصل ما جاء في باب مؤاخاة النبي (عليه الصلاة والسلام) بين أصحابه

ومن الأعمال المهمة التي قام بها رسول الله (عليه الصلاة والسلام) منذ مقدمه المدينة بعد ابتناء المسجد هي تحقيق المؤاخاة ما بين المهاجرين والأنصار ولقد وردت هذه المسألة عند أصحاب الصحاح والسنن والمغازي والسير فالإمام مسلم تناولها بشكلها الآتي يقول: حدثني حجاج بن الشاعر، حدثنا عبد الصمد حدثنا حماد (يعني بن سلمة) عن ثابت: عن أنس أن رسول الله (عليه الصلاة والسلام) آخى بين أبي عبيدة بن الجراح وبين أبي طلحة[1] وفي رواية أخرى يقول حدثني أبو جعفر محمد بن الصباح حدثنا حفص بن غياث حدثنا عاصم الأحول، قال: قيل لأنس بن مالك، بلغت أن رسول الله (عليه الصلاة والسلام) قال: (لا حلف في الإسلام) فقال أنس: قد حالف رسول الله (عليه الصلاة والسلام) بين قريش والأنصار)[2]. وفي رواية أخرى يقول الإمام مسلم حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة ومحمد بن عبد الله بن نمير قالا: حدثنا عبده بن سليمان عن عاصم: عن أنس قال: حالف رسول الله (عليه الصلاة والسلام) بين قريش والأنصار في داره التي بالمدينة)[3].

وفي رواية أخرى يقول الإمام مسلم حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة: حدثنا عبد الله بن نمير وأبو أسامة عن زكريا عن سعد بن إبراهيم عن أبيه: عن جبير بن مطعم قال: قال رسول الله (عليه الصلاة والسلام): (لا حلف في الإسلام وأيما حلف كان في الجاهلية، لم يزده الإسلام إلا شدة)[4]. فجميع هذه الروايات

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب مؤاخاة النبي (203/ 2528).
(2) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب مؤاخاة النبي (203/ 2528).
(3) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب مؤاخاة النبي (204/ 2529).
(4) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب مؤاخاة النبي (205/ 2530).

مقتضبة لم يحدد فيها العدد الذي تمت مؤاخاتهم مع بعضهم من المهاجرين والأنصار ولم تحدد أسماءهم وكذلك فعل الإمام البخاري في صحيحه عندما عرض موضوع المؤاخاة يقول: حدثنا محمد بن يوسف حدثنا سفيان عن حميد عن أنس (رضي الله عنه) قال: قدم عبد الرحمن بن عوف فآخى النبي (صلى الله عليه وسلم) بينه وبين سعد ابن الربيع الأنصاري فعرض عليه أن يناصفه أهله وماله)[1] أوردها في لفظين[2].

وفي رواية أخرى يقول الإمام البخاري: حدثنا الصلت بن محمد: حدثنا أبو أسامة عن إدريس، عن طلحة بن مصدف. عن سعيد بن جبير عن بن عباس (رضي الله عنهما): (ولكل جعلنا موالي) قال: ورثة (والذي عاقدت أيمانكم) قال: كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجر الأنصاري دون ذوي رحمه للأخوة التي آخى النبي (عليه الصلاة والسلام) بينهم. فلما نزلت: (ولكل جعلنا موالي) نسخت ثم قال: (والذين عاقدت ايمانكم) إلا النصر والرفادة والنصيحة وقد ذهب الميراث ويوصي له)[3].

أما أصحاب السير والمغازي فلقد كانت إسهاماتهم في هذا الموضوع بشكل طيب وقدموا تفاصيل دقيقة عن المؤاخاة وعلى رأسهم بن إسحاق في كتابه السير والمغازي حيث نجده يقول: (وآخى رسول الله (عليه الصلاة والسلام) بين أصحابه من المهاجرين والأنصار. فقال- فيما بلغنا - ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل، تآخوا في الله أخوين أخوين. ثم أخذ بيد علي ابن أبي طالب. فقال: هذا أخي فكان رسول الله (عليه الصلاة والسلام) سيد المرسلين وإمام المتقين ورسول الله رب العالمين. الذي ليس له خطير ولا نظير من العباد وعلي ابن أبي طالب (رضي الله عنه) أخوين وكان حمزة بن عبد المطلب، أسد الله وأسد رسوله (عليه الصلاة والسلام) وعم رسول الله (عليه الصلاة والسلام) وزيد بن حارثة. مولى رسول الله (عليه الصلاة والسلام) أخوين، وإليه أوصى حمزة يوم أحد حين حضره القتال إن حدث به حادث الموت وجعفر ابن أبي طالب ذو الجناحين،

---

(1) أخرجه البخاري في باب من تكفل عن ميت (2293).

(2) أخرجه البخاري في باب حب الأنصار (3781).

(3) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في باب من تكفل عن ميت ديناً (2292).

الطيار في الجنة ومعاذ بن جبل أخو بني سلمة أخوين ويستكمل بن إسحاق جرد الأسماء فيقول: (وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه ابن أبي قحافة وخارجة بن زهير أخو بلحارث بن الخزرج أخوين وعمر بن الخطاب رضي الله عنه وعتبان بن مالك أخو بني سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج أخوين وأبو عبيدة بن عبد الله بن الجراح واسمه عامر بن عبد الله وسعد بن معاذ بن النعمان أخو بني عبد الأشهل أخوين وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن الربيع أخو بلحارث بن الخزرج أخوين كما ورد عند ابن إسحاق، ويقال: ثابت بن قيس بن الشماس، أخو بلحارث بن الخزرج، خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعمار بن ياسر أخوين وأبو ذر وهو برير بن جنادة الغفاري والمنذر بن عمرو العنق ليموت، أخو بني ساعدة بن كعب بن الخزرج أخوين). ويعقب مستدركاً بقوله: وكان حاطب ابن أبي بلتعة حليف بني أسد بن عبد العزى وعويم بن ساعدة، أخو بني عمرو بن عوف أخوين وسلمان الفارسي، وأبو الدرداء عويمر بن ثعلبة. أخو بلحارث بن الخزرج أخوين[1].

ثم يضيف عدداً آخر من الأسماء فيقول: وبلال مولى أبي بكر (رضي الله عنهما) مؤذن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأبو رويحة، عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمي ثم أحد الفزع اخوين، فهؤلاء من سُمي لنا ممن كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) آخى بينهم من أصحابه"[2] ويحدد بن القيم الجوزية عددهم بقوله: "ثم آخى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بين المهاجرين والانصار في دار أنس بن مالك وكانوا تسعين رجلاً نصفهم من المهاجرين ونصفهم من الانصار آخى بينهم على المؤاساة ويتوارثون بعد الموت دون ذوي الأرحام[3]. إلى حين وقعة بدر فلما أنزل الله عز وجل: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ [الأنفال: 75] رد التوارث.

وللإمام السهيلي قول في عقد المؤاخاة: المؤاخاة بين الصحابة آخى

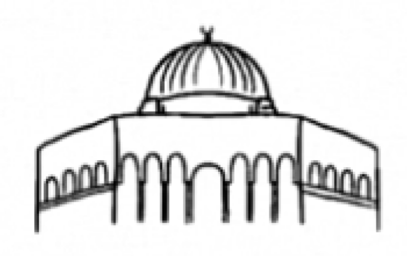
---

(1) أبو محمد عبد الله بن هشام، السيرة النبوية، تحقيق، محمد محيي الدين عبد الحميد، (بيروت: د/ت) 2/ 123-126.

(2) ابن هشام، المكان نفسه.

(3) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن بكر، ابن القيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، ط المصرية (القاهرة: 1347هـ/ 1928م 2/ 56).

رسول الله (ﷺ) بين أصحابه حين نزلوا المدينة. ليذهب عنهم وحشة الغربة ويؤنسهم في مفارقة الأهل والعشيرة ويشد أزرهم بعضهم ببعض فلما عز الإسلام واجتمع الشمل وذهبت الوحشة أنزل الله سبحانه أولو الأرحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله" أعني في الميراث. ثم جعل المؤمنين كلهم إخوة فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحُجرَات: 10] يعني في التواد وشمول الدعوة[(1)].



اللهم نجِّ المستضعفين من المؤمنين في كل مكان ، اللهم الطف بِ أمة نبيِّك محمد ﷺ وارحمها وفرّج كربتها

(1) ينظر السهيلي، الروض الانف2،/ 382.

فصل ما جاء في باب غزوة بدر

مما سبق عرضه آنفاً وجدنا بأن أصحاب الصحاح ومنهم الإمام مسلم (رحمه الله) يتناولون أحداث السيرة النبوية بشكل مختصر ولم يذكر عندهم إلا إذا تعلق بجانب فقهي ولهذا وجدناهم أغفلوا كثيراً من الأحداث المهمة في السيرة والتي يبدو أنها لا تتعلق بمغزى فقهي أو تقوم على مسأل فقهية. ففي بدر هناك العديد من المسائل الفقهية التي تتعلق بالقتال والانسحاب ومشاركة غير المسلمين ثم توزيع الغنائم وهكذا ومع ذلك نجدهم يقدموها بشكلها المختصر المفيد ونحن في رحاب صحيح الإمام مسلم نراه يحدثنا عن غزوة بدر التي أفرد لها باباً لوحدها يقول: حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة: حدثنا عفان: حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن رسول الله (ﷺ) شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان قال فتكلم أبو بكر فأعرض عنه ثم تكلم عمر فأعرض عنه. فقام سعد بن عبادة فقال: إيانا تريد يا رسول الله؟ والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحر أخضناها ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا قال: فندب رسول الله (ﷺ) الناس فانطلقوا حتى نزلوا بدراً[1]. ووردت عليهم روايا قريش. وفيهم اسود بني الحجاج فأخذوه فكان أصحاب رسول الله (ﷺ) يسألونه عن أبي سفيان وأصحابه؟ فيقول: ما لي علم بأبي سفيان ولكن هذا أبو جهل وعتبة وشيبة وأمية ابن خلف. فإذا قال ذلك ضربوه. فقال نعم أنا أخبركم هذا أبو سفيان. فإذا تركوه فسألوه فقال: ما لي بأبي سفيان علم. ولكن هذا أبو جهل وعتبة وشيبة وأمية بن خلف في الناس. فإذا قال هذا أيضاً ضربوه ورسول الله (ﷺ) قائم يصلي فلما رأى ذلك انصرف قال: "والذي نفسي بيده لتضربوه إذا صدقكم وتتركوه إذا كذبكم"[2]. ثم قال: (عليه الصلاة والسلام) على ما ذكره الإمام مسلم: (فقال

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، باب غزوة بدر (1779).

(2) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، باب غزوة بدر (1779).

رسول الله (ﷺ) هذا مصرع فلان) قال ويضع يده على الأرض ها هنا ها هنا. قال: فما ماط أحدهم عن موضع يد رسول الله (ﷺ).

ويبدو أن الإمام مسلم قسم غزوة بدر إلى أبواب وقام يعرض كل باب حسب موقعه الفقهي وفي باب الوفاء بالعهد يقول: وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة: حدثنا أبو أسامة عن الوليد بن جميع حدثنا أبو الطفيل حدثنا حذيفة بن اليمان. قال ما منعني أن اشهد بدراً إلا أني خرجت أنا وأبي حُسيل قال: فأخذنا كفار قريش. قالوا: إنكم تريدون محمداً: فقلنا ما نريده ما نريد إلا المدينة. فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننصرفن إلى المدينة ولا نقاتل معه. فأتينا رسول الله فأخبرناه الخبر فقال: " انصرفا نفي لهم بعهدهم ونستعين الله عليهم "[1].

ويستمر الإمام بعرض أبوابه المتعلقة بغزوة بدر ففي باب كراهة الاستعانة في الغزو بكافر يقول: حدثني زهير بن حرب. حدثنا عبد الرحمن مهدي عن مالك (رحمه الله) وحدثنيه أبو الطاهر- واللفظ له- حدثني عبد الله بن وهب عن مالك ابن أنس بن الفضيل ابن أبي عبد الله عن عبد الله بن نيار الاسلمي عن عروة بن الزبير عن عائشة زوج النبي (ﷺ) أنها قالت: خرج رسول الله (ﷺ) قِبلَ بدر فلما كان بحرة الوبره أدركه رجل قد كان يذكر منه جراة ونجده ففرح أصحاب رسول الله (ﷺ) حين رأوه فلما أدركه قال لرسول الله (ﷺ) جئت لأتبعك واصيب معك. قال رسول الله (ﷺ) (تؤمن بالله ورسوله؟ قال: لا قال: فارجع فلن أستعين بمشرك)[2] قالت ثم مضى حتى إذا جاء كنا بالشجرة أدركه الرجل فقال له كما قال أول مرة: فقال له النبي (ﷺ) كما قال أول مرة قال: (فارجع فلن أستعين بمشرك) قال ثم رجع فأدركه بالبيداء فقال كما قال أول مرة "تؤمن بالله ورسوله؟" قال: نعم فقال له رسول الله (ﷺ) فانطلق "[3].

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه باب الوفاء بالعهد (1787).
(2) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه باب كراهة الاستعانة في الغزو بكافر (1817).
(3) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب كراهة الاستعانة في الغزو بكافر (1817).

فصل ما جاء في باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم

ويستمر معنا الإمام مسلم (رَحِمَهُ ٱللَّهُ) في عرض أحداث السيرة في صحيحه ضمن أبواب فقهية قسمها حسب ترتيبها الفقهي وفي باب الإمداد بالملائكة وهو ضمن أحداث غزوة بدر المهمة جداً يحدث فيقول: حدثنا هناد بن السري حدثنا بن المبارك عن عكرمة بن عمار: حدثني سماك الحنفي قال: سمعت بن عباس يقول: حدثني عمر بن الخطاب. قال: لما كان يوم بدر وحدثنا زهير بن حرب- هو سماك الحنفي- حدثني عبد الله بن عباس قال: حدثني عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله (ﷺ) إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمئة وتسعة عشر رجلاً، فاستقبل نبي الله القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه: "اللهم انجز لي ماوعدتني الله آتِ ما وعدتني. اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض. فما زال يهتف بربه مادا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه. ثم التزمه من ورائه وقال: يا نبي الله كفاك منا شدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك[1]. فأنزل الله ﷻ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: 9] فأورده الله بالملائكة.

ويصف لنا الإمام (رَحِمَهُ ٱللَّهُ) حال المسلمين يوم المعركة فيقول: قال أبو زميل: فحدثني بن عباس قال: بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في اثر رجل من المشركين أمامه. إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول: إقدم حيزوم. فنظر إلى المشرك امامه فخر مستلقياً. فنظر إليه فإذا هو قد خُطم انفه وشق وجهه كضربة السوط فأخضّر ذلك. أجمع فجاء الانصاري فحدث بذلك رسول الله (ﷺ)

---

(1) أخرجه الإمام مسلم في باب الإمداد بالملائكة (1763).

فقال (صَدَقت ذلك من مدد السماء الثالثة فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين"[1] ويضيف الإمام قوله واصفاً احوال الاسرى وموقف المسلمين منهم قائلاً: قال أبو زميل: قال ابن عباس فلما أسروا الأسارى قال رسول الله (ﷺ) لأبي بكر وعمر: (ما ترون في هؤلاء الأسارى) فقال أبو بكر: يانبي الله هم بنو العم والعشيرة أرى أن نأخذ منهم فدية. فتكون لنا قوة على الكفار فعسى الله أن يهديهم للاسلام. فقال رسول الله (ﷺ): (ما ترى يا ابن الخطاب؟ قلت لا والله: يا رسول الله ما أرى الذي رأى أبو بكر ولكني ارى أن تمكنا فنضرب أعناقهم فتمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه وتمكني من فلان- نسيباً لعمر- فأضرب عنقه. فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها فهوى رسول الله (ﷺ) ما قال أبو بكر. ولم يهوى ما قلت. فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله (ﷺ) وأبو بكر قاعدين يبكيان قلت: يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي انت وصاحبك. فإن وجدت بكاءً بكيت وإن لم أجد بكاءً تباكيت لبكائكما. فقال رسول الله (ﷺ) (ابكي للذي عرض عليّ أصحابك من أخذهم الفداء. لقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة، شجرة قريبة[2] من نبي الله (ﷺ) وأنزل الله ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا﴾ [الأنفال: 67- 69] فأحل الله الغنيمة لهم[3]. في حين نرى أن الإمام البخاري (رحمه الله) في صحيحه يعرض لنا غزوة بدر بشكل مشابه إلى حد ما لما قدمه الإمام مسلم إلا اختلافات في بعض سنعمل على ذكرها فهو يضعها كما فعل الإمام مسلم في باب خاص ضمن كتاب المغازي باب قصة غزوة بدر[4] مبتدأ الحديث بقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ

---

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه باب الإمداد بالملائكة (1763).

(2) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه باب الإمداد بالملائكة (1763).

(3) أخرجه الإمام مسلم، المكان نفسه.

(4) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في باب قصة غزوة بدر (3951).

ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡ يَكۡبِتَهُمۡ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ ١٢٧﴾ [آل عمران: 123- 127] وفي هذا الباب يستشهد الإمام البخاري بكل الآيات القرآنية ذات العلاقة بالحدث[1]. كما يستعرض لنا الاحوال التي مرت قبل المعركة منها أن الرسول (ﷺ) كان يريد معرفة رأي الأنصار بالقتال فيقول حدثنا أبو نعيم. حدثنا اسرائيل عن مخارق عن طارق بن شهاب قال: سمعت بن مسعود يقول شهدت من المقداد بن الاسود مشهداً لأن أكون صاحبه أحب اليّ مما اعدل به أتى النبي (ﷺ) وهو يدعو على المشركين فقال: لا نقول كما قال قوم موسى: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: 24] ولكن نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك[2] يقول الإمام البخاري معقباً على هذا الموقف فيقول (فرأيت النبي اشرق وجهه وسره يعني قوله: "يا رسول الله: إنا لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ ولكن امض ونحن معك: فكأنه سريّ عن رسول الله (ﷺ)[3].

ما جاء في باب قوله الله تعالى: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ﴾

يقول الإمام البخاري بعد مناجاة رسول الله (ﷺ) لربه مستغيثاً به ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ٩ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ١٠ إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةٗ مِّنۡهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ ١١ إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ١٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ١٣﴾ [الأنفال: 9- 13] وكان رسول الله (ﷺ) كما يحدثنا الإمام البخاري يقول حدثني محمد بن عبد الله بن حوشب: حدثنا عبد الوهاب: حدثنا خالد عن

(1) ينظر الأنفال الآية 7 والآيات 9-13 والمائدة الآية 24.

(2) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه باب قصة غزوة بدر (3952).

(3) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه باب قوله فاذهب أنت وربك (4609).

عكرمة عن بن عباس قال: (قال النبي (ﷺ) يوم بدر: (اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك اللهم إن شئت لم تعبد فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبك: فخرج وهو يقول: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ۝٤٥ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ۝٤٦﴾ [القَمر: 45-46].

ما جاء في باب عدة أصحاب بدر

يحدثنا الإمام البخاري عن ذلك بقوله: حدثنا مسلم بن إبراهيم: حدثنا شعبة عن أبي إسحاق. عن البراء: استصغرت أنا وابن عمر[1] ومن رواية أخرى عن البراء قال: استصغرت أنا وابن عمر يوم بدر وكان المهاجرين يوم بدر نيفاً على ستين والأنصار نيفاً وأربعين ومئتين[2] وفي رواية أخرى يقول: حدثنا عمرو بن خالد: حدثنا زهير: حدثنا أبو إسحاق قال: سمعت البراء (رضي الله عنه) يقول: حدثني أصحاب محمد (ﷺ) ممن شهد بدراً. أنهم كانوا عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر بضعة عشر وثلاثمائة قال البراء لا والله ما جاوز معه النهر إلا مؤمن[3]، وفي رواية أخرى عن عدة أصحاب بدر يحدثنا الإمام البخاري بقوله: حدثنا عبد الله بن رجاء حدثنا اسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء قال كنا أصحاب محمد (ﷺ) نتحدث أن عدة أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت. الذي جاوزوا معه النهر ولم يجاوز معه إلا مؤمن بضعة عشر وثلاثمائة"[4].

ما جاء في باب دعاء النبي ﷺ على كفار قريش

ونجد طريقة الإمام البخاري (رحمه الله) في عرض وقائع بدر فيها نوع من التشابه مع ما عرضه الإمام مسلم وأصحاب السير والمغازي لا سيما من عرض المقاتلين الذين خرجوا مع رسول الله يكاد يكون الرقم متطابقة وكذلك استغاثة رسول الله

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه في باب عدة أصحاب بدر (3955).
(2) أخرجه البخاري في صحيحه في باب عدة أصحاب بدر (3956).
(3) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في باب عدة أصحاب بدر (3957).
(4) أخرجه الإمام البخاري في باب أصحاب بدر (3958).

بربه بنصرة المسلمين في هذا اللقاء وإن اختلف اللفظ إلا أن المعنى واحد هو تحقيق النصرة بتأييد الله ﷻ أما في باب الدعاء يقول الإمام البخاري حدثني عمرو بن خالد: حدثنا زهير: حدثنا أبو إسحاق عن عمرو بن ميمون. عن عبد الله ابن مسعود (رضي الله عنه) استقبل النبي (ﷺ) الكعبة. فدعا على نفر من قريش على شيبه ابن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأبي جهل بن هشام فأشهد الله لقد رأيتهم صرعى. قد غيرتهم الشمس. وكان يوما حاراً[1] وقد ذكر أصحاب المغازي والسير معركة بدر بشكل قريب إلى حد ما مما عرضه أصحاب السنن إلا أنهم اختزلوا بعضاً من المسائل وركزوا على مسائل أخرى مما يدل على سعة اطلاعهم على احوال المعركة وذكرها بشكل متجانس ومتسلسل مما يدل على المام كامل بالحدث فمثلاً بن إسحاق سجل لنا كل ما يتعلق بالمعركة من أول لحظة وحتى نهاية المعركة وهو أول من حصر أسماء المسلمين المقاتلين كافة وأسماء الأسرى وأسماء القتلى وأسماء الشهداء وهو بذلك يتميز عن أصحاب الصحاح والسنن لأنه استطاع أن يدون كل ما يتعلق بالمعركة وخصوصاً معركة بدر وإذا ما حاولنا استعراض ما ذكره سوف نلحظ الفرق بينه وبين أصحاب السنن وغيرهم يقول ابن إسحاق: (وكانت وقعة بدر يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من رمضان كما حدثني أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين)[2].

ثم يقول في مقطع آخر: (ثم عدل رسول الله (ﷺ) الصفوف ورجع إلى العريش، فدخله ومعه فيه أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) ليس معه فيه غيره. ورسول الله يناشد ربه ما وعده من النصر ويقول فيما يقول: (اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تُعبد) وأبو بكر يقول يا نبي الله. بعض منا شدتك ربك. فإن الله منجز لك ما وعدك[3] وقد خفق رسول الله (ﷺ) خفقة وهو في العريش ثم انتبه فقال: أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله. هذا جبريل آخذ بعنان فرس يقوده على ثنايا النقع (يعني الغبار)[4].

(1) أخرجه الإمام البخاري في باب دعاء النبي (3960).

(2) ابن هشام، السيرة النبوية، 2/ 262-267.

(3) ابن هشام، السيرة النبوية2،/ 267-268.

(4) ابن هشام، السيرة النبوية، 2/ 268-270.

وفي مقطع آخر يقول ابن إسحاق (ثم خرج رسول الله (ﷺ) إلى الناس فحرضهم وقال والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا ادخله الله الجنة) فقال عمر بن الحمام اخو بني سلمة وفي يده ثمرات يأكلهن: بخ بخ فما بيني وبين الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء. ثم قذف الثمرات من يده واخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل (رحمه الله) تعالى[1].

وفي مقطع آخر يحدثنا بن إسحاق: (وحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري عن عبد الله بن ثعلبة بن صغير العذري حليف بني زهرة أنه حدثه أنه لما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض قال أبو جهل بن هشام: اللهم اقطعنا للرحم وأتانا بما لا يعرف فأحنه الغداة. فكان هو المستفتح[2]. ثم قال ابن إسحاق: ثم إن رسول الله (ﷺ) (أخذ حفنة من الحصباء فاستقبل بها قريشاً. ثم قال: شاهت الوجوه[3]. ثم نفحهم بها. وأمر أصحابه فقال (شدوا) فكانت الهزيمة. فقتل الله تعالى من قتل من صناديد قريش. وأسر من أسر من أشرافهم[4]. ويقدم بن إسحاق تفاصيل دقيقة عن المشركين الذين قتلوا يوم بدر فمثلاً يحدثنا كيف أن رسول الله (ﷺ) نهى عن قتل أبي البختري لأنه كان أكف القوم عن رسول الله (ﷺ) وهو بمكة وكان لا يؤذيه ولا يبلغه عنه شيء يكرهه وكان ممن نقض الصحيفة ويعرض الحوار الذي جرى بين أبي البختري والمجذر الذي أراد قتله وكيف أن المجذر أتى رسول الله (ﷺ) معتذراً عن قتله (قال ابن إسحاق أن المجذر أتى رسول الله (ﷺ) فقال والذي بعثك بالحق لقد جهدت عليه أن يستأسر فآتيك به فأبى إلا أن يقاتلني فقاتلته فقتلته[5] وصورة ثانية يحدثنا فيها عن مقتل أمية بن خلف[6].

ويقدم بن هشام وهو يستعرض ما حدث يوم بدر صورة من صور العذاب الذي كان يتعرض له أصحاب رسول الله (ﷺ) منها مثلاً (قال عبد الرحمن:

---

(1) ابن هشام، المكان نفسه.
(2) ابن هشام، المكان نفسه.
(3) ابن هشام، المكان نفسه.
(4) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.
(5) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.
(6) ابن هشام، السيرة النبوية، 2/ 272-273.

فوالله إني لأقودهما إذ رآه بلال معي (أي أمية بن خلف) وكان الذي يضرب بلالاً بمكة على ترك الإسلام فيخرجه إلى رمضاء مكة إذا حميت فيضجعه[1] على ظهره ثم يأمر بالصخرة العظمية فتوضع على صدره ثم يقول: لا تزال هكذا أو فارق دين محمد فيقول بلال: (أحد أحد). فلما رآه (بلال) قال: رأس الكفر أمية بن خلف، لا نجوت إن نجا. قال: قلت: أي بلال أ[بأ] سيري؟ قال لانجوت إن نجا: قال: قلت: تسمع يا ابن السوداء؟ قال: لانجوت إن نجا. قال: ثم صرخ بأعلى صوته: يا أنصار الله، رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت إن نجا، قال: فأحاطوا بنا حتى جعلونا لفي مثل المسكة وأنا أذبُّ عنه، قال: فأخلف رجل السيف فضرب رجل ابنه فوقع وصاح أمية صيحة ما سمعت بمثلها قط قال: فقلت: انج بنفسك ولا نجاء بك فو الله ما أغني منك شيئاً. قال: فهبروهما بأسيافهم حتى فرغوا منها[2] وعن مشاركة الملائكة يوم بدر يحدثنا بن إسحاق بقوله قال: فبينما نحن في الجبل إذ دنت منا سحابة فسمعنا حمحمة الخيل، فسمعت قائلاً: يقول: أقدم حيزوم. فأما بن عمي فانكشف قناع قلبه، فمات مكانه وأما أنا فكدت اهلك، ثم تماسكت[3].

ويضيف بن إسحاق قوله: (وحدثني عبد الله ابن أبي بكر عن بعض بني ساعدة عن أبي اسيد مالك بن ربيعة وكان شهد بدراً قال بعد أن ذهب بصره: لو كنت ببدر ومعي بصري لأريتكم الشعب، الذي خرجت منه الملائكة. لا اشك فيه ولا أماري[4].

وفي مقطع آخر يحدثنا بن إسحاق عن مشاركة الملائكة القتال يوم بدر فيقول: وحدثني من لا أتهم، عن مقسم مولى عبد الله بن الحرث، عن عبد الله ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيضاء قد ارسلوها على ظهورهم. ويوم حنين عمائم حمراً ويضيف بن هشام: وحدثني بعض أهل العلم أن علي ابن أبي طالب (رضي الله عنهما) قال: العمائم تيجان العرب. وكانت سيما

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.
(2) ابن هشام، السيرة النبوية، 2/ 273.
(3) ابن هشام، السيرة النبوية، 2/ 274-275.
(4) ابن هشام، السيرة النبوية، 2/ 274-275.

الملائكة يوم بدر عمائم بيضاء قد ارخوها عن ظهورهم. إلا جبريل، فإنه كانت عليه عمامة صفراء[1] وفي رواية أخرى يقول ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم عن مقسم عن بن عباس رضي الله عنهما قال: ولم تقاتل الملائكة في يوم سوى [يوم] بدر من الايام وكانوا يكونون فيما سواه من الايام عدداً ومدداً لا يضربون[2].

ويقول بن هشام: وكان شعار أصحاب رسول الله (ﷺ) يوم بدر (أحد أحد)[3].

ما جاء في باب مقتل أبي جهل

وقد اتفق الإمامان الجليلان مسلم والبخاري على تخصيص باب في مصنفيهما فيه أحداث غزوة بدر اطلقا عليه باب قتل أبي جهل كأنه آخر حدث يتعلق بهذه الغزوة المباركة يقول الإمام مسلم حدثنا يحيى بن يحيى التميمي أخبرنا يوسف بن الماجشون، عن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف: أنه قال: بينما أنا واقف في الصف يوم بدر نظرت عن يميني وشمالي، فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثة أسنانهما تمنيت لو كنت بين اضلع منهما. فغمزني احدهما فقال: ياعم هل تعرف أبا جهل؟ قال قلت نعم وماحاجتك إليه يا ابن أخي: قال: أخبرت أنه يسب رسول الله (ﷺ) والذي نفسي بيده لئن رأيته لايفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا. قال فتعجبت لذلك. فغمزني الآخر فقال مثلها قال فلم انشب أن نظرت إلى أبي جهل يزول في الناس. فقلت: ألا تريان؟ هذا صاحبكما الذي تسألان عنه. قال: فابتدراه فضرباه بسيفهما حتى قتلاه ثم انصرفا إلى رسول لله (ﷺ) فأخبراه فقال: (ايكما قتله)[4] فقال: كل واحد منهما أنا قتلته. فقال: هل مسحتما سيفكما قالا: لا. فنظر في السيفين فقال: كلاكما قتله وقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح والرجلان:

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.

(2) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.

(3) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.

(4) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب مقتل أبي جهل (1752) هما عقير، معوذ بن عفراء أو معاذ.

معاذ بن عمرو بن الجموح. ومعاذ بن عفراء[1].

ونجد عند الإمام البخاري نفس الرواية بنفس اللفظ والإسناد ما عدا قوله (عليه الصلاة والسلام) (قال: كلاكما قتله سلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح، وكانا معاذ بن عفراء ومعاذ بن عمرو بن الجموح.[2] ويبدو أن الإمام مسلم نقل هذه الرواية عن الإمام البخاري أو أخذها من مصدرها لأن الإمام مسلم على ما يبدو عاصر الإمام البخاري مع أن الإمام البخاري توفي عام 256 هجرية والإمام مسلم توفي عام 261 هجرية لأن الروايتين بنفس الإسناد[3].

وفي رواية أخرى عن الإمام مسلم (رحمه الله) قال: حدثنا علي بن حجر السعدي أخبرنا إسماعيل - يعني بن علي- حدثنا سليمان التيمي حدثنا أنس بن مالك قال: قال رسول الله (ﷺ) (من ينظر لنا ما صنع أبو جهل؟ فانطلق بن مسعود فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برك. قال: فأخذ بلحيته فقال: انت أبو جهل؟ فقال وهل فوق رجل قتلوه وقال قتله قومه قال: وقال: ومجلزٍ قال: أبو جهل: فلو غير أكارٍ قتلني[4].

وقد روى الإمام البخاري رواية عن مقتل أبي جهل مفادها كما يحدثنا بها (حدثني عمرو بن خالد: حدثنا زهير عن سليمان التيمي عن أنس (رضي الله عنه) قال: قال النبي محمد (ﷺ): (من ينظر ما صنع أبو جهل؟) فانطلق بن مسعود فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد. قال: أأنت أبو جهل؟ قال: فأخذ بلحيته قال: وهل فوق رجل قتلوه أو رجل قتله قومه[5].

إن المعاصرة ما بين الإمامين جعلت العديد من الروايات بنفس اللفظ وبإسناد مختلف أو بنفس الإسناد أحياناً مما يدل على شيوع الرواية في عصرهم إلى جميع الأمصار الإسلامية[6].

---

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه باب قتل أبي جهل (1752).

(2) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب قتل أبي جهل (1800).

(3) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في باب من لم يخمس (3141).

(4) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب قتل أبي جهل (1800).

(5) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في باب قتل أبي جهل (3961/ 3962/ 3963).

(6) ينظر هذا المدن عن أصحاب السنن والمغازي والتراجم فهي بنفس الوتيرة.

ولقد وردت قصه مقتل أبي جهل عند أصحاب المغازي والسير بشكل مختلف تقريباً وأفضل يعرضها بشكلها التأريخي بن إسحاق ونراه يحدثنا ويقول: (فلما فرغ رسول الله (ﷺ) من عدوه أمر بأبي جهل بن هشام أن يلتمس في القتلى وكان أول من لقي أبا جهل - كما حدثني ثور بن زيد عن عكرمة، عن بن عباس وعبد الله بن أبي بكر أيضاً قد حدثني ذلك قالا: قال معاذ بن عمرو بن الجموح أخو بني سلمة: سمعت القوم وأبو جهل في مثل الحرجة (قال ابن هشام: الحرجة: الشجر الملتف وفي الحديث عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أنه سأل أعرابياً عن الحرجة. فقال: هي شجرة بين الأشجار لا يوصل إليها وهم يقولون: أبو الحكم لا يخلص إليه. قال: فلما سمعتها جعلته من شأني فصمدت نحوه. فلما امكنني حملت عليه، فضربته ضربة أطنت قدمه بنصف ساقه فوالله ما شبهتها- حين طاحت - إلا بالنواة تطيح من تحت مرضخة النوى حين يضرب بها. قال: وضربني ابنه عكرمة على عاتقي فطرح يدي: فتعلقت بجلده من جنبي اجهضني القتال عنه. فلقد قاتلت عامة يومي وإني لأسبحها خلفي. فلما آذتني وضعت عليها قدمي ثم تمطيت بها عليها حتى طرحتها[1] ثم مر بأبي جهل وهو عقير، معوذ بن عفراء فضربه حتى أثبته فتركه وبه رمق وقاتل معوذ حتى قتل، فمر عبد الله بن مسعود بأبي جهل - حين أمر رسول الله (ﷺ) أن يلتمس في القتلى- وقال لهم رسول الله (ﷺ) فيما بلغني: انظروا إن خفي عليكم في القتلى إلى أثر جرح في ركبته، فإني ازدحمت يوما أنا وهو على مأدبة لعبد الله بن جدعان، ونحن غلامان، وكنت اشف منه بيسير فدفعته فوق ركبته، فجحش في احداهما جحشاً لم يزل أثره به.

قال عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) فوجدته بآخر رمق فعرفته فوضعت رجلي على عنقه، قال: وقد كان خبث بي مرة بمكة فآذاني ولكزني ثم قلت له: هل أخزاك الله يا عدو الله؟ قال: وبماذا أخزاني؟!

أأعمد من رجل قتلتموه؟ أخبرني لمن الدائرة اليوم؟ قال: قلت: لله

(1) ابن هشام، السيره النبوية، 2/ 275-276.

ولرسوله[1] ويكمل بن إسحاق روايته بقوله: وزعم رجال من بني مخزوم أن بن مسعود كان يقول قال لي: لقد ارتقيت مرتقى صعباً يا رويعي الغنم، قال: ثم احتززت رأسه ثم جئت به رسول الله (ﷺ) فقلت: يا رسول الله: هذا رأس عدو الله أبي جهل. قال: فقال رسول الله (ﷺ) (آلله الذي لا إله غيره) قال: وكانت يمين رسول الله (ﷺ) قال: قلت: نعم والله الذي لا إله غيره ثم ألقيت رأسه بين يدي رسول الله (ﷺ) فحمد الله[2].

ويستزيد بن إسحاق في موضوع يوم معركة بدر ويحدثنا عن مصير كفار قريش الذين خرجوا لقتال المسلمين وسحق الإسلام وإسقاطه وتكذيب رسوله (عليه الصلاة والسلام). غير أننا رأينا أن أصحاب السنن حدثوا بأن مصير هؤلاء كما ذكره (عليه الصلاة والسلام) هو تعيين أماكن قتلهم يوم بدر وهذا سبق الحديث عنه. أما بن إسحاق فهو يحدث بشكل موسع وملم وكأنه يعايش الحدث فهو يحدث ويقول: (وحدثني يزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: لما أمر رسول الله (عليه الصلاة والسلام) بالقتلى أن يطرحوا في القليب طرحوا فيه، إلا ما كان من أمية بن خلف. فإنه انتفخ في درعه فملأها، فذهبوا ليحركوه فتزايل لحمه، فأقروه وألقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة. فلما ألقاهم في القليب وقف عليهم رسول الله (عليه الصلاة والسلام) فقال: (يا أهل القليب هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً) قالت: فقال له أصحابه: يا رسول الله أتكلم قوماً موتى؟ فقال لهم: (لقد علموا أن ما وعدهم ربهم حقاً، قالت عائشة: والناس يقولون: ولقد سمعوا ما قلت لهم) وإنما قال لهم رسول الله (عليه الصلاة والسلام) لقد علموا)[3].

وفي مقطع جميل جداً يصور لنا بن إسحاق الدعوة وحقيقة الإيمان ومصير الكفار والمشركين يقول: (وحدثني حميد الطويل، عن أنس بن مالك، قال:

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، 2/ 276-277. وهناك حوار طويل ذكره ابن إسحاق عند حديثه عن مقتل عدو الله أبي جهل.

(2) ابن هشام، السيرة النبوية، 2/ 277.

(3) ابن هشام، السيرة النبوية، 2/ 279-280.

سمع أصحاب رسول الله (عليه الصلاة والسلام). رسول الله (ﷺ) في جوف الليل وهو يقول: (يا أهل القليب، يا عتبة بن ربيعة ويا شيبة بن ربيعة ويا أمية بن خلف ويا أبا جهل بن هشام، فعدد من كان منهم في القليب (هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً؟ فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً) فقال المسلمون: يا رسول الله، أتنادي قوماً قد جيفوا. قال: (ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوني)[1]. ثم يضيف في مقطع آخر فيقول: وحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله (عليه الصلاة والسلام) قال يوم هذه المقالة: (يا أهل القليب، بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم، كذبتموني وصدقني الناس، وأخرجتموني وأواني الناس، قاتلتموني ونصرني الناس) ثم قال: (هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً)[2].

ما جاء في باب غزوة أحد

وبعد العرض الشيق الذي قدمه الإمام مسلم في صحيحه عن معركة بدر والذي ألم فيه بمعظم جوانبها وكذلك فعل الإمام البخاري وأصحاب المغازي والسير وفي مقدمتهم ابن إسحاق، نجد أن الإمام ينتقل مباشرة إلى غزوة أحد في حين نرى أن هناك أحداثاً وقعت ما بين بدر وأحد ما عدا ذكره لغزوة أرسلها الرسول (عليه الصلاة والسلام) قِبلَ نجد يحدثنا فيقول: وحدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا ليث (ح) وحدثنا محمد بن رمح. أخبرنا الليث، عن نافع عن بن عمر: أن رسول الله (عليه الصلاة والسلام) بعث سرية قِبلَ نجد وفيهم بن عمر، وأن سهامهم بلغت اثني عشر بعيراً ونفلوا، سوى ذلك بعيراً. فلم يغيّره رسول الله (عليه الصلاة والسلام)[3]. وذكر الإمام مسلم هذا الحديث بعدة ألفاظ[4]. ويعرض الإمام البخاري نفس السرية بهذا اللفظ: حدثنا أبو النعمان: حدثنا حماد: حدثنا أيوب عن نافع عن بن عمر رضي الله عنهما قال: بعث النبي سرية قبل نجد

(1) ابن هشام، السيرة النبوية 2/ 280. (2) ابن هشام، المكان نفسه.
(3) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب الأنفال (1749).
(4) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب (37/ 1749).

فكنت فيها. فبلغت سهامنا اثني عشر بعيراً ونفلنا بعيراً بعيراً. فرجعنا بثلاثة عشر بعيراً)[1]. وعند عرضنا لما قدمه أصحاب المغازي والسير عن هذه الغزوة فإننا سنجد أن هناك اختلافاً كبيراً في العرض فأصحاب السنن يتم عندهم التركيز على ما يتعلق بالجوانب الفقهية غير مهتمين بتفاصيل الحدث في حين نرى العكس عند أصحاب المغازي والسير حيث يتم التركيز على سلامة الحدث وعرضه كاملاً منسجماً لأن الهدف عندهم هو إيصال الحدث وليس الفكرة المبتغاة من الحدث فهذا بن إسحاق نجده يحدثنا عن هذه السرية بقوله: وسرية زيد بن حارثة التي بعثه رسول الله (عليه الصلاة والسلام) فيها- حين أصاب عير قريش وفيها أبو سفيان بن حرب على القردة ماء من مياه نجد- وكان من حديثها أن قريشاً خافوا طريقهم التي كانوا يسلكون إلى الشام- حين كان من وقعة بدر ما كان- فسلكوا طريق العراق. فخرج منهم تجار فيهم أبو سفيان بن حرب ومعه فضة كثيرة وهي عظم تجارتهم واستأجروا رجلاً من بني بكر بن وائل يقال له فرات بن حيان يدلهم في ذلك[على] الطريق)[2]. ويضيف بن إسحاق في مقطع آخر فيقول: (وبعث رسول الله (عليه الصلاة والسلام) زيد بن حارثة. فلقيهم على ذلك الماء. فأصاب تلك العير وما فيها. وأعجزه الرجال، فقدم بها على رسول الله (عليه الصلاة والسلام)[3].

وأما البلاذري فيعرضها بهذا الشكل: وسرية القردة وهي فيما بين الربذة الغمر ناحية ذات عرق وكانت قريش عدلت بعيرها عن الطريق إلى ماء هناك خوفاً من المسلمين فوجه رسول الله (عليه الصلاة والسلام) زيد بن حارثة مولاه في عدة من المسلمين وزيد أميرهم. فظفر بالعير وأفلت أعيان القوم: صفوان بن أمية وغيره فبلغ الخمس عشرين ألف درهم. وكان فرات بن حيان العجلي دليل قريش فأسره زيد وأتى به النبي (عليه الصلاة والسلام). فأسلم. وكانت هذه السرية في جمادى الآخرة سنة ثلاث وبعدها كانت غزوة أحد)[4].

(1) أخرجه البخاري في صحيحه في باب السيرة قبل نجد (4338).

(2) ابن هشام، السيرة النبوية 2/ 430.

(3) ابن هشام، السيرة النبوية، 2/ 429-430.

(4) البلاذري، الأنساب، تحقيق: محمد حميد الله، ط1 (القاهرة: 1958) 1/ 374.

ومن هنا نجد الفارق واضح ما بين ما يعرضه أصحاب السنن وأصحاب المغازي ووجدنا أن أصحاب السنن مهتمين بالقضايا الفقهية وأصحاب السير والمغازي مهتمين بالعرض التاريخي مع تثبيت الوقائع والأحداث ضمن منظور زمني وهو الأفضل على ما يبدو، وكان على ما يبدو أحدهما يكمل الآخر.

ما جاء في باب غزوة أحد

ونستمر مع الإمام في صحيحه وهو يحاول أن يستعرض لنا أهم الأحداث التي حصلت في حياة الرسول (عليه الصلاة والسلام) وعلى الخصوص صراعه العسكري مع كفار قريش وطواغيتها فهو في باب غزوة أحد يتحدث لنا عن أهم الأحداث التي تعرض لها الرسول (عليه الصلاة والسلام) يقول: وحدثنا هداب بن خالد الأزدي حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد وثابت البناني: عن أنس بن مالك: أن رسول الله (عليه الصلاة والسلام) أفرد يوم أحد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش فلما رهقوه قال: (من يردهم عنا وله الجنة. أو هو رفيقي في الجنة؟ فتقدم رجل من الأنصار. فقاتل حتى قتل. ثم رهقوه أيضاً فقال: (من يردهم عنا وله الجنة. أو هو رفيقي في الجنة؟) فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة فقال رسول الله (عليه الصلاة والسلام) لصاحبيه: (ما أنصفنا أصحابنا)[1].

ويضيف الإمام مسلم في مقطع آخر فيقول: (حدثنا يحيى بن يحيى التميمي. حدثنا عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه: أنه سمع سهل بن سعد يسأل عن جرح رسول الله (عليه الصلاة والسلام) يوم أحد؟ فقال: جرح وجه رسول الله (عليه الصلاة والسلام) وكسرت رباعيته وهشمت البيضة على رأسه. فكانت فاطمة بنت رسول الله (عليه الصلاة والسلام) تغسل الدم وكان علي بن أبي طالب يسكب عليها بالمجن. فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة أخذت قطعة حصير فأحرقته حتى صار رماداً ثم ألصقته بالجرح فاستمسك الدم)[2]. وفي مقطع آخر

---

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب غزوة أحد (1789).
(2) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب غزوة أحد (1789).

يضيف الإمام مسلم بقوله: حدثنا عبد الله بن مسلمة بن قعنب حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت: عن أنس أن رسول الله (عليه الصلاة والسلام) كسرت رباعيته يوم أحد وشج رأسه. فجعل يَسْلِتُ الدم عنه ويقول: (كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم إلى الله؟)[1]. فأنزل الله ﷻ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ [آل عمران: 128]. وفي لفظ آخر يقول الإمام مسلم: (حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير حدثنا وكيع حدثنا الأعمش عن شقيق عن عبد الله قال: كأني أنظر إلى رسول الله (عليه الصلاة والسلام) يحكي نبياً من الأنبياء ضربه قومه. وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: (رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون)[2]. ويحدثنا الإمام مسلم بقوله: (هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله (عليه الصلاة والسلام) فذكر أحاديث منها: وقال رسول الله: (اشتد غضب الله على قوم فعلوا هذا برسوله (ﷺ)[3]. وهو حينئذ يشير إلى رباعيته وقال رسول الله (عليه الصلاة والسلام): (اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله في سبيل الله ﷻ)[4]. وعند الإمام البخاري يعرض بشكل مختصر ما حصل يوم أحد من أحداث فيركز على موضوع الجراح الذي أصاب رسول الله فيحدثنا في باب ما أصاب النبي (ﷺ) يقول: حدثنا إسحاق بن نصر. حدثنا عبد الرزاق عن معمر. عن همام سمع أبا هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (عليه الصلاة والسلام): (اشتد غضب الله على قوم فعلوا بنبيه-يشير إلى رباعيته- اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله في سبيل الله)[5]. ويقدم الإمام البخاري هذه الرواية بعدة ألفاظ ومنها تلك الرواية التي تتحدث عن قيام السيدة فاطمة بمداواة الرسول (عليه الصلاة والسلام)[6]..

وينفرد الإمام البخاري عن الإمام مسلم بأنه يخصص باباً للحديث عمن قتل من المسلمين يوم أحد يقول: منهم: حمزة بن عبد المطلب واليمان، وأنس بن

---

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب غزوة أحد (1791).
(2) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب غزوة أحد (1792).
(3) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب اشتداد غضب الله (1793).
(4) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب اشتداد غضب الله (1793).
(5) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في باب ما أصاب النبي (4073).
(6) ينظر الإمام البخاري باب ما أصاب النبي (4074، 4075، 4076).

النضر ومصعب بن عمير[1]. وفي رواية أخرى يقول الإمام البخاري: وحدثني عمرو بن علي: حدثنا معاذ بن هشام قال: حدثني أبي عن قتادة: ما نعلم حياً من أحياء العرب أكثر شهيداً، أعز يوم القيامة من الأنصار)[2]. قال قتادة: وحدثنا أنس بن مالك: أنه قتل منهم يوم أحد سبعون ويوم بئر معونة سبعون ويوم اليمامة سبعون. قال: وكان يوم بئر معونة على عهد رسول الله ويوم اليمامة على عهد أبي بكر. يوم مسيلمة الكذاب)[3]. وفي رواية أخرى يحدثنا الإمام البخاري فيقول: حدثنا قتيبة بن سعيد: حدثنا الليث عن بن شهاب عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك أن جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما) أخبره أن رسول الله (عليه الصلاة والسلام) كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد. ثم يقول: (أيهم أكثر أخذاً للقرآن) فإذا أشير إلى أحد قدمه في اللحد. وقال: (أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة) وأمر بدفنهم بدمائهم ولم يصل عليهم ولم يغسلوا)[4].

ومن المسائل المهمة التي ذكرت عن غزوة يوم أحد ما ذكره الإمام مسلم في باب كفن الميت يحدثنا فيقول عن أحوال شهداء يوم أحد وحدثنا يحيى بن يحيى التميمي وأبو بكر بن أبي شيبة ومحمد بن عبد الله بن نمير وأبو كريب واللفظ ليحيى: عن خباب بن الأرت قال: هاجرنا مع رسول الله (عليه الصلاة والسلام) في سبيل الله نبتغي وجه الله. فوجب أجرنا على الله. فمنا من مضى لم يأكل من أجره شيئاً. منهم مصعب بن عمير قتل يوم أحد فلم يوجد له شيء يكفن فيه إلا نمرة. فكنا إذا وضعناها على رأسه خرجت رجلاه. وإذا وضعناها على رجليه خرج رأسه. فقال رسول الله (عليه الصلاة والسلام) (ضعوها مما يلي رأسه واجعلوا على رجليه الأذخر) ومنا من ايعنت له ثمرته فهو يهديها)[5]. وقد ذكره الإمام البخاري من قبل بنفس اللفظ[6].

---

(1) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في باب من قتل من المسلمين يوم أحد (4078).

(2) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في باب من قتل من المسلمين يوم أحد (4078).

(3) أخرجه الإمام البخاري في باب ما أصاب النبي (4078).

(4) أخرجه الإمام البخاري في باب ما أصاب النبي (4079).

(5) أخرجه الإمام مسلم في باب كفن الميت (940).

(6) ينظر الإمام البخاري في باب من قتل يوم أحد (4082).

وفي باب فضل المدينة يحدثنا الإمام مسلم عن محبة رسول الله لجبل أحد يقول: حدثنا يحيى بن أيوب وقتيبة بن سعيد وابن حجر جميعاً عن إسماعيل قال ابن أيوب حدثنا إسماعيل بن جعفر، أخبرني عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب بن عبد الله بن حنطب: أنه سمع أنس بن مالك يقول: قال: رسول الله (عليه الصلاة والسلام) لأبي طلحة: (التمس لي غلاماً من غلمانكم يخدمني) فخرج أبو طلحة يردفني وراءه فكنت اخدم رسول الله (عليه الصلاة والسلام) كلما نزل. وقال في الحديث: ثم أقبل: حتى إذا بدا له أُحد قال: (هذا جبل يحبنا ونحبه) فلما أشرف على المدينة قال: (اللهم إني أحرم ما بين جبليها مثل ما حرم به إبراهيم مكة. اللهم بارك لهم في مدهم وصاعهم)[1].

وعند الإمام البخاري قد خرّج هذا الموضوع في باب جبل أُحد يحبنا ونحبه بسند ولفظ مختلف قال الإمام البخاري: قاله عباس بن سهل عن أبي حميد، عن النبي: حدثني نصر بن علي قال: أخبرني أبي عن قرة بن خالد عن قتادة سمعت أنساً (رضي الله عنه) أن النبي ﷺ قال: (هذا جبل يحبنا ونحبه)[2]. وفي رواية أخرى يقول حدثنا عبد اللطيف بن يوسف: أخبرنا مالك، عم عمرو مولى المطلب عن أنس ابن مالك (رضي الله عنه) أن رسول الله (عليه الصلاة والسلام) طلع له أحد. فقال: (هذا جبل يحبنا ونحبه اللهم إن إبراهيم حرم مكة وإني حرمت ما بين لابتيها[3].

ومن الملاحظات المفيدة التي يمكن أن نسجلها على ما قدمه الإمامان الحبران البخاري ومسلم هي اختصار الإحالات في حالة تشابه السند واللفظ ومن المعلوم لدينا أن الإمام البخاري هو أقدم من الإمام مسلم من حيث إن الفرق بين وفاتهما هو عقد سبق الإمام البخاري مسلم بعده سنوات مما يعني أن كثيراً من المسائل ذات العلاقة بالسيرة قد تتشابه أو قد تختلف أحياناً بل إن المسألة نفسها فقد عرضها أحدهم في باب غير الباب الذي عرضه الثاني وهذا يدل على الاختلاف في تخريج هذه المسألة عندهم وسبق أن قدمنا مسائل عديدة حول ذلك.

---

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب فضل المدينة (1365).

(2) أخرجه الإمام البخاري في باب أحد يحبنا ونحبه (4083).

(3) أخرجه الإمام البخاري في باب أحد يحبنا ونحبه (4084).

وفي نهاية العرض عن غزوة أُحد يحدثنا الإمام مسلم عن الموقف الذي طلب فيه رسول الله (عليه الصلاة والسلام) من بعض الصحابة النظر في الموقف الذي ستعمد قريش للقيام به بعدما انكسر المسلمون في صولة خالد بن الوليد عليهم يومها يحدثنا يقول وبشكل مختصر في باب الفضائل: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا بن نمير وعبده قالا: حدثنا هشام عن أبيه قال: قالت لي عائشة: أبواك والله من الذين استجابوا لله ورسوله من بعدما أصابهم القرح[1]. في حين نجد أن الإمام البخاري (رَحِمَهُ اللَّهُ) يضع نفس المسألة في باب آخر ويتحدث عنها مطولاً باب: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ﴾ [آل عِمرَان: 172]. فيقول: حدثنا محمد حدثنا أبو معاوية عن هشام عن أبيه عن عائشة (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا): ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ﴾ قالت لعروة: يا ابن أختي كان أبواك منهم، الزبير وأبو بكر. لما أصاب رسول الله (عليه الصلاة والسلام) ما أصاب يوم أحد. وانصرف عنه المشركون خاف أن يرجعوا. قال: (من يذهب في أثرهم) فانتدب منهم سبعون رجلاً. قال: كان فيهم أبو بكر والزبير)[2].

فيما سبق تناولنا الروايات التي قدمها أصحاب الصحاح في باب غزوة أُحد ومن أجل الاستزادة في تحقيق الصورة الكاملة للغزوة سنعمد إلى عرضها عند واحد من أصحاب السير والمغازي بن إسحاق وسوف نرى الفرق بيناً واضحاً بين المنهجين وأن لكل منهج خصوصياته وفوائده يقول ابن إسحاق في عرض أحداث غزوة يوم أُحد: لما أصيب يوم بدر من كفار قريش أصحاب القليب ورجع منهم إلى مكة ورجع أبو سفيان بن حرب بعير مشى عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية في رجال من قريش ممن أصيب أباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم يوم بدر فكلموا أبا سفيان بن حرب ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة فقالوا: يا معشر قريش، إن محمداً قد وتركم وقتل خياركم فأعيينوا

(1) أخرجه الإمام مسلم في باب الفضائل (2418).
(2) أخرجه الإمام البخاري في باب الذين استجابوا. . . (4077).

بهذا المال على حربه. فلعنا ندرك منه ثأرنا بمن أصاب منا ففعلوا[1]. وفي مقطع آخر يقول ابن إسحاق: (فاجتمعت قريش لحرب رسول الله (عليه الصلاة والسلام) حيث فعل ذلك أبو سفيان [ابن حرب] وأصحاب العير بأحابيشها ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة)[2]. ويقول أيضاً (وخرج سافع بن عبد مناف ابن وهب بن حذافة بن جمح إلى بني مالك بن كنانة يحرضهم ويدعوهم إلى حرب رسول الله (عليه الصلاة والسلام)[3].

وفي مقطع آخر يقول ابن إسحاق عن يوم أُحد: ودعا جبير بن مطعم غلاماً له حبشياً يقال له وحشي يقذف بحربة له قذف الحبشة قلما يخطئ بها فقال له: أخرج مع الناس. فإن أنت قتلت حمزة عم محمد بعمي طعيمة بن عدي فأنت عتيق)[4].

فخرجت قريش بحدها وجدها [وحديدها] وأحابيشها ومن تابعها من بني كنانة وأهل تهامة وخرجوا معهم بالظعن التماس الحفيظة. وأن لا يفروا فخرج أبو سفيان بن حرب وهو قائد الناس [معه] بهند ابنة عتيق وخرج عكرمة بن أبي جهل بأم حكيم بنت الحرث بن هشام بن المغيرة وخرج الحارث بن هشام بن المغيرة بفاطمة بنت الوليد بن المغيرة.[5]. ويقول ابن إسحاق مستعرضاً أحوال الغزوة: فأقبلوا حتى نزلوا بعينين جبل ببطن السبخة من قناة على شفير الوادي مقابل المدينة[6].

فلما سمع بهم رسول الله (عليه الصلاة والسلام) والمسلمون قد نزلوا حيث نزلوا قال رسول الله (عليه الصلاة والسلام) للمسلمين: (إني قد رأيت والله خيراً: رأيت بقراً تذبح ورأيت في ذباب سيفي ثلماً ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها بالمدينة) ويفسر بن هشام هذه الرؤيا فيقول: وحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله (عليه الصلاة والسلام) قال: (رأيت بقراً تذبح، قال: فأما البقر فهي ناس من أصحابي يقتلون وأما الثلم الذي [رأيت] في ذباب سيفي فهو

---

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 3-4.
(2) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 4.
(3) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 5.
(4) ابن هشام، السيرة النبوية/ 3/ 5-6.
(5) ابن هشام، السيرة النبوية 3/ 6-7.
(6) ابن هشام، المكان نفسه.

رجل من أهل بيتي يقتل)[1].

وفي مقطع آخر يقول ابن إسحاق واصفاً ما جرى يوم أُحد وعن استعدادات الرسول (عليه الصلاة والسلام) لمواجهة قريش وحلفائها: (فقال رسول الله (عليه الصلاة والسلام): (فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا فإن أقاموا أقاموا بشر مكان، وإن هم دخلوها علينا قاتلناهم فيها، وكان رأي عبد الله بن أبي سلول مع رأي رسول الله (عليه الصلاة والسلام)، وكان رسول الله (عليه الصلاة والسلام) يكره الخروج فقال رجال ممن أكرم الله بالشهادة يوم أحد وغيره ممن كان فاته بدر: يا رسول الله أخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون أنا جبنا عنهم وضعفنا. فقال عبد الله بن أبي سلول: يا رسول الله أقم بالمدينة لا تخرج إليهم. فوالله مأخرجنا منها إلى عدو لنا قط إلا أصاب منا. ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه. فدعهم يا رسول الله. فإن أقاموا أقاموا بشر محبس وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم، وإن رجعوا خائبين كما جاؤوا)[2]. ويستمر بن إسحاق في عرضه لوقائع يوم أحد فيقول (فلم يزل الناس برسول الله عليه الصلاة السلام الذين كان من أمرهم حب لقاء القوم حتى دخل رسول الله (عليه الصلاة والسلام) [بيته] فلبس لامته وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة)[3]. واستعمل بن أم مكتوم على الصلاة بالناس) وخرج رسول الله (عليه الصلاة والسلام) وخرج معه ألف من أصحابه يقول ابن إسحاق(حتى إذا كانوا بالشوط-بين المدينة وأُحد- انخزل عنه عبد الله بن [أبي سلول] بثُلُث الناس وقال: أطاعهم وعصاني، ما ندري علام نقتل أنفسنا ههنا أيها الناس؟ فرجع بمن أتبعه من قومه من أهل النفاق والريب)[4]. وقالت الأنصار يومها يا رسول الله (ألا نستعين بحلفائنا من يهود: فقال: (لا حاجة لنا فيهم)[5]. ومضى رسول الله (عليه الصلاة والسلام) حتى سلك في حرة بني حارثة فذب فرس بذنبه فأصاب

(1) ابن هشام، السيرة النبوية 3/ 7.
(2) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 7-9.
(3) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.
(4) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.
(5) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.

كلاب سيف فاستله[1]. فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام لصاحب السيف: (شم سيفك فإني أرى السيوف اليوم ستسل[2]. ومضى رسول الله (عليه الصلاة والسلام) حتى نزل الشعب من أُحد في عدوة الوادي إلى الجبل. فجعل ظهره وعسكره إلى أُحد. وقال: (لا يقاتلن أحد منكم حتى نأمره بالقتال) وقد سرحت قريش الظهر والكراع في زروع كانت بالصمغة من قناة المسلمين)[3].

عبأ رسول الله (عليه الصلاة والسلام) صحابته للقتال وهو في سبعمائة رجل وأمر على الرماة عبد الله بن جبير أخا بني عمرو بن عوف وهو معلم يومئذ بثياب بيض والرماة خمسين رجلاً فقال: (أنضح الخيل عنا بالنيل لا يأتونا من خلفنا إن كانت لنا أو علينا فاثبت مكانك لا نؤتين من قبلك). وظاهر رسول الله (عليه الصلاة والسلام) بين درعين ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير أخي بني عبد الدار)[4].

وقال ابن إسحاق: وتعبأت قريش وهم ثلاثة آلاف رجل ومعهم مائتا فارس قد جنبوها فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل[5]. إضافة إلى ذلك يقول ابن إسحاق (إن أبا عامر عبد عمرو بن صيفي بن مالك بن النعمان أحد بني ضبيعة- وقد كان خرج حين خرج إلى مكة مباعداً لرسول الله (عليه الصلاة والسلام)- معه خمسون غلاماً من الأوس وكان يعد قريشاً أن لو قد لقيى قومه لم يختلف عليه منهم رجلان فلما التقى الناس كان أول من لقيهم أبو عامر في الأحابيش. وعبدان أهل مكة. فنادى يا معشر الأوس أنا أبو عامر. قالوا: فلا أنعم الله بك عيناً يا فاسق، وكان أبو عامر يسمى في الجاهلية الراهب فسماه رسول الله (عليه الصلاة والسلام) الفاسق. فلما سمع ردهم عليه قال: لقد أصاب قومي من بعدي شر، ثم قاتلهم قتالاً شديداً ثم رضخهم بالحجارة)[6].

---

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه ويقال: كلاب سيف.
(2) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.
(3) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 10-13.
(4) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.
(5) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.
(6) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.

وأما عن التعبئة عند قريش وزعمائها يحدثنا بن إسحاق عن ذلك فيقول: وقد قال: أبو سفيان لأصحاب اللواء من بني عبد الدار يحرضهم بذلك على القتال: يا بني عبد الدار، إنكم قد وليتم لواءنا يوم بدر فأصابنا ما قد رأيتم. وإنما يؤتى الناس من قبل راياتهم إذا زالت زالوا فإما أن تكفونا لواءنا. وإما أن تخلوا بيننا وبينه فنكفيكموه فهموا به وتواعدوه. وقالوا نحن نسلم إليك لواءنا؟ ستعلم غداً إذا التقينا كيف نصنع وذلك أراد أبوسفيان فلما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض قامت هند بنت عتبة في النسوة اللاتي معها وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ويحرضنهم)[1]. يقول ابن إسحاق: وكان شعار أصحاب رسول الله (عليه الصلاة والسلام) يوم أُحد: (أمت أمت) ويقول: فاقتتل الناس حتى حميت الحرب وقاتل أبو دجانة حتى أمعن في الناس، فقالت الأنصار: أخرج أبو دجانة عصابة الموت وهكذا كانت تقول له إذا تعصب بها فخرج وهو يقول:

أنا الذي عاهدني خليلي ونحن بالسفح لدى النخيل

أنا لا أقوم الدهر في الكيول أضرب بسيف الله والرسول[2]

ويقدم بن إسحاق صورة رائعة عن بطولة الصحابي الجليل أبو دجانة[3]. وحمزة عم الرسول (عليه الصلاة والسلام) ويكاد ينفرد بهذا العرض يقول: وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل أرطاءة بن عبد شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف ابن عبد الدار وكان أحد النفر الذين يحملون اللواء. ثم مر به سباع بن عبد العزى الفيشاني وكان يكنى بأبي نيار فلما التقيا ضربه حمزة فقتله، قال وحشي غلام جبير بن مطعم: والله إني لأنظر إلى حمزة يهد الناس بسيفه ما يليق [به] شيئاًمثل الجمل الأورق. إذ تقدمني إليه سباع [ابن عبد العزى] فضربه ضربة فكأنما أخطأ رأسه. وهززت حربتي، حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت في ثنته. حتى خرجت من بين رجليه فأقبل نحوي فغُلب فوقع. وأمهلته حتى إذا مات جئت فأخذت حربتي ثم تنحيت إلى العسكر ولم يكن لي بشيء حاجة غيره[4]. ويبدو أن

---

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.

(2) ابن هشام، السيرة النبوية 3/ 14-15.

(3) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.

(4) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 18-20.

أصحاب الصحاح والسنن نقلوا حديث استشهاد حمزة عن وحشي الذي حدث به الناس عندما كان في مدينة حمص من بلاد الشام، بشكل كامل[1].

ويقدم بن إسحاق صورة عظيمة من مواقف الصحابة يوم أُحد فهو يحدثنا عن أحد الصحابة فيقول: (وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله حتى قتل وكان الذي قتله بن قمئة الليثي وهو يظن أن رسول الله (عليه الصلاة والسلام) فرجع إلى قريش فقال: قتلت محمداً. فلما قتل مصعب بن عمير أعطى رسول الله (عليه الصلاة والسلام) اللواء علي بن أبي طالب وقاتل علي بن أبي طالب ورجال من المسلمين.. فتقدم علي، فقال: أنا أبو القصم فناداه أبو سعد بن أبي طلحة وهو صاحب لواء المشركين أن هل لك يا أبا القصم (ويقال: أبو الفصم) في البِراز من حاجة؟ قال: نعم فبرزا بين الصفين، فاختلفا ضربتين. فضربه علي فصرعه[2]. ثم انصرف عنه ولم يجهز عليه. ويحدثنا بن إسحاق فيقول عن بداية المنازلة: (ثم أنزل الله نصره على المسلمين وصدقهم وعد فحسوهم بالسيوف حتى كشفوهم عن العسكر، وكانت هزيمة لا شك فيها)[3]. ويقول ابن إسحاق: (وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عباد عن عبد الله بن الزبير عن الزبير أنه قال: (والله لقد رأيتني أنظر إلى خدم هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هوارب ما دون أخذهن قليل ولا كثير إذ مالت الرماة إلى العسكر حين كشفنا القوم عنه وخلوا ظهورنا للخيل فأتينا من خلفنا وصرخ صارخ: ألا إن محمداً قد قتل)[4]. فانكفأ وانكفأ علينا القوم بعد أن أصابنا أصحاب اللواء حتى ما يدنوا منه أحد من القوم[5].

ويضيف بن إسحاق في مقطع آخر عن أحوال المسلمين بعد صولة قريش عليهم (وانكشف المسلمون فأصاب فيهم العدو. وكان بلاءاً وتمحيص. أكرم الله فيه من أكرم من المسلمين بالشهادة. حتى خلص العدو إلى رسول الله (عليه

---

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.
(2) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.
(3) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 24-28.
(4) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.
(5) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.

الصلاة والسلام) فدثَّ بالحجارة حتى وقع لشقه. فأصيبت رباعيته وشج في وجهه وكلمت شفته وكان الذي أصابه عتبة بن أبي وقاص[1].

يقول ابن إسحاق: فحدثني حميد الطويل عن أنس بن مالك قال: كسرت رباعية النبي (عليه الصلاة والسلام) يوم أُحد وشج في وجهه فجعل الدم يسيل على وجهه وجعل يمسح الدم وهو يقول: (كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم)[2]. فأنزل الله ﷻ في ذلك ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ۝١٢٨﴾[3].

إن ما تعرض له رسول الله (عليه الصلاة والسلام) يوم أحد كان قاسياً لقد حاول كفار قريش النيل منه بأية وسيلة كانت فلقد ذكر بن هشام عن ربيح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه عن أبي سعيد الخدري. أن عتبة بن أبي وقاص رمى رسول الله (عليه الصلاة والسلام) يومئذ فكسر رباعيته اليمنى السفلى وجرح شفته السفلى. وأن عبد الله بن شهاب الزهري شجه في جبهته وإن ابن قمئة جرح وجنته فدخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته. ووقع رسول الله (عليه الصلاة والسلام) في حفرة من الحفر التي عمل أبو عامر ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون.

فأخذ علي بن أبي طالب بيد رسول الله (عليه الصلاة والسلام) ورفعه طلحة ابن عبيد الله حتى استوى قائماً. ومص مالك بن سنان أبو سعيد الخدري الدم عن وجه رسول الله (عليه الصلاة والسلام)[4]. وعن أبي بكر الصديق (رضي الله عنه): أن أبا عبيدة بن الجراح نزع أحد الحلقتين من وجه الرسول (ﷺ)[5].

ونستكمل ما حدث يوم أحد من أحداث بما ذكره بن إسحاق (وترس دون رسول الله (عليه الصلاة والسلام) أبو دجانة بنفسه يقع النبل في ظهره وهو منحن عليه حتى كثر فيه النبل ورمى سعد بن أبي وقاص دون رسول الله (عليه الصلاة

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.
(2) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 28-30.
(3) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.
(4) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.
(5) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.

والسلام) قال سعد فقد رأيته يناولني النبل وهو يقول: (ارمِ فداك أبي وأمي) حتى إنه ليناولني السهم ما له نصل فيقول (ارم به)[1]. كما يقدم صورة رائعة عن دور المرأة المسلمة في يوم أحد ويخص بالذكر نسيبة بنت كعب المازنية التي قاتلت دون رسول الله (عليه الصلاة والسلام) هي وزوجها وأبناؤها فمن ما قالته تلك الصحابية الجليلة (فقمت أباشر القتال وأذب عنه بالسيف وأرمي عن القوس، حتى خلصت الجراح اليَّ، وتقول أم سعد: فرأيت على عاتقها جرحاً أجوف له غور فقلت: من أصابك بهذا؟ قال: بن قمئة أقمأه الله)[2].

أقبل يقول: دلوني على محمد فلا نجوت إن نجا. فاعترضت له أنا ومصعب ابن عمير وأناس ممن ثبت مع رسول الله (عليه الصلاة والسلام) فضربني هذه الضربة. فلقد ضربته على ذلك ضربات ولكن عدو الله كانت عليه درعان)[3]. وكذلك فعل عدو الله أبي بن خلف أقبل وهو يقول: أين محمد؟ لا نجوت إن نجا. فقال القوم: يا رسول الله أيعطف عليه رجل منا؟ فقال رسول الله (عليه الصلاة والسلام) (دعوه) فلما دنا منه تناول رسول الله (عليه الصلاة والسلام) الحربة من الحرث بن الصمت-فلما أخذها رسول الله منه انتفض بها انتفاضة تطايرنا عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير إذا انتفض بها)[4]. ثم استقبله فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ منها)[5].

بعد هذا العرض الشيق الذي قدمه بن إسحاق عن غزوة يوم أُحد نجد ما قدمه يختلف اختلافاً كبيراً عما قدمه أصحاب الصحاح والسنن ما عدا بعض التطابق في بعض المواضيع منها مثلاً ما حصل يوم قتل وحشي حمزة عم رسول الله (عليه الصلاة والسلام)[6].

ومن المميزات التي انفرد بها بن إسحاق عن غيره من مؤرخي السيرة

---

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 30-32.

(2) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.

(3) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.

(4) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 30-33.

(5) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.

(6) ينظر صحيح مسلم والبخاري حول هذا الموضوع (غزوة الأحزاب).

والمغازي وحتى أصحاب الصحاح والسنن هو قيامه بإحصاء عدد الشهداء من المسلمين في بدر مثلاً وقتلى المشركين ومن قام بقتلهم وكذلك فعل يوم أُحد حيث سجل لنا في فقرة ذكر من قتل المشركين يوم أحد فهو يسمي المشركين الذين قتلوا يوم أحد وعشائرهم ويسمي كذلك قاتليهم من الصحابة فهذه ميزة إحصائية انفرد بها ابن إسحاق[1]. كما أن هناك بعض الأحداث الأخرى تم التوافق بين أصحاب السنن والمغازي بل إننا نجد بعض أهل السنن اعتمد في بعض مروياته على أصحاب المغازي وهذه ميزة عظيمة ولله الحمد من قبل ومن بعد.

ما جاء في باب غزوة الأحزاب

إذا ما حاولنا عرض الأحداث المتعلقة بالجوانب العسكرية في المرحلة المدنية في عصر الرسالة من خلال كتب الصحاح وحصراً صحيحي الإمامين البخاري ومسلم سوف نلحظ بشكل جلي هناك إهمالاً للعديد من القضايا العسكرية المهمة في حياة الدولة التي أنشأها (عليه الصلاة والسلام) في المدينة فهناك قضايا عسكرية هامة غطاها أصحاب المغازي والسير وخصوصاً بن إسحاق فلقد كان ملماً بها ففي صحيحي مسلم والبخاري هناك انتقالة سريعة من غزوة أحد إلى الخندق في حين نرى أن بن إسحاق يستعرض لنا أحداثاً مهمة جرت ما بين غزوتي أحد والخندق وسنحاول عرضها بشكل مختصر طالما موضوع الكتاب يتمحور على عقد مقارنة ما بين أصحاب السنن وأصحاب المغازي.

فبعد أحداث يوم أُحد وما لحق بالمسلمين من أذى فقد ألحقت هذه المعركة أثراً سيئاً على سمعة المسلمين. فقد ذهبت ريحهم وزالت هيبتهم عن النفوس وزادت المتاعب الداخلية التي أحدثها اليهود والمنافقون. والآثار الخارجية التي أحدثها البدو بمساندة قريش وأحاطت الأخطار بالمدينة من كل جانب فلقد أحاط أعداء الإسلام بالإسلام ورسوله وأهله بكل ما أوتو من قوة. فلم يمضِ على معركة أحد شهران حتى تهيأت القبائل العربية البدوية الضاربة أطراف المدينة

(1) ينظر ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 81-83.

للإغارة عليها فهؤلاء بنو أسد استعدوا للإغارة على المدينة. ثم قامت قبائل عضل في شهر صفر من سنة 4 هجرية بمكيدة سببت في قتل عشرة من الصحابة عرفت ببعث الرجيع[1]. وفي نفس الشهر قامت بنو عامر بمكيدة أخرى، سببت في قتل قرابة سبعين من أصحاب رسول الله (عليه الصلاة والسلام) عرفت هذه الوقعة ببئر معونة ولم تزل بنو النضير خلال هذه الفترة الحرجة تجاهر بعدائها للإسلام ورسوله حتى قامت في ربيع الأول من السنة الرابعة للهجرة بمكيدة أخرى الهدف منها كان قتل رسول الله (عليه الصلاة والسلام) وتجرأت غطفان، حتى همت بغزو المدينة في جمادى الأولى سنة 4 هجرية. فكل هذه الأحداث وقعت ما بين أحد والخندق نجد أن أصحاب السنن لم يعرجوا عليها بشيء من الحديث وكأنها أحداث لا قيمة لها. كما أن الرسول (عليه الصلاة والسلام) قام ببعض الأعمال لاستعادة مكانة المسلمين وهيبتهم في نفوس قريش والعرب أيضاً لم تذكرها كتب الصحاح والسنن إلا الإمام البخاري وقف عند البعض منها وهذا ما سنقف عنده لاحقاً. إذا كانت أحد قد ألحقت شيئاً بهيبة وقوة المسلمين إلا أننا نجد أن الرسول (عليه الصلاة والسلام) وهو قائد الأمة ورسول رب العالمين يعمل بكل جهد على استعادة مكانة الدولة وهيبتها في نفوس أعدائها.

ومن أوائل الأعمال العسكرية التي قام بها رسول الله (عليه الصلاة والسلام) لاستعادة مكانة الدولة وهيبتها هو القيام بحركة جريئة جداً. هي مطاردة فلول قريش العائدة إلى مكة والتي عرفت بغزوة صحراء الأسد. إن هذه العملية العسكرية حفظت قدراً كبيراً من سمعة المسلمين وقوتهم عند قريش وحلفائها. ثم إن هذه العملية أدهشت كل المنافقين والعرب المشركين واليهود كافة بقدرة المسلمين على المنازلة مجدداً. ثم استمر (عليه الصلاة والسلام) في تخطي مأساة أحد فأرسل سرية أبي سلمة. فقد نقلت الأخبار إلى رسول الله (عليه الصلاة والسلام) أن طلحة وسلمة ابني خويلد قد سارا في قومها ومن أطاعهما يدعون بني أسد بن خزيمة لحرب رسول الله (عليه الصلاة والسلام) أو غزو المدينة. فسارع رسول الله عليه الصلاة والسلام بإرسال بعثة قوامها مائة وخمسون رجلاً

(1) ينظر البلاذري، الأنساب، 1/ 375-276.

من المهاجرين والأنصار وأمر عليهم أبا سلمة وعقد له لواء وباغت أبو سلمة بني أسد بن خزيمة في ديارهم وشتت شملهم وأصاب منهم المسلمون إبلاً وشاء[1]. وكانت هذه السرية في المحرم من سنة أربع هجرية. وفي نفس الشهر بعث رسول الله (عليه الصلاة والسلام) إلى خالد بن سفيان الهذلي الذي جمع الجموع لغزو المدينة عبد الله بن أنيس ليقتله[2]. وكان لإخراج يهود بني النضير من المدينة أثره الكبير في استعادة الإسلام لمكانته في المدينة، وفي المناطق المحيطة بها.

وجاء خروج الرسول (عليه الصلاة والسلام) في ألف وخمسمائة من أصحابه لملاقاة أبو سفيان وزعماء مكة للموعد الذي ضربه قبل عام لمنازلة الرسول (عليه الصلاة والسلام) وأصحابه. أثره الكبير في نفوس سكان المدينة من المنافقين واليهود وأعراب البادية وخصوصاً عندما أعلن أبو سفيان الانسحاب وعدم المواجهة مع المسلمين بحجة سوء الأحوال وجدب الأرض وقلة الماء. والتي سميت عند أصحاب المغازي ببدر الثانية أو بدر الموعد[3]. وكانت غزوة دومة الجندل آخر غزوة قبل الخندق، وهي غزوة غزاها رسول الله بنفسه عندما جاءته الأخبار بأن القبائل حول دومة الجندل تقطع الطريق وتسلب أموال الناس وأنها حشدت جمعاً كبيراً لغزو المدينة فاستعمل رسول الله (عليه الصلاة والسلام) على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري وخرج في ألف من المسلمين لخمس ليالٍ بقين من ربيع الأول سنة خمسة هجرية فلما دنا منهم إذا هم مغربون فهجم على ماشيتهم ورعائهم فأصاب ما أصاب وهرب من هرب)[4].

إن هذه الأعمال العسكرية المخطط لها من قبل رسول الله (عليه الصلاة والسلام) أعادت للمسلمين مكانتهم وغيرت موازين المعادلة لا سيما أن قريشاً وغيرها ظنوا ظناً خاطئاً أن ما حصل يوم أحد نهاية للمسلمين ودولتهم إلا أن أحداث غزوة الأحزاب أثبتت عكس ذلك يا ترى ما هذه الأحداث المهمة لماذا

(1) ينظر ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 188-200، ابن قيم الجوزية، زاد المعاد 2/ 108.
(2) ينظر ابن هشام، المكان نفسه.
(3) ينظر ابن هشام، السيرة النبوية3، / 221-224.
(4) ابن هشام، المكان نفسه.

لم يتناولها أصحاب السنن والصحاح طالما أفردوا في كتبهم باباً سموه باب الجهاد والمغازي ألا يفترض أن تكون هذه الأحداث داخلة ضمن هذا الكتاب الذي ضمنوه عدة أبواب حول المغازي والسير.

قلنا سابقاً ما عدا الإمام البخاري فإنه استعرض بشكل جيد كثيراً من هذه الأحداث ووقف عند بعث الرجيع وبئر معونة محللاً ومفسراً وموضحاً الكثير من المسائل المهمة فيهما وقد أفرد لهما باباً سماه باب غزوة الرجيع ورعل وذكوان وبئر معونة. وقبل الحديث عنه يقول: قال ابن إسحاق: حدثنا عاصم بن عمر: أنها بعد أحد[1].

يقول الإمام البخاري: حدثني إبراهيم بن موسى: أخبرنا هشام بن يوسف عن معمر عن الزهري عن عمرو بن أبي سفيان الثقفي عن أبي هريرة(ﷺ) قال: بعث النبي (ﷺ) سرية عيناً وأمر عليهم عاصم بن ثابت وهو جد عاصم بن عمر بن الخطاب. فانطلقوا حتى إذا كان بين عسفان ومكة. ذكروا الحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان فتبعوعهم بقريب من مائة رام فاقتصوا آثارهم حتى لحقوهم. فلما انتهى عاصم وأصحابه لجؤوا إلى فدفد وجاء القوم فأحاطوا بهم. فقالوا: لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا لا نقتل منكم رجلاً. فقال عاصم: أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر. اللهم أخبر عنا نبيك فرموهم حتى قتلوا عاصماً في سبعة نفر بالنبل. وبقي خبيب وزيد ورجل آخر. فأعطوهم العهد والميثاق. فلما أعطوهم العهد والميثاق نزلوا إليهم فلما استمكنوا منهم حلوا أوتار قِسيهم فربطوهم بها فقال الرجل الثالث الذي معهما هذا أول الغدر فأبى أن يصحبهم فجروه وعالجوه على أن يصحبهم فلم يفعل فقتلوه. وانطلقوا بخبيب وزيد حتى باعوهما بمكة فأشترى خبيباً بنو الحارث بن عامر بن نوفل وكان خبيب هو قتل الحارث يوم بدر فمكث عندهم أسيراً حتى إذا أجمعوا قتله استعار موسى من بعض بنات الحارث ليستحد بها فأعارته. قالت فغفلت عن صبي لي. فدرج إليه حتى أتاه فوضعه على فخذه. فلما رأيته فزعت منه فزعة عرف ذاك مني وفي يده الموس، فقال: أتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذاك إن شاء الله. وكانت تقول: ما رأيت أسيراً قط خيراً

(1) أخرجه الإمام البخاري في باب غزوة الرجيع (4086).

من خبيب. لقد رأيته يأكل من قطف عنب وما بمكة يومئذ ثمرة. وإنه لموثق في الحديد. وما كان إلا رزق رزقه الله. فخرجوا به من الحرم ليقتلوه. فقال: دعوني أصلي ركعتين. ثم انصرف إليهم فقال: لولا أن تروا أن ما بي جزع من الموت لزدت. فكان أول من سن الركعتين عند القتل هو. ثم قال: اللهم احصهم عدداً، ثم قال:

ما إن أبُالي حين أقتل مسلماً   على أي شقّ كانَ لله مصرَعي[1]
وذلَـكَ فـي ذات الإلـه وإن يـشَـأ   يُبارك عَلَى أوصَال شلوٍ مُمزَعِ

ثم قام إليه عقبة بن الحارث فقتله. وبعثت قريش إلى عاصم ليؤتوا بشيء من جسده يعرفونه وكان عاصم قتل عظيماً من عظمائهم يوم بدر فبعث الله عليه مثل الظلة من الدُبر. فحمته من رسلهم فلم يقدروا منه على شيء)[2]. ويضيف في رواية أخرى أن الذي قتل خبيباً (رضي الله عنه) هو أبو سروعة[3].

ويحدثنا الإمام البخاري في رواية أخرى عن أحداث بئر معونة فيقول: حدثني عبد الأعلى بن حماد: حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد عن قتادة. عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) أن رعلاً وذكوان وعُصيَّة وبني لحيان. استمدوا رسول الله (عليه الصلاة والسلام) على عدو فأمدهم بسبعين من الأنصار. كنا نسميهم القراء في زمانهم. كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل. ثم كانوا ببئر معونة قتلوهم وغدروا بهم فبلغ النبي (عليه الصلاة والسلام) فقنت شهراً يدعو في الصبح على أحياء من أحياء العرب. على رعل وذكوان وعُصيَّه وبني لحيان.قال أنس: فقرأنا فيهم قرآناً. ثم إن ذلك رفع: بلغوا عنا قومنا أنا لقينا رَبنا فرضي عنا وأرضانا)[4].

ويبدو من الروايات التي قدمها الإمام البخاري حول هذا الموضوع يدل على رؤيته الدقيقة والواضحة للقضية فلقد ألم بكل التفاصيل ويعرضها بعدة أسانيد وبألفاظ مختلفة يقول في إحدى هذه الروايات: حدثنا موسى بن إسماعيل:

---

(1) أخرجه الإمام البخاري في باب غزوة الرجيع (4086).
(2) أخرجه الإمام البخاري في باب غزوة الرجيع (4086).
(3) أخرجه الإمام البخاري في باب غزوة الرجيع (4087).
(4) أخرجه الإمام البخاري في باب غزوة الرجيع (4091).

حدثنا همام: عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة قال: حدثني أنس أن النبي (عليه الصلاة والسلام) بعث خاله. أخ لأم سليم في سبعين راكباً وكان رئيس المشركين عامر بن الطفيل (ملاعب الأسنة) خير بين ثلاث خصال. فقال: يكون لك أهل السهل ولي أهل المدر أو أكون خليفتك. أو أغزوك بأهل غطفان بألف ألف؟ فطُعن عامر في بيت أم فلان. فقال: غُدّة كَغدّة البكَر في بيت امرأة من آل فلان. ائتوني بفرسي. فمات على ظهر فرسه. فانطلق حرام أخو أم سليم. وهو رجل أعرج ورجل من بني فلان. قال: كونا قريباً حتى آتيهم فإن أمنوني كنتم وإن قتلوني أتيتم أصحابكم. فقال: أتؤمنوني أبلغ رسالة رسول الله (عليه الصلاة والسلام) فجعل يحدثهم وأمئوا إلى رجل. فأتاه من خلفه فطعنه قال: همام أحسبه- حتى أنفذه بالرمح. قال: الله أكبر فزتُ ورب الكعبة فلحق الرجل فقتلوا كلهم غير الأعرج كان في رأس جبل، فأنزل الله علينا ثم كان من المنسوخ: إنا قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا فدعى النبي (عليه الصلاة والسلام) عليهم ثلاثين صباحاً. على رعل وذكوان وبني لحيان وعُصيَّة الذين عصوا الله ورسوله)[1].

في حين نرى أن الإمام مسلم يقدمها في باب استحباب القنوت بشكل مختصر جداً يقول: حدثنا بن أبي عمر، حدثنا سفيان عن عاصم قال: سمعت أنساً يقول: ما رأيت رسول الله (عليه الصلاة والسلام) وجدَّ على سرية ما وجدَّ على السبعين الذين أصيبوا يوم بئر معونة. كانوا يدعون القراء فمكث شهراً يدعو على قتلهم)[2].

وإذا ما حاولنا عرضها كما قدمها أصحاب المغازي والسير فسوف نرى أن هناك اختلافاً بيناً واضحاً مما يدل أن لكل فريق منهجاً وطريقة في عرض مادته وهذه في الحقيقة ميزة إيجابية وليس فيها ضرر لأن كل واحد من علماء المسلمين الأجلاء حاول أن يقدم للأمة ما يقدر عليه من معلومات تتعلق بسيرة الرسول (عليه الصلاة والسلام) فيما يتعلق بالقضايا الفقهية للاستفادة منها في الحياة العامة

(1) أخرجه الإمام البخاري في باب غزوة بعث الرجيع (4091) (3064).
(2) أخرجه الإمام مسلم في باب استحباب القنوت (677) (البخاري: 1001).

والخاصة للمسلمين وكذلك الفائدة في الاطلاع على الجهد العظيم الذي بذله (عليه الصلاة والسلام) والصحابة للوصول بالإسلام إلى هذه المرحلة المتقدمة.

أما المصادر التاريخية وفي مقدمتها كتب السير والمغازي: يحدثنا بن إسحاق عن هاتين الحادثتين بأسلوب تأريخي شيق، يبدأ بن إسحاق حديثه عنها بذكر البسملة فيقول ذكر يوم الرجيع في سنة ثلاث قال: حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام، قال: حدثنا زياد بن عبد الله البكائي، عن محمد بن إسحاق المطلبي، قال: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال: قدم على رسول الله (عليه الصلاة والسلام) بعد أحد رهط من عضل والقارة وقال ابن هشام: ويقال عضل والقارة: من الهون بن خزيمة بن مدركة فقالوا: يا رسول الله. إن فينا إسلاماً. فابعث فينا نفراً من أصحابك يفقهونا في الدين ويقرئوننا القرآن ويعلموننا شرائع الإسلام، فبعث رسول الله معهم نفراً ستة من أصحابه وهم مرثد بن أبي مرثد الغنوي حليف حمزة بن عبد المطلب وخالد بن البكير الليثي حليف بني عدي بن كعب وعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح أخو بني عمرو بن عوف مالك بن الأوس. وخبيب بن عدي أخو بني جحجبي بن كلفة بن عمرو بن عوف. وزيد بن الدثنة بن معاوية أخو بني بياضة عمرو بن زريق [بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم ابن الخزرج] وعبد الله بن طارق حليف بني ظفر [بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس] وأمر رسول الله (عليه الصلاة والسلام) على القوم مرثد بن أبي مرثد الغنوي فخرج مع القوم حتى إذا كانوا على الرجيع -ماء لهذيل بناحية الحجاز- على صدر الهدأة غدروا بهم فاستصرخوا عليهم هذيلاً فلم يرع القوم -وهم في رحالهم- إلا الرجال بأيديهم السيوف قد غشوهم أسيافهم ليقاتلوا القوم. فقالوا لهم: إنا والله ما نريد قتلكم ولكننا نريد أن نصيب بكم شيئاً من أهل مكة. ولكم عهد الله وميثاقه أن لا نقتلكم. فأما مرثد بن أبي مرثد وخالد بن البكير وعاصم بن ثابت فقالوا: والله لا نقبل من مشرك عهداً ولا عقداً أبداً... وكان عاصم [بن ثابت] يكنى أبا سليمان. ثم قاتل القوم [عاصم] حتى قتل وقتل صاحباه. فلما قتل عاصم أرادت هذيل أخذ رأسه ليبيعوه من سلافة بنت سعد بن شهيد وكانت قد نذرت حين أصاب ابنيها يوم أحد لئن قدرت على رأس عاصم لتشربن في قحفة الخمر. فمنعته الدبر. فلما حالت بينهم وبينه [الدبر] قالوا: دعوه حتى يمسي

فيذهب عنه فنأخذه فبعث الله الوادي فاحتمل عاصماً فذهب به. وقد كان عاصم قد أعطى الله عهداً أن لا يمسه مشرك ولا يمس مشركاً أبدا تنجساً[1].

وأما زيد بن الدثنة وخبيب بن عدي وعبد الله بن طارق فلانوا ورقوا ورغبوا في الحياة فأعطوهم بأيديهم. فأسروهم ثم خرجوا بهم إلى مكة ليبيعوهم بها. حتى إذا كانوا بالظهران أنتزع عبد الله بن طارق يده من القرآن ثم أخذ سيفه واستأخر عنه القوم فرموه بالحجارة حتى قتلوه فقبره (رَحِمَهُ اللهُ) بالظهران وأما خبيب بن عدي وزيد بن الدثنة فقدموا بهما مكة[2].

ومن خلال عرض بن إسحاق لأحداث بعث الرجيع نجد أنفسنا أمام مؤرخ من طراز مميز لامتلاكه القدرة على ترتيب الأحداث وعرضهابشكل متناسق جميل حتى يدفعك ذلك إلى القول بأن بن إسحاق كان يعايش ذاك الحدث لقدرته على الإلمام به وعرضه بهذا الشكل المتجانس ويستمر في عرض وقائع بعث الرجيع فيقول: فباعوهما من قريش بأسيرين من هذيل كانا بمكة، فابتاع خبيباً حجير بن أبي إهاب التميمي حليف بني نوفل لعتبة بن الحرث بن عامر بن نوفل وكان أبو إهاب أخا الحرث بن عامر لأمه، ليقتله بأبيه)[3].... وأما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه أمية بن خلف[4].... (وأما خبيب بن عدي فحدثني عبد الله بن أبي نجيح أنه حدث عن ماوية مولاة حجير بن أبي إهاب وكانت قد أسلمت. قالت: كان خبيب عندي، حبس في بيتي فلقد اطلعت عليه يوماً وإن في يده لقطفاً من عنب مثل رأس الرجل يأكل منه. وما أعلم في أرض الله عنباً يؤكل. ويضيف في مقطع قصة المرأة والموس والغلام وقد عرضها أصحاب السنن بألفاظ مشابهة ويقول عاصم نقلاً عن بن إسحاق: ثم خرجوا بخبيب حتى إذا جاؤوا به إلى التنعيم ليصلبوه قال لهم: إن رأيتم أن تدعوني حتى أركع ركعتين فافعلوا، قالوا: دونك فاركع، فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما ثم أقبل على القوم فقال: أما والله لا أن تظنوا أني إنما طولت جزعاً من القتل لاستكثرت من

(1) ابن هشام، السيرة النبوية 3/ 162-164.

(2) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.

(3) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 164-168.

(4) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.

الصلاة، قال: فكان خبيب بن عدي أول من سن هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين قال: ثم رفعوه على خشبة)[1]. ويستطرد بن إسحاق بحديث مطول عن هذا البعث وما جرى لأصحابه، بروايات عديدة ومتنوعة[2].

ما جاء في حديث بئر معونة

يقول ابن إسحاق وكان من حديثهم (قالوا: قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الأسنة على رسول الله (عليه الصلاة والسلام) المدينة، فعرض عليه رسول الله الإسلام ودعاه إليه فلم يسلم ولم يبعد من الإسلام. وقال: يا محمد لو بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد فدعوهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك فقال: رسول الله (عليه الصلاة والسلام): (إني أخشى عليهم أهل نجد) قال أبو براء: أنا لهم جار. فابعثهم فليدعوا الناس إلى أمرك)[3]. فبعث رسول الله (عليه الصلاة والسلام) المنذر بن عمرو أخا بني ساعدة المعنق ليموت في أربعين رجلاً من أصحابه من خيار المسلمين منهم الحرث بن الصمة وحرام بن ملحان أخو بني عدي بن النجار وعروة بن أسماء بن الصلت السلمي ونافع بن بديل بن ورقاء الخزاعي وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه في رجال مسمين من خيار المسلمين).. (فساروا حتى نزلوا بئر معونة- وهي بين أرض بني عامر وحرة بني سُليم كلا البلدين منها قريب وهي إلى حرة بني سُليم أقرب- فلما نزلوها بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله (عليه الصلاة والسلام) إلى عدو الله عامر ابن الطفيل. فلما أتاه لم ينظر في كتابه حتى عدا على الرجل فقتله ثم استصرخ عليهم بني عامر. فأبوا أن يجيبوه إلى ما دعاهم إليه وقالوا: لن نخفر أبا براء. وقد عقد لهم عقداً وجواراً فاستصرخ عليهم قبائل من بني (سليم [من] عُصيَّة ورعل وذكوان فأجابوه إلى ذلك فخرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم في رحالهم. فلما رأوهم أخذوا سيوفهم ثم قاتلوهم حتى قتلوا من عند آخرهم. إلا كعب بن

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 184-184.
(2) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.
(3) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.

زيد أخا بني دينار بن النجار. فإنهم تركوه وبه رمق فارتث من بين القتلى فعاش حتى قتل يوم الخندق شهيداً (رَحِمَهُ اللهُ) وكان في سرح القوم عمرو بن أمية الضمري ورجل من الأنصار أحد بني عمرو بن عوف وهو المنذر بن محمد بن عقبة بن أميمة بن الجلاح. فلم ينبئهما بمصاب أصحابهما إلا الطير تحوم على العسكر. فقالا والله إن لهذه الطير شأناً فأقبلا ينظرا، فإذا القوم في دمائهم وإذا الخيل التي أصابتهم واقفة. فقال الأنصاري لعمرو بن أمية ما ترى؟ قال: أرى أن نلحق برسول الله (عليه الصلاة والسلام) فنخبره الخبر. فقال الأنصاري: لكني ما كنت لأرغب بنفسي عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو وما كنت لتخبرني عنه الرجال. ثم قاتل القوم حتى قتل وأخذوا عمرو بن أمية أسيراً. فلما أخبرهم أنه من مضر أطلقه عامر بن الطفيل وجز ناصيته وأعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أمه[1]. ويستعرض بن إسحاق العديد من الروايات ذات الفائدة عن الأحداث التي جرت يوم بئر معونة منها(فحدثني هشام بن عروة عن أبيه. أن عامر بن الطفيل كان يقول: من رجل منهم لما قتل رأيته رفع بين السماء والأرض حتى رأيت السماء من دونه؟ قالوا: هو عامر بن فهيرة)[2].وفي رواية أخرى يقول: وكان جبار أحد بني جبار بن سلمى بن مالك بن جعفر كان فيمن حضرها يومئذ مع عامر ثم أسلم. فكان يقول: إن مما دعاني إلى الإسلام أني طعنت رجلاً منهم يومئذ بالرمح بين كتفيه. فنظرت إلى سنان الرمح حين خرج من صدره فسمعته يقول: فزت والله فقلت في نفسي: ما فاز ألست قد قتلت الرجل؟ قال: حتى سألت بعد ذلك عن قوله. فقالوا الشهادة. فقلت فاز لعمر الله[3].

ما جاء في غزوة الخندق

ووصل بنا الحديث إلى غزوة الأحزاب أو الخندق وقد تناولها أصحاب الصحاح والسنن بشكل مختصر جداً ويبدو أنهم تناولوا فيها ما يتعلق فقط

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 186-188.

(2) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.

(3) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.

بالأحكام والقضايا الفقهية أما فيما يتعلق بالمعركة وظروفها وأحوال الناس فيها لم يتطرقوا إليها كان حالهم في عرضهم لكل الغزوات والسرايا والأحداث التأريخية ووجدنا الغزوات التي ليس فيها أحكام أو قضايا فقهية حاولوا تجنبها قدر الإمكان. ومع ذلك سنحاول كما كان هذا هدف هذه الدراسة هو تقديم الغزوات كما قدمها الإمام مسلم ثم الإمام البخاري (رحمهما الله) ثم أصحاب المغازي والوقوف على أوجه التشابه والاختلاف. مما سبق عرضه وجدنا أن هناك تشابهاً كبيراً وإلى حد ما في ذكر بعض المسائل المتعلقة بالغزوات إلا أن الخلاف الواضح عند أهل الصحاح هو عدم التركيز على المعركة وما جرى فيها وعدم التطرق إلى أعداد المقاتلين من كلا الطرفين أو زمان خروج الرسول (ﷺ) لملاقاة عدوه أو من انتدبه من الصحابة على المدينة وهذه مسائل تطرق إليها أصحاب المغازي بشكل طيب وموثق. من المؤكد أن الأمور التي يتم التركيز عليها من قبل أصحاب المغازي والسير عند أهل الصحاح والسنن ليست بذي بال ولهذا تم تجاوزها وهي مسألة ليس فيها ضرر أبداً. فقط المطلوب من القارئ أن يلم بكل هذه المعطيات العلمية لأصحاب المناهج كافة حتى يصل به المطاف إلى السيرة الصحيحة.

يضع الإمام مسلم غزوة الخندق في كتاب الجهاد والسير باب غزوة الأحزاب وهي الخندق ويستعرضها بالشكل الآتي: حدثنا محمد بن المثنى وابن بشار(واللفظ لابن المثنى) قالا: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي إسحاق قال: سمعت البراء قال: كان رسول الله (عليه الصلاة والسلام) يوم الأحزاب ينقل التراب، ولقد وارى التراب بياض بطنه وهو يقول:

والله لولا أنتَ ما اهتَدَيْنَا ... ولا تصَدقْنَا ولا صَلَّينا

فأنزِلنْ سكِينَةً علَينَا ... إن الألى قد أبوا علينا[1]

ويرفع بها صوته.

وفي رواية أخرى يقول الإمام مسلم: حدثنا عبد الله بن مسلمة القعنبي حدثنا عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه: عن سهل بن سعد قال: جاءنا رسول الله (عليه

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه باب غزوة الأحزاب (1803).

الصلاة والسلام) ونحن نحفر الخندق وننقل التراب على أكتافنا فقال رسول الله (عليه الصلاة والسلام)؛: (اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة.. فاغفر للمهاجرين والأنصار)[1]. وقد أورد الإمام مسلم هذا القول بعدة ألفاظ[2].

وفي رواية أخرى يقول: حدثني محمد بن حاتم حدثنا بهز حدثنا حماد بن سلمة: حدثنا ثابت عن أنس أن أصحاب محمد (ﷺ) كانوا يقولون يوم الخندق:

نحن الذين بايعوا محمداً   على الإسلام مابقينا أبداً

والنبي (عليه الصلاة والسلام) كان يقول: اللهم إن الخير خير الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة[3]. هذا ما ذكره الإمام مسلم حول غزوة الأحزاب وسنذكر هنا ما ذكره الإمام البخاري حول نفس الغزوة ويبدو أن الإمام مسلم قد اعتمد على كثير من الروايات التي قدمها الإمام البخاري لا سيما أن الإمام البخاري قد سبق زميله الإمام مسلم بعقد من الزمان.

وإذا ما استعرضنا الروايات التي قدمها الإمام البخاري عن غزوة الخندق سنلحظ بشكل جلي تطابق معظم الروايات من حيث اللفظ. فلقد قدم الإمام البخاري عشر روايات حول غزوة الخندق[4]. ونجدها كلها تدور في مسألة واحدة هي حفر الخندق ومشاركة الرسول (عليه الصلاة والسلام) في حفره ونقل التراب والدعاء للمهاجرين والأنصار، طيب هل أن غزوة الأحزاب هي التي ورد ذكرها في القرآن الكريم في سورة سميت بها. لم تستحق الوقوف عند أحداثها وذكرها بشكل ولو مختصر لا سيما أن هذه الغزوة كانت شديدة على المسلمين ورسولهم (عليه الصلاة والسلام).

وفي باب غزوة الأحزاب يستعرض لنا الإمام مسلم (رحمه الله) خبراً مهما يقول حدثنا: زهير بن حرب وإسحاق بن إبراهيم جميعاً عن جرير قال زهير: حدثنا جرير عن الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال: كنا عند حذيفة فقال رجل:

---

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه باب غزوة الأحزاب (1805).

(2) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه باب غزوة الأحزاب 128-130/ (1804-1805).

(3) أخرجه الإمام مسلم في باب غزوة الخندق (127/ 1805).

(4) أخرجها الإمام البخاري في عدة أبواب (4106، 4104، 3034، 2837، 2836، 6414، 4098، 3797، 7236).

لو أدركت رسول الله (ﷺ) قاتلت معه وأبليت فقال حذيفة: أنت كُنتَ تفعل ذلك؟ لقد رأيتنا مع رسول الله (ﷺ) ليلة الأحزاب وأخذتنا ريح شديدة وقر. فقال رسول الله (ﷺ): (ألا رجل يأتيني بخبر القوم. جعله الله معي يوم القيامة) فسكتنا فلم يجبه منا احد. ثم قال: (الا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة! فسكتنا فلم يجبه منا احد) ثم قال: (ألا رجل يأتينا بخبر القوم. جعله الله معي يوم القيامة! فسكتنا فلم يجبه منا أحد. فقال: قم يا حذيفة، فائتنا بخبر القوم. فلم أجد بداً إذ دعاني باسمي أن أقوم. قال: (اذهب فائتني بخبر القوم ولا تذعرهم عليَّ) فلما وليت من عنده جعلت كأنما أمشي في حَمّام حتى أتيتهم، فرأيت أبا سفيان يصلي ظهره بالنار. فوضعت سهماً من كبد القوس. فأردت أن أرميه فذكرت قول رسول الله (ﷺ): (ولا تذعرهم عليّ) ولو رميت لأصبت فرجعت وأنا أمشي في مثل الحَمَّام. فلما أتيته فأخبرته بخبر القوم وفرغت قُررتُ فألبسني رسول الله (ﷺ) من فضل عباءة كانت عليه يصلي بها. فلم أزل نائماً حتى أصبحت. فلما أصبحت قال: (قم يا نومانُ)[1].

ويقدم لنا الإمام مسلم إضافة إلى ذلك في باب استحباب الدعاء بالنصر عن لقاء العدو فيقول حدثنا سعيد بن منصور حدثنا بن عبد الله عن إسماعيل بن أبي خالد: عن عبد الله بن أبي أوفى قال: دعا رسول الله (ﷺ)- على الأحزاب فقال: (اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم[2]. ويذكر في لفظ آخر (حديث خالد: غير أنه قال: (هازم الأحزاب)[3] ويقول: وزاد بن أبي عمر في روايته (مجري السحاب)[4].

حدثنا الإمام البخاري (رحمه الله) عن غزوة الخندق ضمن كتاب المغازي في باب غزوة الخندق وهي الأحزاب. قال موسى بن عقبة: كانت في شوال سنة أربع ويقول حدثنا: يعقوب بن إبراهيم. حدثنا يحيى بن سعيد عن عبيد الله قال: أخبرني نافع عن بن عمر رضي الله عنهما: أن النبي (ﷺ) عرضه يوم احد. وهو ابن أربع

(1) أخرجه الإمام مسلم في باب غزوة الأحزاب (1788).
(2) أخرجه الإمام مسلم في باب استحباب الدعاء بالنصر (1742).
(3) أخرجه الإمام مسلم في باب استحباب الدعاء بالنصر (22/ 1742).
(4) أخرجه الإمام مسلم في باب استحباب الدعاء بالنصر (22/ 1742).

عشرة سنة فلم يجزه وعرضه يوم الخندق. وهو ابن خمس عشرة سنة فأجازه)[1] ويقول في رواية أخرى: حدثني قتيبة: حدثنا عبد العزيز. عن أبي حازم عن سهل ابن سعد (رضي الله عنهما) قال: كنا مع رسول الله (ﷺ) في الخندق وهم يحفرون ونحن ننقل التراب على أكتافنا فقال رسول الله (ﷺ): (اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للمهاجرين والأنصار)[2] ويضيف الإمام بقوله في مقطع آخر: حدثنا عبد الله بن محمد: حدثنا معاوية بن عمرو: حدثنا أبو إسحاق عن حميد: سمعت أنساً (رضي الله عنه) يقول خرج رسول الله (ﷺ) إلى الخندق فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة. فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم. فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال: اللهم إن العيش عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة، فقالوا مجيبين له:

نحن الذين بايعوا محمدا   على الجهاد ما بقينا أبداً[3].

مما سبق عرضه آنفاً نجد أن أصحاب الصحاح حصروا اخبار غزوة الخندق بالحديث عن حفره (أي الخندق) ودعاء الرسول (عليه الصلاة والسلام) للمهاجرين والأنصار. وذكره الإمام البخاري نقلاً عن موسى بن عقبة بأنها كانت في شوال سنة أربع هجرية وذكر دعاء رسول الله يوم الأحزاب: حدثنا قتيبة بن سعيد. حدثنا سفيان عن إسماعيل بن أبي خالد عن عبد الله بن أبي أوفى قال: قال رسول الله (ﷺ) يوم الأحزاب: (اللهم منزل الكتاب سريع الحساب. اهزم الأحزاب وزلزل بهم)[4]. إن هذه المعلومات جداً مقتضبة عن غزوة الخندق والتي تعد من أعظم الغزوات لا سيما أنها غيرت ميزان القتال ما بين دولة الإسلام في المدينة التي كانت حتى هذه الغزوة في حالة دفاع والعمل على صد كل الهجمات التي تصلها. فخسارة قريش وحلفائها لهذه الفرصة للنيل من قوة الإسلام في عقر داره بعد أن اعدت لها كل ما تستطيع من قوة ورجال وأموال. أصبحت المعادلة بعد هذه الخسارة لصالح المسلمين على الرغم من عدم حصول قتال فيها. إلا أنها غيرت ميزان القوى فأصبح المسلمون الآن في حالة هجوم مستمر، فهم ذهبوا

(1) أخرجه الإمام البخاري في باب غزوة الخندق (4097).
(2) أخرجه الإمام البخاري في باب غزوة الخندق (4098).
(3) أخرجه الإمام البخاري في باب غزوة الخندق (4099).
(4) أخرجه البخاري في باب التفسير (7489).

إلى مكة للعمرة ثم لعقد صلح وبعدها فتحوا حصون خيبر أكبر قوى اليهود في جزيرة العرب ثم الاستعداد لفتح مكة وإزالة طواغيت الشرك والوثنية ثم الذهاب إلى الطائف، كل ذلك حصل في أقل من سنتين. فلماذا إذن هذا الإهمال بالحديث عن هذه الغزوة الفاتحة للخير على المسلمين في حين نرى أن أصحاب المغازي والسير في مقدمتهم بن إسحاق ثم الواقدي قد احاطوا بكل صغيرة وكبيرة تتعلق بهذه الغزوة لما لها من أهمية كبيرة في أحداث السيرة النبوية وأحداث الدعوة ومسيرتها.

يحدثنا بن إسحاق عن غزوة الأحزاب أو كما اطلق عليها غزوة الخندق يحددها في سنة خمس فيقول (ثم كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس، فحدثني يزيد بن رومان مولى آل الزبير عن عروة بن الزبير ومن لا اتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك... قالوا: إنه كان من حديث الخندق أن نفراً من اليهود منهم سلام بن أبي الحقيق النقري وحييّ بن اخطب النقري وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق النقري وهوذة بن قيس الوائلي وأبو عمار الوائلي في نفر من بني النضير ونفر من بني وائل وهم الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله (ﷺ) وخرجوا بهم حتى قدموا على قريش مكة. وقد دعوهم إلى حرب رسول الله (ﷺ) وقالوا: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله. فقالت لهم قريش: يا معشر يهود إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد أفديننا خير أم دينه قالوا: بل دينكم خير عن دينه وانتم اولى بالحق منه. فهم الذين أنزل الله تعالى فيهم ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ [النساء: 51- 52] قال: فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ونشطوا لما دعوهم إليه في حرب رسول الله فاجتمعوا لذلك واعتدوا له. ثم خرج أولئك النفر من يهود حتى جاؤوا غطفان بن قيس عيلان. فدعوهم إلى حرب رسول الله (ﷺ) وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه. وأن قريشاً قد تابعوهم على ذلك فاجتمعوا معهم فيه)[1].

---

(1) ينظر ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 231-235.

بعد هذه التعبئة يقول ابن إسحاق: (فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر في بني غزارة والحرث بن عوف بن أبي حارثه المرى في بني مرة....) فلما سمع بهم رسول الله (ﷺ) وما أجمعوا له من الأمر ضرب الخندق على المدينة. فعمل فيه رسول الله ترغيباً للمسلمين في الأجر، وعمل معه المسلمون فيه ودأبوا. وأبطأ عن رسول الله (ﷺ) وعن المسلمين في عملهم ذلك رجال من المنافقين وجعلوا يورون بالضعيف من العمل ويتسللون إلى أهاليهم بغير علم من رسول الله (ﷺ) ولا إذن...... فأنزل الله تعالى في أولئك[1]: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾ [النور: 62] ثم قال تعالى يعني المنافقين الذين كانوا يتسللون من العمل ويذهبون بغير إذن من النبي (ﷺ) ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور: 63].

ويضيف بن إسحاق في مقطع آخر: (وعمل المسلمون فيه حتى احكموه وارتكزوا فيه برجل من المسلمين يقال له جميل سماه رسول الله (ﷺ) عمراً[2] ويتحدث فيه عن بعض المعجزات النبوية التي رافقت العمل (فكان فيما بلغني أن جابر بن عبد الله كان يحدث أنه اشتدت عليه في بعض الخندق كدية فشكوها إلى رسول الله (ﷺ) فدعا بإناء من ماء فتفل فيه. ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به ثم نضخ ذلك الماء على تلك الكدية. فيقول من حضرها: فوالذي بعثه بالحق نبياً لأنهالت حتى عادت كالكثب لاترد فأساً ولا مسحاة)[3].

ويقول ابن إسحاق: ولما فرغ رسول الله (ﷺ) من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رومة بين الجرف وزغابة في عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تبعهم من بني كنانة وأهل تهامة وأقبلت غطفان ومن تبعهم من

---

(1) ينظر: ابن هشام، المكان نفسه.

(2) ابن هشام، السيرة النبوية3، / 230.

(3) ابن هشام، السيرة النبوية 3/ 231. ينظر فعل هذه المعجزات 3/ 232-236.

أهل نجد حتى نزلوا بذنب نقمى إلى جانب أُحد وخرج رسول الله (ﷺ) والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع في ثلاثة الاف من المسلمين فضرب هنالك عسكره والخندق بينه وبين القوم)[1] واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم وأمر بالذراري والنساء فجعلوا في الآطام وخرج صاحب عقد بني قريظة وعهدهم. وكان قد وادع رسول الله (ﷺ) على قومه وعاقده على ذلك [وعاهده] فلما سمع كعب بحيي بن أخطب أغلق دونه باب حصنه فاستاذن عليه. فأبى أن يفتح له فناداه حييّ: ويحك يا كعب افتح لي. قال: ويحك يا حيي إنك امرؤ مشؤوم وإني عاهدت محمدا. فلست بناقض مابيني وبينه ولم أر منه إلا وفاءً وصدقاً قال: ويحك افتح لي اكلمك قال: ما أنا بفاعل قال: والله إن اغلقت الحصن دوني إلا تخوفت على جشيشتك أن أكل منها معك، فاحفظ الرجل ففتح له. فقال: ويحك ياكعب جئتك بعزِّ الدهر وببحرٍ طام جئتكَ بقريش على قادتها وسادتها حتى انزلتهم بمجتمع الأسيال من رومة. وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذنب نقمى إلى جانب أحد. عاهدوني وعاقدوني على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه. قال له كعب: جئتني والله بذل الدهر وبجهام قد هراق ماؤه [فهو] يرعد ويبرق ليس فيه شيء ويحك يا حيي فدعني وما أنا عليه، فإني لم أر من محمد إلا صدقاً ووفاء فلم يزل حيي بكعب يفتله في الذروة والغارب حتى سمح له على أن أعطاه عهداً وميثاقاً لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمداً أن ادخل معك في حصنك هذا ويصيبني ما اصابك فنقض كعب بن أسد عهده وبرئ مما كان بينه وبيني رسول الله (ﷺ)[2].

ويقول ابن إسحاق: بعث رسول الله (ﷺ) سعد بن معاذ بن النعمان وهو يومئذ سيد الأوس وسعد بن عبادة بن دليم ومعهما عبد الله بن رواحة أخو بني الحرث وهو يومئذ سيد الخزرج...... فقال: انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا فإن كان حقاً فألحنوا لي لحناً اعرفه ولا تفتوا في أعضاد الناس وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس. قال: فخرجوا

(1) ابن هشام، السيرة النبوية 3/ 235-236.
(2) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 236-238.

حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم. نالوا من رسول الله وقالوا: من رسول الله؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه وكان رجلاً فيه حدة......)[1] ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما إلى رسول الله (ﷺ) فسلموا عليه ثم قالوا: عضل والقارة أي كغدر عضل والقارة بأصحاب الرجيع فقال رسول الله (ﷺ): (الله أكبر ابشروا يامعشر المسلمين)[2].

يقول ابن إسحاق بعد أن نقضت يهود عهدها مع رسول الله (ﷺ): (عظم البلاء واشتد الخوف، واتاهم عدوهم من فوقهم ومن اسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق من بعض المنافقين حتى قال: [أحدهم]... كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط)[3] يقول ابن إسحاق وهو يحدثنا عن غزوة الخندق: (فلما اشتد على الناس البلاء بعث رسول الله (ﷺ) إلى عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر وإلى الحرث بن عوف بن أبي حارثة المري وهما قائدا غطفان فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معها عنه وأصحابه فجرى بينه وبينهما الصلح. حتى كتبوا الكتاب[4] ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح إلا المراوضة في ذلك)[5].

ويستعرض لنا بن إسحاق في هذا المقطع ردت فصائل زعماء الأنصار على هذا الاتفاق المعلق. فيقول: (فلما أراد رسول الله أن يفعل بعث إلى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فذكر لهما واستشارهما فيه. فقالا له: يا رسول الله امراً تحبه فنصنعه أم شيئاً أمرك الله به لا بد لنا من العمل به. أم شيئاً تصنعه لنا؟ قال: (بل شيء أصنعه لك والله ما أصنع ذلك إلا لأنني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما) فقال له سعد بن معاذ: يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله

---

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.
(2) ابن هشام، السيرة النبوية. 3/ 238-240.
(3) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.
(4) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.
(5) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.

وعبادة الأوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطعمون أن يأكلوا منها تمرة إلا قرى أو بيعاً. أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطهم أموالنا؟: [والله] ما لنا بهذا من حاجة والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم قال: (رسول الله (ﷺ) فأنت وذاك. فتناول سعد بن معاذ الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب ثم قال: (ليجهدوا علينا)[1].

قال ابن إسحاق: (فأقام رسول الله (ﷺ) والمسلمون وعدوهم محاصروهم ولم يكن بينهم قتال. إلا أن فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ود وعكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهر المخزوميان وضرار بن الخطاب [الشاعر] بن مرداس أخو بني محارب بن فهر تلبسوا للقتال ثم خرجوا على خيلهم حتى مروا بمنازل بني كنانة. فقالوا: تهيؤوا يا بني كنانة للحرب فستعلمون من الفرسان اليوم. ثم أقبلوا تعنق بهم خيلهم حتى وقفوا على الخندق، فلما رأوه قالوا: والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها[2] ويعقب بن إسحاق فيقول ويقال: (إن سلمان [الفارسي] أشار به على رسول الله (ﷺ)[3].

ويستكمل ابن إسحاق تقديم الصورة عن هذه القوة التي أرادت اقتحام الخندق فيقول: (ثم تيمموا مكاناً ضيقاً من الخندق. فضربوا خيولهم فاقتحمت منه. فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع وخرج علي بن أبي طالب عليه السلام في نفر معه من المسلمين حتى اخذوا عليهم الثغرة التي اقحموا منها خيلهم واقبلت الفرسان تعنق نحوهم وكان عمرو ابن عبد ود قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد أحد. فلما كان يوم الخندق خرج معلماً ليرى مكانه. فلما وقف هو وخيله قال: من يبارز؟ فبرز له علي بن أبي طالب؟ فقال له: يا عمرو إنك [قد] كنت عاهدت الله ألا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتها منه. قال له: أجل. قال له علي: فإني أدعوك إلى الله ورسوله وإلى الإسلام قال: لا حاجة لي بذلك. قال فإني أدعوك إلى النزال فقال له: لم يا ابن أخي، فو الله ما

---

(1) ابن هشام. السيرة النبوية، 3/ 240

(2) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 240-242.

(3) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.

أحب أن أقتلك قال له علي: ولكني أحب أن أقتلك، فحمى عمرو وعند ذلك فاقتحم عن فرسه فعقره وضرب وجهه ثم أقبل على علي فتنازلا وتجادلا فقتله علي رضي الله عنه وخرجت خيلهم منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة[1].

وقيل: إن عكرمة لما رأى ذلك ألقى برمحه وولى هارباً[2] وكان شعار المسلمين يوم الخندق وبني قريظة: (حَم لا ينصرون)[3].

إن حديث بن إسحاق عن غزوة الخندق بهذه الصورة الدقيقة رغم ما يفصله عن الحدث بقرابة ما يزيد على قرن من الزمان إلا أنه استطاع بروحية الباحث الدقيق المتزن أن يقدم صورة صادقة على أحداث هذه الغزوة المباركة. والتي تجنب ذكرها أصحاب الصحاح والسنن بل ذكروها بشيء من الإيجاز كما رأينا سابقاً يصف لنا ابن إسحاق أحوال المسلمين يوم الخندق فيقول: وأقام رسول الله (ﷺ) وأصحابه فيما وصف الله من الخوف والشدة لتظاهر عدوهم عليهم وإثباتهم إياهم من قوتهم ومن أسفل منهم[4]: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ [الأحزاب: 10].

﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ [الأحزاب: 22] ويحقق الله وعده وينصر دينه ورسوله وأصحابه بإسلام رجل واحد يعلن إسلامه في تلك الفترة الحرجة كأنها مشيئة الله عز وجل أن ينتهي هذا التجمع المشرك الذي أراد إزالة دولة التوحيد من جزيرة العرب بعد أن شاعت فيها الوثنية وتأصلت.

يقول ابن إسحاق: (ثم إن نعيم بن مسعود بن عامر بن نيف بن ثعلبة بن قنفد ابن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني قد أسلمت وإن قومي لم يعلموا بإسلامي فمرني بما شئت فقال رسول الله (ﷺ): (إنما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا) إن استطعت، فإن

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 243-245.
(2) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.
(3) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.
(4) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.

الحرب خدعة[1] فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة وكان لهم نديما في الجاهلية. فقال: يا بني قريظة إن قريشاً وغطفان ليسوا كأنتم: البلد بلدكم فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم، لا تقدرون على أن تحولوا منه إلى غيره. وإن قريشاً وغطفان قد جاؤوا لحرب محمد وأصحابه وقد ظاهرتموهم عليه. وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره، فليسوا كأنتم فإن رأوا إن خلا بكم. فلا تقاتلوه مع القوم حتى تأخذوا رهناً من أشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمداً حتى تتجاوزوه فقالوا له: لقد أشرت بالرأي[2].

ثم خرج حتى أتى قريشاً فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش: قد عرفتم ودي لكم، وفراقي محمداً. وأنه قد بلغني أمر قد رأيت عليّ حقاً أن أبلغكموه نصحاً لكم. فاكتموا عني قالوا: نفعل قال: تعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد وقد أرسلوا إليه: إنا قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك أن نأخذ من القبيلتين من قريش وغطفان رجالاً من أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقي منهم حتى نستأصلهم. فأرسل إليهم [أن] نعم فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهناً من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً[3].

ثم خرج إلى غطفان فقال يا معشر غطفان إنكم أصحابي وعشيرتي وأحب الناس إليّ ولا أراكم تتهموني. قالوا: صدقت ما أنت عندنا بمتهم قال: فاكتموا عني قالوا: نفعل [فما أمرك] ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم. فلما كانت ليلة السبت من شوال سنه خمسٍ. وكان من صنع الله لرسوله (ﷺ) أن أرسل أبو سفيان بن حرب ورؤوس غطفان إلى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش وغطفان فقالوا لهم: إنا لسنا بدار مقام وقد هلك الخف والحافر فأعدوا للقتال حتى نناجز محمداً ونفرغ مما بيننا وبينه. فأرسلوا إليهم أن اليوم يوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً. وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثاً فأصابه ما لم

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 247.
(2) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 248.
(3) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.

يخف عليكم. ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمدا حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمداً. فإنا نخشى إن ضرستكم الحرب واشتد عليكم القتال أن تنشمروا إلى بلادكم وتتركونا والرجل في بلدنا ولا طاقة لنا بذلك معه[1].

ويستمر بن إسحاق في عرضه لأحداث غزوة الخندق والتي أشرفت على نهايتها (فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان والله إن الذي حدثكم نعيم بن مسعود حق. فأرسلوا إلى بني قريظة والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا. فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا فقالت بنو قريظة حين انتهت الرسل إليهم بهذا: إن الذي ذكركم نعيم بن مسعود لحق[2] ما يريد القوم إلا أن تقاتلوا. فإن رأوا فرصة انتهزوها. وإن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم وخلوا بينكم و بين الرجل في بلدكم[3] وكذلك فعلوا مع غطفان وخذل الله بينهم وبعث الله عليهم الريح في ليال شائية باردة شديدة البرد. فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح أبنيتهم[4].

ويبدو أن أصحاب السنن والصحاح قد التمسوا بعض الروايات التي ذكرها بن إسحاق إلا أنهم قدموها بإسناد مختلف ولفظ مختلف به تقديم وتأخير إلا أنه ينساق بنفس القصة والحدث يقول ابن إسحاق: (فحدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال: رجل من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان: يا أبا عبد الله أرأيتم رسول الله (ﷺ) وصحبتموه؟ قال: نعم يا ابن أخي قال: فكيف كنتم تصنعون؟ قال: والله لقد كنا نجهد، قال: فقال: والله لو ادركناه ما تركناه يمشي على الأرض ولحملناه على أعناقنا قال: فقال حذيفة: يا ابن أخي والله لقد رأيتنا مع رسول الله (ﷺ) بالخندق وصلى رسول الله (ﷺ) هوياً من الليل ثم التفت إلينا فقال: (من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع) يشترط له رسول الله (ﷺ)

---

(1) ابن هشام، السيرة النبوية3، / 248-250.
(2) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.
(3) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 250-251.
(4) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.

الرجعة (أسأل الله تعالى أن يكون رفيقي في الجنة) فما قام رجل من القوم من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد. فلما لم يقم أحد دعاني رسول الله (ﷺ) فلم يكن لي من القيام حين دعاني. فقال: (يا حذيفة اذهب فادخل في القوم انظر ماذا يصنعون ولاتحدثن شيئاً حتى تأتينا) قال: فذهبت فدخلت في القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل لا تقر لهم قدراً ولا ناراً ولا بناء، فقام أبو سفيان فقال: يامعشر قريش لينظر امرؤ من جليسه. فقال حذيفة: فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جنبي قلت: من أنت قال: فلان بن فلان. ثم قال أبو سفيان يامعشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام. لقد هلك الكراع والخف واخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره. ولقينا من شدة الريح ما ترون ما تطمئن لنا قدر ولاتقوم لنا نار ولايستمسك لنا بناء فارتحلوا فإني مرتحل. ثم قام إلى جمله وهو معقول فجلس عليه. ثم ضربه فوثب به على ثلاث فو الله ما اطلق عقاله إلا وهو قائم. ولولا عهد رسول الله (ﷺ) إليَّ أن لا تحدث شيئاً حتى تأتيني ثم شئت لقتلته بسهم[1] ثم رجعت إلى رسول الله (ﷺ) وهو يصلي (فلما سلم أخبرته الخبر)[2] ولما (سمعت غطفان بما فعلت قريش فانشمروا راجعين إلى بلادهم)[3].

ما جاء في غزوة بني المصطلق أو المريسيع

جاء حديث الإمام مسلم (رحمه الله) في صحيحه عن غزوة بني المصطلق بشكل عابر في كتاب النكاح باب حكم العزل فيقول: حدثنا يحيى بن أيوب وقتيبة بن سعيد وعلي بن حجر قالوا: حدثنا إسماعيل بن جعفر، أخبرني ربيعة عن محمد ابن يحيى بن حبان عن بن محيريزٍ أن قال: دخلت أنا وأبو صرمة على بن سعيد الخدري فسأله أبو صرمة فقال: يا أبا سعيد هل سمعت رسول لله يذكر العزل: فقال: نعم غزونا مع رسول الله (ﷺ) فسبينا كرائم العرب فطالت علينا الغربة

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 250-252.
(2) ينظر نفس الروايه التي أخرجها الإمام مسلم في باب.
(3) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 250-253.

ورغبنا في الفداء فأردنا أن نستمتع ونعزل فقلنا: نفعل ورسول الله بين أظهرنا لا نسأله فسألنا رسول الله فقال: "لا عليكم أن لا تفعلوا ما كتب الله خلق نسمة هي كائنة إلى يوم القيامة إلا ستكون"(1) ولم يحدثنا عن الغزوة وما هي ظروف الغزوة ولماذا غزاهم رسول الله (ﷺ) اكتفى فقط بذكر "العزل" وقد ارتبط حديث العزل وهذه الغزوة بحادثة الإفك التي تناولها الإمام مسلم بشكل موسع وسوف نتطرق إليها بعد أن نستعرض ما قدمه الإمام البخاري حول تلك الغزوة والتي ذكرها في باب غزوة بني المصطلق من خزاعة.

وفي بداية حديث الإمام البخاري (رحمه الله) عن هذه الغزوة يقول: وهي غزوة المريسيع ويحدد تاريخها ويقول: وقال ابن إسحاق: وذلك سنة ست، وقال موسى بن عقبة: سنة أربع وقال النعمان بن راشد عن الزهري كان حديث الإفك في غزوة المريسيع(2).

ويبدو أن حديث الإمام البخاري في عرضه لهذه الغزوة كان منصبًا على مسألة واحدة هي (العزل) فيقول: حدثنا قتيبة بن سعيد: أخبرنا إسماعيل بن جعفر عن ربيعة بن أبي عبدالرحمن، عن محمد بن يحيى بن حبان عن بن محيريز أنه قال: دخلت المسجد فرأيت أبا سعيد الخدري فجلست إليه فسألته عن العزل قال أبو سعيد: خرجنا مع رسول الله (ﷺ) في غزوة بني المصطلق فأصبنا من سبي العرب فاشتهينا النساء واشتدت علينا الغربة واحببنا العزل فردنا أن نعزل وقلنا نعزل ورسول الله بين اظهرنا قبل أن نسأله؟ فسألناه عن ذلك فقال: "ما عليكم أن لا تفعلوا، ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة إلا وهي كائنة"(3).

حاول الإمام البخاري (رحمه الله) في بداية حديثه عن هذه الغزوة أن يقدم كل العروض التي تحدثت عنها ولم يحاول هو البت في احداها إلا أن الإمام ابن حجر العسقلاني هو الذي قام على شرح صحيح البخاري في كتابه فتح الباري حاول أن يفك هذه العروض ويصل بنا أي عرض مقبول عند شرحه لغزوة بني

(1) أخرجه الإمام مسلم، باب العزل (125/ 1438).

(2) أخرجه الإمام البخاري في باب غزوة بني المصطلق (4138).

(3) أخرجه الإمام البخاري في باب غزوة بني المصطلق (4138).

المصطلق أو ما يطلق عليها أحياناً (غزوة المريسيع) فيقول معرفاً ببني المصطلق.

أما المصطلق فهو بضم الميم وسكون المهملة وفتح الطاء المهملة وكسر اللام بعدها قاف وهو لقب واسمه خزيمة بن سعد بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بطن من بني خزاعة، وأما المريسيع فبضم الميم وفتح الراء وسكون التحتانيتين بينهما مهملة مكسورة واخره عين مهملة، هو ماء لبني خزاعة بينه وبين الفرع مسيرة يوم"[1].

ويقول الإمام بن حجر كذا ذكره البخاري وكأنه سبق فلما أراد أن يكتب سنة خمس فكتب سنة أربع والذي في مغازي موسى بن عقبة من طرق أخرجها الحاكم وأبو سعيد النيسابوري والبيهقي في الدلائل وغيرهم سنة خمس ولفظه عند موسى ابن عقبة عن بن شهاب "ثم قاتل رسول الله (ﷺ) بني المصطلق وبني لحيان في شعبان سنة خمس" ويؤيده ما أخرجه البخاري في الجهاد عن بن عمر " أنه غزا مع النبي (ﷺ) بني المصطلق في شعبان سنة أربع " وقال الحاكم في الاكليل قول عروة وغيره "أنها كانت سنة خمس أشبه عن قول بن إسحق" قلت ويؤيده ما ثبت في حديث الإفك أن سعد بن معاذ تنازع هو وسعد بن عبادة في أصحاب الإفك فلو كان المريسيع في شعبان سنة ست مع كون حديث كان فيها مكان وقع في الصحيح مع ذكر سعد بن معاذ غلطاً لأن سعد بن معاذ مات أيام قريظة وكانت سنة خمس على الصحيح وإن كانت كما قيل سنة أربع فهي أشد. فيظهر أن المريسيع كانت سنة خمس من شعبان فتكون قد وقعت قبل الخندق لان الخندق كانت في شوال سنة خمس أيضاً فتكون بعدها فيكون سعد بن معاذ موجوداً في المريسيع ورمى بعد ذلك بسهم في الخندق ومات من جراحته في قريظة. وأن الإفك كانت سنة خمس إذ الحديث فيه تصريح بان القصة وقعت بعد نزول الحجاب والحجاب كان في ذي العقدة سنة أربع عند جماعة. فيكون المريسيع بعد ذلك فيرجح أنها سنة خمس"[2].

(1) ينظر ابن حجر العسقلاني، فتح الباري في شرح صحيح البخاري 7/ 494.
(2) ينظر: ابن حجر، فتح الباري، 7/ 494.

ومن الأحداث التي ضمها البخاري إلى أحداث هذه الغزوة ما ذكره (حدثنا محمود: حدثنا عبدالرزاق: أخبرنا معز عن الزهري عن أبي سلمة عن جابر بن عبد الله قال: غزونا مع رسول الله (ﷺ) غزوة نجد فلما أدركته القائلة وهو في وادٍ كثير العضاة فنزل تحت شجرة واستظل بها وعلق سيفه فتفرق الناس في الشجر يستظلون وبينما نحن كذلك إذ دعانا رسول الله (ﷺ) فجئنا فإذا أعرابي قاعد بين يديه. فقال: إن هذا أتاني وأنا نائم فاخترط سيفي).

فاستيقظت وهو قائم على رأسي مخترط صلتاً قال: من يمنعك مني: قلت الله: فشامه ثم قعد فهو هذا قال ولم يعاقبه رسول الله (ﷺ)[1].

مما سبق عرضه وجدنا بأن أصحاب الصحاح والسنن وفي مقدمتهم الإمامان البخاري ومسلم في صحيحهما لم يتناولا غزوة بني المصطلق إلا فيما يتعلق بالجانب الفقهي فقط دون الخوض في تفاصيل الأحداث وهذا ما عهدناه عنهم منذ البداية تجنبوا الخوض في التفاصيل التاريخية.

ومن أجل استكمال الصورة التي تم انتهاجها منذ بداية هذه الدراسة في عرض وقائع الغزوات فالأحداث التي تتعلق بسيرة الرسول محمد (ﷺ) من خلال ما قدمه أصحاب الصحاح ثم أصحاب السير والمغازي وتم اختيار بن إسحاق على اعتبار أنه أول من كتب في سيرة الرسول (ﷺ).

يقول في غزوة بني المصطلق (بالمريسيع في شعبان سنة ست، [وسبق أن عالجنا خطأ بن إسحاق في تحديد هذه الغزوة سنة ست عندما ذكرنا حديث الإمام ابن حجر في علاجه لهذه المسألة والثابت عنده كانت سنة خمس وهو الاصح وكان شعار المسلمين يومها (يا منصور أمت أمت])[2].

قال: بن إسحاق: فأقام رسول الله (ﷺ) بالمدينة بعض جمادى الأخرى ورجباً. ثم غزا بني المصطلق من خزاعة في شعبان سنة ست واستعمل على

---

(1) أخرجه الإمام البخاري في باب غزوة بني المصطلق (4138) كما أخرجه الإمام مسلم في باب صلاة الخوف 311/ 843 وأخرجه كذلك البخاري في باب الجهاد والسير (2913) وأخرجه في باب من علق سيفه (2910) من باب تفرق الناس (2913).

(2) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 338.

المدينة أبا ذر الغفاري ويقال نميلة بن عبد الله الليثي[1].

ويقول ابن إسحاق متحدثاً عن هذه الغزوة بعد هذا التقديم: قالوا بلغ رسول الله (ﷺ) أن بني المصطلق يجمعون له، وقائدهم الحرث بن أبي ضرار... فلما سمع رسول الله (ﷺ) بهم خرج إليهم حتى لقيهم على ماء لهم يقال له المريسيع من ناحية قديد إلى الساحل فتزاحف الناس واقتتلوا فهزم الله بني المصطلق وقتل من قتل منهم، ونقل رسول الله (ﷺ) أبناءهم ونساءهم وأموالهم فأفاءهم عليه، وقد أصيب رجل من المسلمين من بني كلب بن عوف بن عامر بن ليث بن بكر يقال له هشام بن صبابة أصابه رجل من الأنصار من رهط عبادة بن الصامت وهو يرى أنه من العدو فقتله خطأ[2].

يبدو وأن الأحداث كانت متلاحقة في هذه الغزوة بحيث دمج بن إسحاق كل الأحداث التي حصلت يومها ولم يحاول التفريق فيما بينها على عكس أصحاب الصحاح الذين ميزوا ما بين غزوة المصطلق وحديث الإفك وجعلوا لكل منها باباً خاصاً بها في حين نجد بن إسحاق استعرض الموضوع ككل ولم يحاول التفريق فيما بينهما وهذا سيدفعنا إلى مجاراة الحديث معه.

يقول ابن إسحاق: فبينا رسول الله (ﷺ) على ذلك الماء وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب اجير له من بني غفار يقال له جهجاه بن مسعود يقود فرسه، فازدحم جهجاه وسنان بن دبر الجهني حليف بني عوف بن الخزرج على الماء، فاقتتلا، فصرخ الجهني: يا معشر الأنصار وصرخ جهجاه: يا معشر المهاجرين فغضب عبد الله بن أبي سلول وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم غلام حدث. فقال: أوَقد فعلوها؟ قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا، والله ما أعدنا وجلابيب قريش [هذه] إلا كما قال الأول: "سمن كلبك يأكلك" أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعز منها الأذل، ثم أقبل على من حضره من قومه فقال: لهم هذا ما فعلتم بأنفسكم: أحللتموهم بلادكم وقاسمتوهم أموالكم أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم. فسمع ذلك زيد بن أرقم فمشى

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 333-335.

(2) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.

به إلى رسول الله (ﷺ) وذلك عند فراغ رسول الله (ﷺ) من عدوه فأخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب فقال: مر به عبد بن بشر فليقتله. فقال له رسول الله (ﷺ): (فكيف يا عمر إذا تحدث الناس محمداً يقتل أصحابه. لا ولكن اذن بالرحيل. وذلك في ساعة لم يكن رسول الله (ﷺ) يرتحل فيها. فارتحل الناس وقد مشى عبد الله بن أبي سلول إلى رسول الله حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلغه ما سمع منه. فحلف بالله ما قلت ما قال ولا تكلمت به. وكان في قومه شريفاً عظيماً. فقال من حضر رسول الله (ﷺ) من الأنصار من أصحابه يا رسول الله (ﷺ) عسى أن يكون الغلام [قد] أوهم في حديثه ولم يحفظ ما قال الرجل حدباً على بن أبي سلول دفعاً عنه)[1].

وفي مقطع آخر يقول ابن إسحاق ثم مشى رسول الله (ﷺ) [بالناس] يومهم ذلك حتى أمسى، وليلتهم حتى أصبح صدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس. ثم نزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض فوقعوا نياماً. وانما فعل ذلك رسول الله (ﷺ) ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس من حديث عبد الله ابن أبي "[2]ونزلت السورة التي ذكر الله فيها المنافقين وفيهم بن أبي ومن كان على مثل امره. فلما نزلت اخذ رسول الله (ﷺ) بأذن زيد بن أرقم ثم قال: "هذا الذي أوفى لله بأذنِهِ" وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبي الذي كان من أمر أبيه[3].... أنه (عبد الله أتى رسول الله (ﷺ) فقال: يا رسول الله: إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه. فإن كنت لا بد [فاعلاً] فمرني به فأنا أحمل إليك رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده مني وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس فأقتله فأقتل [رجلاً] مؤمناً بكافر فأدخل النار. فقال رسول الله (ﷺ): "بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا)[4] وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث كان

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 336-340.
(2) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.
(3) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.
(4) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 337-338.

قومه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه يعنفونه"[1].

والملاحظ عند بن إسحاق أنه يستدرك أحداث غزوة بني المصطلق ويرجع بالقول فيحدثنا عن أمور جعلها بعد حديثه عن المشكلة التي احدثها بن أبي بن سلول فيحدثنا عن قتلى بني المصطلق فيقول: واصيب من بني المصطلق يومئذ ناس وقتل علي بن أبي طالب رضوان الله عليه منهم رجلين مالكاً وابنه وقتل عبدالرحمن بن عوف رجلاً من فرسانهم يقال له أحمر أو أحيمر[2].

ويضيف بن إسحاق قائلاً: وكان رسول الله (ﷺ) قد أصاب منهم سبياً كثيراً فشا قسمه في المسلمين وكان فيمن اصيب يومئذ من السبايا جويرية بنت الحارث ابن أبي ضرار زوج رسول الله (ﷺ) "[3]..." ولما قسم رسول الله (ﷺ) سبايا بني المصطلق وقعت جويرية بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس بن الشماس.. فكاتبته على نفسها... فأتت رسول الله (ﷺ) تستعينه في كتابتها... فدخلت عليه، فقالت: يا رسول الله، أنا جويرية بنت الحارث.. سيد قومه. وقد أصابني من البلاء ما لم يخفَ عليك... فجئتك أستعينك على كتابتي. قال: (فهل لك في خير من ذلك): قالت: وما هو يا رسول الله ؟ قال: "أقضي عنكِ كتابتك وأتزوجكِ" قالت: نعم يا رسول الله، قال: "قد فعلت" قالت: وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله قد تزوج جويرية ابنة الحارث... فقال الناس: اصهار رسول الله... وارسلوا ما بأيديهم. فلقد اعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق، فما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها"[4]. ويقدم بن إسحاق تفاصيل أخرى عن كيفية اسلام الحارث هو وأبناؤه وفداء ابنته جويرية ثم زواجها من رسول الله (ﷺ)[5].

قلنا في بداية حديثنا: إن ابن إسحاق حاول في عرضه لغزوة بني المصطلق عرض كل الأحداث التي رافقت هذه الغزوة وكان آخر حدث في هذه الغزوة هو

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 337.
(2) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 339.
(3) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 337، المكان نفسه.
(4) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 340- 341.
(5) للمزيد ينظر ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.

حديث الإفك وما حصل فيه من ملابسات يقول ابن إسحاق: حدثنا الزهري، عن علقمة بن وقاص وعن سعيد بن جبير وعن عروة بن الزبير وعن عبيد الله بن عتبة، قال: كل حدثني بعض هذا الحديث وبعض القوم كان اوعى له من بعض وقد جمعت لك الذي حدثني القوم[1].

قال محمد بن إسحق: وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن العزيز عن أبيه عن عائشة وعبد الله بن أبي بكر، عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة عن نفسها حين قال فيها أهل الإفك ما قالوا، وكل قد دخل في حديثها عن هؤلاء جميعاً، يحدث بعضهم ما لم يحدث صاحبه وكل كان عنها ثقة فكلهم حدث عنها بما سمع[2].

الحديث على لسان السيدة عائشة كما يحدثنا ابن إسحاق فيقول: (قالت: كان رسول الله (ﷺ) إذا أراد سفراً اقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه. فلما كانت غزوة بني المصطلق قرع بين نسائه كما كان يصنع فخرج سهمي عليهن معه، فخرج بي رسول الله (ﷺ)[3] قالت: وكان النساء إذ ذاك إنما يأكلن العلق لم يهيجهن اللحم فيثقلن، وكنت إذا رحل لي بعيري جلست في هودجي، ثم يأتي القوم الذين يرحلون لي ويحملونني. فيأخذون بأسفل الهودج فيرفعونه فيضعونه على ظهر البعير فيشدونه بحباله. ثم يأخذون برأس البعير فينطلقون به)[4].

قالت: فلما فرغ رسول الله (ﷺ) من سفره ذلك وجه قافلاً، حتى إذا كان قريباً من المدينة نزل منزلاً فبات به بعض الليل. ثم أذن في الناس بالرحيل فارتحل الناس. وخرجت لبعض حاجتي. وفي عنقي عقد لي فيه جزع[5] ظفار فلما فرغت انسل من عنقي ولا أدري. فلما رجعت إلى الرحل ذهبت ألتمسه في عنقي فلم أجده وقد أخذ الناس في الرحيل. فرجعت إلى مكاني الذي ذهبت [إليه]

---

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 341.

(2) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 242.

(3) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.

(4) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.

(5) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.

فالتمسته حتى وجدته)[1] وجاء القوم خلافي الذي كانوا يرحلون لي بعير وقد فرغوا من رحلته. فأخذوا الهودج وهم يظنون أني فيه كما كنت اصنع. فاحتملوه فشدوه على البعير. ولم يشكوا أني فيه... فرجعت إلى العسكر وما فيه من داعٍ ولا مجيب. قد انطلق الناس. قالت: فتلففت بجلبابي ثم اضطجعت في مكاني... فو الله إني لمضطجعة إذ مر بي صفوان بن المعطل السلمي. وقد كان تخلف عن المعسكر لبعض حاجاته، فلم يبت مع الناس فرأى سوادي. فأقبل حتى وقف عليَّ. وقد كان يراني قبل أن يضرب علينا الحجاب. فلما رأني قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، ظعينة رسول الله (ﷺ) وأنا متلففة في ثيابي قال: ما خلفّك يرحمك الله؟ قالت: فما كلمته. ثم قرب البعير فقال: اركبي واستأخر عني. قالت فركبت واخذ برأس البعير، فانطلق سريعاً يطلب الناس، فوالله ما ادركنا الناس. وما افتقدت حتى أصبحت ونزل الناس. فلما اطمأنوا طلع الرجل يقودني. فقال أهل الإفك ما قالوا فارتعج العسكر ووالله ما أعلم بشي من ذلك[2].

ويتناول ابن إسحاق الموضوع بشكل مفصل غير أننا ارتأينا أن نختصره إلى القدر المفيد منه ففيه أن رسول الله (ﷺ) تغير في تعامله مع السيدة عائشة زوجته بسبب ما قاله أهل الإفك وكذلك لم يخبرها ابواها بأي شيء من ذلك على الرغم من سوء حالتها الصحية. قالت: حتى وجدت نفسي، فقلت يا رسول الله حين رأيت ما رأيت من جفائه لي لو اذنت لي فانتقلت إلى أمي فمرضتني قال: (لا عليك) فانتقلت إلى أمي ولا علم لي بشيء مما كان، حتى نقهت من وجعي بعد بضع وعشرين ليلة)[3] وتقول خرجت يوماً لقضاء حاجة لي ومعي أم مسطح بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف..... فوالله أنها لتمشي معي إذ عثرت في مرطها. فقالت: تعس مسطح... قالت: قلت: بئس لعمر الله ما قلت لرجل من المهاجرين قد شهد بدراً. قالت: أو ما بلغك الخبر يا بنت أبي بكر؟ قالت: وما الخبر؟ فأخبرتني بالذي كان قول أهل الإفك قالت: قلت: أوَقد كان هذا؟

---

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 342-344.

(2) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.

(3) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 344.

قالت: نعم والله لقد كان هذا)[1] قالت: وقد قام رسول الله (ﷺ) في الناس يخطبهم ولا أعلم بذلك فحمد الله وأثنى عليهم. ثم قال: (يا أيها الناس. ما بال رجال يؤذونني في أهلي ويقولون عليهم غير الحق. والله ما علمت منهم إلا خيراً. ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه إلا خيراً وما يدخل بيتاً من بيوتي إلا وهو معي)[2] وقالت السيدة عائشة أن الذي تولى كبر ذلك: عبد الله بن أبي سلول في رجال من الخزرج ومسطح واسمه عوف وحمنة بنت جحش أخت زينب بنت جحش زوجة الرسول (عليه الصلاة والسلام)[3] وقيل حسان بن ثابت الشاعر[4].

تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: (فلما قال رسول الله (ﷺ) تلك المقالة قال أسيد ابن خضير: يا رسول الله إن يكونوا من الأوس نكفكهم وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج فمرنا بأمرك. فوالله إنهم لأهل أن تضرب اعناقهم قالت فقام سعد بن عبادة... فقال كذبت لعمر الله لا تضرب أعناقهم. أما والله ما قلت هذه المقال إلا أنك قد عرفت أنهم من الخزرج. ولو كانوا من قومك ما قلت هذا، فقال أسيد كذبت لعمر الله. ولكنك منافق تجادل عن المنافقين.... ونزل رسول الله فدخل عليّ، فدعا عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه وأسامة بن زيد فاستشارهما، فأما أسامة فأثنى علي خيراً وقاله. ثم قال: يا رسول الله أهلك ولا نعلم إلا خيراً [ولا نعلم منه إلا خيراً] وهذا الكذب والباطل[5] وأما علي فإنه قال: يا رسول الله إن النساء لكثير وإنك لقادر على أن تستخلف وسل الجارية فإنها ستصدقك. فدعا رسول الله (ﷺ) بريرة ليسألها. قالت: فقام إليها علي بن أبي طالب فضربها ضرباً شديداً. ويقول: اصدقي رسول الله (ﷺ) قالت: فتقول: والله ما أعلم إلا خيراً، وما كنت أعيب على عائشة شيئاً إلا أني كنت أعجن عجيني فآمرها أن تحفظه

---

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.

(2) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 345-348.

(3) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.

(4) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.

(5) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.

فتنام عنه فتأتي الشاه فتأكله)[1].

قالت: ثم دخل عليّ رسول الله (ﷺ) وعندي امرأة من الأنصار، وأنا ابكي وهي تبكي معي. فجلس فحمد الله واثنى عليه، ثم قال: (يا عائشة إنه قد كان ما قد بلغك من قول الناس فاتقي الله فإن كنت قارفت سوءاً مما يقول الناس فتوبي إلى الله فإن الله يقبل التوبة عن عباده[2] (ثم قلت: والله لا أتوب إلى الله ما ذكرت ابداً، والله إني لأعلم لئن أقررت بما يقول الناس والله يعلم أني منه بريئة لأقولن ما لم يكن، ولئن أنا أنكرت ما يقولون لا تصدقونني. . . ولكن سأقول كما قال أبو يوسف فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون. قالت: فوالله ما برح رسول الله (ﷺ) مجلسه حتى تغشاه من الله ما كان يتغشاه فسجى بثوبه. ووضعت له وسادة من أدم تحت رأسه. فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت فوالله مافزعت ولا باليت قد عرفت أني [منه] بريئة. وأن الله ﷻ غير ظالمي... ثم قالت: ثم سرى عن رسول الله (ﷺ) فجلس وأنه لينحدر منه مثل الجمان في يوم شات فجعل يمسح العرق على جبينه ويقول: (أبشري يا عائشة فقد أنزل الله براءتك) قالت: قلت: بحمد الله. ثم خرج إلى الناس فخطبهم وتلا عليهم ما أنزل الله من القرآن في ذلك. ثم أمر بمسطح بن أثاثة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش وكانوا من أفصح بالفاحشة. فضربوا حدهم[3] وجاء قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١١﴾ [النور: 11] ثم قال تعالى: ﴿لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ١٢ لَّوۡلَا جَآءُو عَلَيۡهِ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذۡ لَمۡ يَأۡتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ١٣ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ لَمَسَّكُمۡ فِي مَآ أَفَضۡتُمۡ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٤ إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ﴾ [النور: 12- 15].

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 347.

(2) للمزيد حول هذا الموضوع حيث ذكره ابن إسحاق مطولاً المكان نفسه.

(3) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 347.

بعد هذا العرض المطول وجدنا أن ابن إسحاق حاول أن يغطي حديث الإفك بكل تفاصيله الدقيقة لما وجد فيه من أهمية كبيرة لأن المسألة تتعلق بإحدى زوجات النبي (ﷺ). فوجد من الضروري أن يتوسع فيه.

مما سبق عرضه آنفاً قدمنا رواية ابن إسحاق عن أحداث غزوة المريسيع وأهم الأحداث التي حصلت فيها ولا سيما حديث الإفك الذي تناوله ابن إسحاق بشكل مطول جداً. ومن أجل الوصول إلى تحقيق الغاية من هذه الدراسة سنعرض ما قدمه أصحاب الصحاح عن موضوع حديث الإفك حصراً على اعتبار أننا قد تحدثنا سابقاً عن غزوة المريسيع.

تناول أصحاب الصحاح موضوع حديث الإفك بشيء من التفصيل وقدموا رواية متشابهة إلى حد ما لما قدمه ابن إسحاق وتكاد تكون الرواية متطابقة إلا في بعض الألفاظ القليلة ففي باب حديث الإفك وقبول توبة القاذف يحدثنا الإمام مسلم (رَحِمَهُ ٱللَّهُ) بقوله: حدثنا حبان بن موسى، أخبرنا عبد الله بن المبارك، أخبرنا يونس بن يزيد الأيلي(ح) وحدثنا يونس ومعمر جميعاً عن الزهري (وهنا يتفق الإمام مسلم (رَحِمَهُ ٱللَّهُ) مع ابن إسحاق بأن مصدر الرواية يرجع إلى الإمام الزهري(رَحِمَهُ ٱللَّهُ)[1]. أخبرني سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود: عن حديث عائشة زوج النبي (ﷺ) حين قال لها أهل الإفك ما قالوا فبرأها الله مما قالوا (وكلهم حدثني طائفة من حديثها وبعضهم كان اوعى لحديثها من بعض وأثبت اقتصاصاً وقد وعيت عن كل واحد منهم الحديث الذي حدثني وبعض حديثهم يصدق بعضاً)[2] ذكروا أن عائشة زوج النبي (ﷺ) قالت: كان رسول الله (ﷺ) إذا أراد أن يخرج سفراً، أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله (ﷺ) معه)[3].

قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي. فخرجت مع رسول الله (ﷺ) وذلك بعدما أنزل الحجاب فأنا أحمل في هودجي وأنزل فيه

(1) ينظر ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 341.

(2) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب حديث الإفك (2770).

(3) أخرجه الإمام مسلم، المكان نفسه.

مسيرنا حتى إذا فرغ رسول الله (ﷺ) من غزوة وقفل ودنونا من المدينة. اذن ليلة بالرحيل فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت من شأني اقبلت إلى الرحل، فلمست صدري فإذا عقدي من جزع ظفار قد انقطع. فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه. وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لي فحملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت اركب. وهم يحسبون أني فيه. قالت: وكانت النساء إذ ذاك خفافاً لم يهبلن ولم يغشهن اللحم. إنما يأكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم ثقل الهودج حين رحلوه ورفعوه وكنت جارية حديثة السن. فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدي بعد ما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فتيممت منزلي الذي كنت فيه وظننت أن القوم سيفقدونني فيرجعون الي فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت. وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني. قد عرس من وراء الجيش فأدلج. فأصبح عند منزلي. فرأى سواد انسان نائم فأتاني فعرفني حين رآني. وقد كان يراني قبل أن يضرب الحجاب عليّ فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني، فخمرت عن وجهي بجلبابي ووالله ما يكلمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، حتى أناخ راحلته فوطئ على يدها. فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش. بعد ما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة. فهلك من هلك في شأني. وكان الذي تولى كبره عبد الله بن أبي بن سلول[1] قالت: فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمنا المدينة شهراً والناس يفيضون في قول أهل الإفك)[2] في هذا المقطع تكاد تتفق الرواية إلى حد كبير ما بين الإمام مسلم وابن إسحاق ولهذا لا نجد من الضروري تقديمها وسنحاول التركيز على المقاطع التي فيها خلاف والخلاف البين بينهما وهو: قالت: قال رسول الله (ﷺ) وهو على المنبر (يا معشر المسلمين: من يعذرني من رجل قد بلغ أذاه في أهل بيتي فوالله! ما علمت على اهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً وكان يدخل على أهلي إلا معي وقام سعد بن معاذ الأنصاري (هنا يورد ابن إسحاق أن الذي قام هو

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه باب حديث الافك (56/ 2770).

(2) قارن مع ما قدمه ابن إسحاق 3/ 333.

أسيد بن حضير الأنصاري)[1] أن هذا الاختلاف توقف عليه اعتماد الإمام البخاري تاريخ الغزوة وحديث الإفك في السنة الخامسة أي قبل الخندق على اعتبار أن سعد بن معاذ (رضي الله عنه) استشهد في غزوة قريظه. أما ابن إسحاق فقد جعلها في السنة السادسة بعد الخندق وقريظة[2]. ويبدو أن أصحاب السير والمغازي كانوا أدق من غيرهم في تثبيت التواريخ لكل حادثة من حوادث السيرة النبوية وهذه ميزة لهم لأن أصحاب السنن والصحاح وضعوا حوادث السيرة حسب الباب الفقهي لها وليس حسب وقوعها الزمني فكثيراً ما نجد عندهم فتح مكة قبل غزوة الخندق أو غزوة تبوك قبل أحد وهكذا. فعليه نرى أن أصحاب المغازي والسير هم أوثق في تثبيت الجانب التاريخي لكل حادثة فهم قدموا السيرة النبوية حسب تسلسلها الزمني وليس حسب الحاجة الفقهية. لأنهم أساساً لم يتناولوا الجوانب الفقهية المتعلقة بأحداث السيرة النبوية[3].

واستكمالاً للمقطع يقول الإمام مسلم(رحمه الله) فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال: أنا أعذرك منه يا رسول الله: إن كان من الأوس ضربنا عنقه وإن كان من اخواننا الخزرج ففعلنا امرك. قالت فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكان رجلاً صالحاً ولكن اجتهلته الحمية. فقال لسعد بن معاذ: كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله. فقام أسيد بن حضير وهو بن عم سعد بن معاذ فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله (لنقتلنه، فإنك منافق تجادل عن المنافقين فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) قائم على المنبر. فلم يزل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يخفضهم حتى سكتوا وسكت)[4].

ويقدم الإمام مسلم (رحمه الله) نفس المقطع الذي قدمه ابن إسحاق فيما يتعلق بدخول رسول الله إلى حجرة السيدة عائشة في بيت أهلها وبحضور أبويها[5] ويستمر نفس هذا المقطع الذي فيه اختلاف من حيث الإضافة (قالت، فلما سري

(1) ينظر ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 345.

(2) ينظر ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 341.

(3) وهذه المسألة عالجها الإمام ابن حجر عندما تحدث عن هذه الغزوة في الفتح الباري.

(4) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب حديث الإفك (56/ 2770).

(5) أخرجه الإمام مسلم نفس المكان.

عن رسول الله (ﷺ) وهو يضحك. فكان أول كلمة تكلم بها أن (قال أبشري يا عائشة: أما والله فقد برأك) فقالت لي أمي، قومي إليه فقلت: والله: لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله هو الذي أنزل براءتي قالت فأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۚ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: 11- 22] فأنزل الله عز وجل هؤلاء الآيات ببراءتي، قالت: فقال أبو بكر وكان ينفق على مسطح لقرابته منه وفقره. والله: لا أنفق عليه شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة. فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: 22].

وقدم الإمام مسلم في هذا الباب العديد من الروايات حول حديث الإفك شارحاً لبعض الألفاظ التي وردت في حديث السيدة عائشة أم المؤمنين (رضي الله عنها)[1].

أما الإمام البخاري (رحمه الله) قدم حديث الإفك من خلال عدة أبواب إلا أنه قدمه مطولاً في باب حديث الإفك والذي بدأه بقوله: والإفكَ والإفكُ. بمنزلة النجس والنجَّس. يقال: (إفكهم) [الصافات، 151، والأحقاف، 82] وإفكهم، فمن

---

(1) ينظر الإمام مسلم باب حديث الإفك (57/ 2770، 58/ 2770).

قال: إفكهم يقول: صرفهم عن الإيمان وكذبهم. كما قال: ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ [الذاريات: 9][1].

وفي معرض حديثه عن حديث الإفك يقول: حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا إبراهيم بن سعد عن صالح عن بن شهاب قال: حدثني عروة بن الزبير وسعد بن المسيب وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي (ﷺ) قال لها أهل الإفك ما قالوا وكله حدثني طائفة من حديثها بعضهم كان اوعى لحديثها من بعض واثبت له اقتصاصاً وقد وعيت عن كل رجل منهم الحديث الذي حدثني عن عائشة وبعض حديثهم يصدق بعضاً وإن كان بعضهم اوعى له من بعض. قالوا: قالت عائشة: كان رسول الله (ﷺ) إذا أراد سفر أقرع بين زوجاته فأيهن خرج سهمها خرج بها رسول الله معه)[2] إن ما عرضه الإمام مسلم عن حديث الإفك وحديث السيده عائشة (رضي الله عنها) مطابق إلى حد كبير من ما قدمه الإمام البخاري (رحمه الله) ولذا نجد من الضروري عرض الحديث مجدداً بيد وأن الإمام البخاري وبعده الإمام مسلم قد اعتمدوا بشكل كبير على ما قدمه ابن إسحاق من قبل مع بعض التغيير في السند والألفاظ[3] كما ذكره الإمام البخاري مطولاً كذلك في باب تعديل النساء بعضهم بعضاً[4] وذكره كذلك مختصراً في باب إذا عدل رجل أحد فقال: لا نعلم إلا خيراً، أو قال: علمت إلا خيراً)[5] وذكره أيضاً بلفظ مختصر في باب من شهد بدراً[6] وذكره كذلك في باب تفسير سورة يوسف مختصراً[7] وكذلك ذكره في باب قول الرجل لعمر الله بلفظ مختصر كذلك[8] وذكره كذلك في باب اليمين فيما لا

(1) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في باب حديث الإفك (4141).
(2) أخرجه الإمام البخاري في باب حديث الإفك، (4141).
(3) ينظر للمقارنة ابن إسحاق برواية ابن هشام السيرة النبوية، 3/ 333 الإمام مسلم عن باب حديث الإفك 277.
(4) أخرجه الإمام البخاري في باب تعديل النساء (2661).
(5) أخرجه الإمام البخاري في باب إذا عدل (2637).
(6) أخرجه البخاري في باب من شهد بدراً (4025).
(7) أخرجه البخاري في باب تفسير سورة يوسف (4690).
(8) أخرجه البخاري في باب قول الرجل لعمر الله (6662).

يملك[1] وذكره أيضاً في باب وأمرهم بلفظ مختصر،[2] وذكره في باب يريدون أن يعدلوا كلام الله بلفظ مختصر كذلك،[3] وذكره أيضاً في باب قول النبي محمد (ﷺ) الماهر بالقرآن مع الكرام البررة بلفظ مختصر[4] واخيراً ذكره الإمام البخاري مطولاً في باب تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ﴾ [النور: 19][5].

مما سبق عرضه وجدنا أن غزوة المريسيع أو (المصطلق) كانت مفعمة بالأحداث ابتداء من الغزوة ثم الخلاف الذي حصل بين الأنصار بسبب تدخل بن أبي ثم حديث الإفك ورأينا بأن ابن إسحاق قد تخطى هذا الموضوع ضمن ما تسمى بالمقاييس العلمية بوحدة الموضوع والمنهج في حين وجدنا بأن أصحاب الصحاح آثروا أن يفردوا لكل حالة باباً خاصاً في الكتب التي قسموا بها مصنفاتهم. وبقي لنا أن نتحدث عن الموقف الذي اتخذه الرسول (ﷺ) تجاه بن أبي بن سلول الذي (قال: أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل)[6].

وأما معالجة الإمام مسلم لنهايات أحداث غزوة المريسيع لا سيما قول بن أُبي بن سلول (لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل) كانت متواضعة جداً على عكس ابن إسحاق الذي قدم لنا مشاهد عديدة وأهمها موقف ابنه عبد الله الذي حاله دون دخوله المدينة لولا تدخل الرسول (ﷺ) لحل الموقف. وهنا نجد الإمام مسلم يعرضها بهذا الشكل (حدثنا أبو بكر بن أبي شيبه حدثنا الحسن بن موسى. حدثنا زهير بن معاوية. حدثنا أبو إسحاق أنه سمع زيد بن أرقم يقول: (خرجنا مع رسول الله (ﷺ) في سفر أصاب الناس في شدة. فقال عبد الله بن أبي لأصحابه: (لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا) من حوله[7].

---

(1) أخرجه الإمام البخاري في باب اليمين فيما لا يحلل (6679).

(2) أخرجه الإمام البخاري في باب وامرهم فيما لا يحلل (7369).

(3) أخرجه الإمام البخاري في باب يريدون أن يبدلوا كلام الله (7500).

(4) أخرجه الإمام البخاري في باب الماهر بالقرآن (7545).

(5) أخرجه الإمام البخاري في باب تفسير قوله تعالى: إن الذين (4757).

(6) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 335.

(7) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب صفات المنافقين (2772).

وفي مقطع آخر يحدثنا الإمام مسلم (رحمه الله) وقال: (لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل) قال: (يعني زيد بن الأرقم) فأتيت النبي (صلى الله عليه وسلم) فأخبرته بذلك. فأرسل إلى عبد الله بن أبي فسأله فاجتهد يمينه ما فعل، فقال: كذب زيد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال فوقع في نفسي مما قالوه شدة حتى أنزل الله تصديقي: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ [المنَافِقون: 1][1] وتنتهي القضية عند الإمام مسلم (رحمه الله) بهذا الشكل البسيط حاول الإمام مسلم (رحمه الله) كما فعل من قبله الإمام البخاري أن يقدم هذه القصه ضمن كل ضروبها الفقهية ولهذا قدمت ضمن أبواب عديدة وبأسانيد متشابهة أو مختلفة وأحيانا بألفاظ عديدة كان الهدف منها على ما يبدو هو إحاطة الموضوع بكل جوانبه الفقهية فحدث هذا التكرار المتنوع المتشابه عندهم فهنا نجد الإمام مسلم في باب نصر الاخ ظالماً أو مظلوماً يستعرض نفس القصة بأسلوب مغاير إلا أنها تعطي نفس الفكرة يقول حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس حدثنا زهير حدثنا أبو الزبير عن جابر قال: إقتتل غلامان غلام من المهاجرين وغلام من الأنصار فنادى المهاجر أو المهاجرون ياللمهاجرين. ونادى الأنصاري ياللأنصار: فخرج رسول الله فقال: ما هذا دعوى أهل الجاهلية؟ قالوا: لا يا رسول الله: إلا أن غلامين اقتتلا فكسع أحدهما الآخر قال: (فلا بأس ولينصر الرجل أخاه ظالماً أو مظلوماً إن كان ظالماً فلينهه فإنه له نصر. وإن كان مظلوماً فلينصره)[2] وفي مقطع آخر يقول الإمام مسلم (فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): ما بال دعوى الجاهلية؟ قالوا: يا رسول الله: كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار فقال: (دعوها فإنها منتنة) ويرجع الحديث إلى عبد الله بن أُبي فقال: قد فعلوها... الأذل)[3] وإذا ما عدنا إلى الإمام البخاري رحمه الله فسوف نجده قد عالج هذه المسألة بشكل اوسع مما عالجه الإمام المسلم وهذه مسألة طبيعية على اعتبار أن الإمام البخاري هو أول من طرح هذه المسألة وجاء من بعده الإمام مسلم يقول الإمام البخاري في معرض حديثه عن هذا الموضوع: (حدثنا شعبة

---

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب صفات المنافقين (2772).
(2) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في نصر الأخ (62/ 2584).
(3) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في نصر الأخ (63/ 2584).

عن الحكم قال سمعت محمد بن كعب القرضي قال: سمعت زيد بن أرقم قال: لما قال عبد الله بن أبي: لا تنفقوا على من عند رسول الله. وقال ايضاً: لئن رجعنا إلى المدينة اخبرت به النبي (ﷺ) فلامني الأنصار. وحلف عبد الله بن أبي ما قال ذلك. فرجعت إلى المنزل فنمت فدعاني رسول الله (ﷺ) فأتيته. فقال: (إن الله قد صدقك) ونزل: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟﴾[1].

وفي باب (واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم) يقول الإمام البخاري حدثنا عمرو بن خالد: حدثنا زهير بن معاوية حدثنا أبو إسحاق قال: سمعت زيد بن أرقم قال: خرجنا مع النبي (ﷺ) في سفر اصاب الناس فيه شدة فقال: عبد الله بن أبي لأصحابه: لا تنفقوا على من عند رسول الله (ﷺ) حتى ينفضوا من حوله وقال: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. فأتيت النبي (ﷺ) فأخبرته. فأرسل إلى عبد الله بن أبي يسأله. فاجتهد يمينه ما فعل قالوا كذب زيد رسول الله (ﷺ) فوقع في نفسي ما قالوا لشدة حتى أنزل الله ﷻ تصديقي في: (إذا جاءك المنافقون) قد دعاهم النبي (ﷺ) ليستغفر لهم فلووا رؤوسهم. وقوله (خشُب مسندة) قال: كانوا رجالاً أجمل شيء[2].

وفي مقطع آخر يحدثنا الإمام البخاري (رحمه الله) عن بن ابي: حدثنا عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن أبي إسحاق عن زيد بن أرقم قال: كنت مع عمي فسمعت عبد الله بن أبي سلول يقول: لا تنفقوا على من عند رسول الله (ﷺ) حتى ينفضوا. ولئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الاذل. فذكرت ذلك لعمي. فذكر عمي للنبي (ﷺ) فدعاني فحدثته. فأرسل إلى عبد الله بن أبي وأصحابه. فحلفوا ما قالوا وكذبني النبي (ﷺ) وصدقهم. فأصابني غم لم يصبني مثله قط. فجلست في بيتي وقال عمي. ما اردت إلى أن كذبك النبي (ﷺ) ومقتك؟ فأنزل الله تعالى ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ وأرسل إليّ النبي فقرأها وقال: (إن الله قد صدقك)[3].

---

(1) أخرجه الإمام البخاري في باب تفسير سورة المنافقين (4902).

(2) أخرجه الإمام البخاري في تفسير سورة المنافقين (4903).

(3) أخرجه الإمام البخاري في تفسير سورة المنافقين (4904).

وفي مقطع آخر يحدثنا الإمام البخاري بنفس القصة مع إضافة جديده فسمع بذلك عبد الله بن أبي فقال فعلوها، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الاذل. فبلغ بذلك النبي (ﷺ) فقام عمر فقال: يا رسول الله دعني اضرب عنق هذا المنافق فقال النبي (ﷺ): (دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه)[1] وكما يعرضها الإمام البخاري بعدة أسانيد وبعدة ألفاظ منها ما حدث به قال: (فسمعها الله رسوله (ﷺ) قال: (ما هذا) فقالوا: كسع رجل من الأنصار رجلاً من المهاجرين فقال الأنصاري ياللأنصار وقال المهاجري يا للمهاجرين فقال النبي (ﷺ): (دعوها فإنها منتنة) قال جابر: وكانت الأنصار حين قدم النبي (ﷺ) أكثر ثم كثر المهاجرين بعد. فقال عبد الله بن أبي: أو قد فعلوها والله لئن.... الأذل)[2] فقال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) دعني يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق قال النبي (ﷺ): (دعه لا يتحدث الناس أن محمد يقتل أصحابه)[3].

هكذا نجد أن هناك اختلافاً واضحاً في عرض المسائل عند أصحاب الصحاح عنهم عند أصحاب السير والمغازي فلكل منهما منهجه الخاص به والذي قدمه ليخدم به الأمة الإسلامية في حفظ سيرة نبيها (عليه الصلاة والسلام).

ما جاء في باب صلح الحديبية في الحديبية

إن الفشل الذريع الذي لحق بزعماء مكة وحلفائهم في تحقيق أهدافهم العسكرية والدينية في القضاء على دولة الإسلام في المدينة على الرغم من تجنيد كافة قدراتهم القتالية والمعنوية وتحزيب كافة القوى المناهضة للإسلام. إن هذا الفشل غير ميزان القوى في الجزيرة العربية. فبعد أن كانت دولة الإسلام في حالة دفاع وتلقي الضربات الموجعة أصبحت الآن في حالة هجوم مباشر وجاء هذا مصداقاً لقوله (عليه الصلاة والسلام) (لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ولكنكم

(1) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، تفسير سورة المنافقين (4905).
(2) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، تفسير سورة التغابن (4905).
(3) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، تفسير سورة التغابن (4907).

تغزونهم)[1] وعن الأدلة على ذلك هو المباشرة بمحاصرة يهود قريظة وإخلاء المدينة منهم ثم التوجه لغزو بني المصطلق ثم التوجه لمنازلة قريش في عقر دارها مكة فكان صلح الحديبية.

لقد تحدث الإمام مسلم (رَحِمَهُ اللَّهُ) في صحيحه عن صلح الحديبية في باب خصه لذلك. يقول: حدثني عبيد الله بن معاذ العنبري حدثنا أبي حدثنا شعبة عن أبي إسحاق قال: سمعت البراء بن عازب يقول كتب علي بن أبي طالب بين النبي (ﷺ) وبين المشركين يوم الحديبية فكتب: (هذا ما كاتب عليه محمد رسول الله) فقالوا: لا تكتب رسول الله فلو نعلم أنك رسول الله لم نقاتلك فقال النبي (ﷺ) لعلي: (امحه) فقال: ما أنا بالذي أمحاه فمحاه النبي (ﷺ) بيده قال: وكان فيما اشترطوا. أن يدخلوا مكة فيقيموا بها ثلاثاً ولا يدخلها بسلاح إلا جلبان السلاح)[2].

وفي مقطع آخر يقول الإمام مسلم: عن البراء قال: لما احصر النبي (ﷺ) عند البيت صالحه أهل مكة على أن يدخلها فيقيم بها ثلاثاً ولا يدخلها إلا بجلبان السلاح، السيف وقرابه. ولا يخرج بأحد معه من اهلها. ولا يمنع أحداً يمكث بها ممن كان معه: قال لعلي: (اكتب الشروط بيننا، بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما قاض عليه محمد رسول الله فقال له المشركون: لو نعلم أنك رسول الله تابعناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله فأمر علياً أن يمحها فقال علي: لا والله لا أمحها، فقال رسول الله (ﷺ): (أرني مكانها) فأراه مكانها فمحاها وكتب: ابن عبد الله فأقام بها ثلاثة أيام فلما كان اليوم الثالث قالوا لعلي: هذا آخر يوم من شرط صاحبك فأمره فليخرج، فأخبره بذلك. فقال: (نعم) فخرج. يبدو أن الإمام مسلم (رَحِمَهُ اللَّهُ) قد جمع كل الروايات المتعلقة بالصلح فجاءت أسانيدها ومتونها متنوعة كذلك فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول الإمام مسلم. فقال النبي (ﷺ): (اكتب من محمد بن عبد الله فاشترطوا على النبي (ﷺ): أن من جاء منكم لم نرده عليكم ومن جاءكم منا ردتموه علينا. فقالوا: يا رسول الله: أنكتب هذا؟ قال: نعم إنه

(1) ينظر ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 274.

(2) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب الحديبية (90/ 1783) الجلبان/ القراب.

من ذهب منا إليهم فأبعده الله ومن جاءنا منهم، سيعجل الله له فرجاً ومخرجاً[1] وفي رواية ابن حنيف يوم صفين قام فقال: (أيها الناس اتهموا أنفسكم لقد كنا مع رسول الله (ﷺ) يوم الحديبية ولو نرى قتالاً لقاتلنا وذلك في الصلح الذي كان بين رسول الله (ﷺ) وبين المشركين فجاء عمر بن الخطاب. فأتى رسول الله (ﷺ) فقال يا رسول الله: (ألسنا على حق وهم على باطل؟ قال: (بلى) قال: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: (بلى) قال: ففيم نعطي الدنية في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقال: (يا ابن الخطاب! إني رسول الله ولن يضيعني الله ابداً) قال: فانطلق عمر فلم يصبر متغظياً فأتى أبا بكر فقال: يا أبا بكر: (ألسنا على حق وهم على باطل؟ قال: بلى قال: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: بلى، قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقال: يا ابن الخطاب: إنه رسول الله ولن يضيعه الله أبداً)[2].

وفي مقطع آخر يقول الإمام مسلم (رَحِمَهُ اللهُ) (حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء ومحمد بن عبد الله بن نمير قالا: حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن شفيق، قال: سمعت سهل بن حنيف يقول بصفين: أيها الناس اتهموا رأيكم والله: لقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أني أستطيع أن أرد أمر رسول الله (ﷺ) لرددته والله! ما وضعنا سيوفنا على عواتقنا إلى أمرٍ قط. إلا أسهلن بنا إلى أمر نعرفه إلا أمركم هذا)[3].

ويختم الإمام مسلم حديثه عن الحديبية بهذا الحديث يقول: (إن أنس بن مالك حدثهم قال: لما نزلت: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾ إلى قوله: ﴿فَوْزًا عَظِيمًا﴾ مرجعه من الحديبية وهم يخالطهم الحزن والكآبة وقد نحر الهدي بالحديبية فقال: (لقد أُنزلت عليَّ آية هي أحب إليّ من الدنيا جميعاً)[4] مما سبق

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب الصلح (93/ 1784).
(2) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب صلح (94/ 1785).
(3) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب صلح (95/ 1785).
(4) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب الصلح (97/ 1786).

عرضه استعرضنا الروايات التي قدمها الإمام مسلم فيما مضى أحداث صلح الحديبية ووجدناها روايات عديدة إلا أنها تدور حول نفس القضية وكما هو منهجنا في هذا الكتاب هو عرض لأحداث السيرة النبوية كما قدمها الإمام مسلم ثم الإمام البخاري (رحمهما الله) ثم المقارنة مع ما كتبه ابن إسحاق على اعتبار أنه أول من كتب في السيرة النبوية. وبعد أن قدمنا روايات الإمام مسلم، نستعرض الآن روايات الإمام البخاري (رَحِمَهُ ٱللَّهُ) حول الحديبية والتي عرضها تحت أبواب عديده منها غزوة الحديبية خصه للحديث عن هذه الغزوة المباركة وذكر فيه ما يقارب الخمس وأربعين[1] رواية بأسانيد متنوعة وبألفاظ مختلفة منها المختصرة ومنها المطولة ولقد تم اختيار عدة روايات رغبنا في عرضها لما لها من علاقة بموضوع الصلح منها ما حدث به الإمام البخاري (رَحِمَهُ ٱللَّهُ): يقول حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا سفيان قال: سمعت الزهري حين حدث هذا الحديث حفظت بعضه وثبتني معمر عن عروة بن الزبير عن المسورين ومروان بن الحكم: يزيد أحدهما على صاحبه قالا: خرج النبي (ﷺ) عام الحديبية في بضع عشرة ماءه من أصحابه فلما أتى ذا الحليفة قلد الهدي وأشعره وآدم منها بعمره وبعث عيناً له من خزاعة وسار النبي (ﷺ) حتى كان بغدير الأشطاط أتاه عينة. قال: إن قريشاً جمعوا لك جموعاً. وقد جمعوا الأحابيش وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ومانعوك. فقال: أشيروا أيها الناس عليَّ. اترون أن اميل على عيالهم وذراري هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت. فإن يأتونا كان الله عَزَّ وَجَلَّ قد قطع عيناً من المشركين والا تركناهم محرومين)[2] وفي رواية ذكرها مطولاً في باب عمرة القضاء يحدثنا الإمام البخاري يقول ذكره أنس عن النبي (ﷺ): حدثني عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن أبي إسحاق. عن البراء (رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ) قال: لما اعتمر النبي (ﷺ) في ذي العقدة فأبى أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة حتى قاضاهم على أن يقيم بها ثلاثة أيام فلما كتبوا الكتاب كتبوا: هذا ما قاض عليه محمد رسول

(1) ينظر باب غزوة الحديبية في كتاب المغازي الروايات من (4147-4191).
(2) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في باب غزوة الحديبية (4179).

الله. قالوا: لا نقر لك بهذا. لو نعلم أنك رسول الله ما منعناك شيئاً ولكن أنت محمد بن عبد الله. فقال: (انا رسول الله وأنا محمد بن عبد الله، ثم قال لعلي بن أبي طالب (رضي الله عنه) (امح رسول الله) قال: علي: لا والله لا أمحوك ابداً. فأخذ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الكتاب وليس يحسن يكتب فكتب: هذا ما قاض عليه محمد بن عبد الله لا يدخل مكة السلاح إلا السيف في القراب. وأن لا يخرج من أهلها بأحد إن أراد أن يتبعه، وأن لا يمنع من أصحابه أحداً إن أراد أن يقيم بها. فلما دخلها ومضى الأجل أتوا علياً. فقالوا: قل لصاحبك: أخرج عنا فقد مضى الأجل[1] وذكرها في باب (إذ يبايعونك تحت الشجرة) حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا سفيان، عن عمرو عن جابر قال: كنا يوم الحديبية ألفاً وأربعمائة[2].

وفي رواية أخرى للإمام البخاري يقول: حدثنا أحمد ابن إسحاق السلمي حدثنا يعلى: حدثنا عبد العزيز بن سياه عن حبيب بن أبي ثابت قال: اتيت أبا واثل أسأله. فقال: أكنا بصفين. فقال: عليَّ: نعم فقال سهل بن حنيف: اتهموا أنفسكم فلقد رأينا يوم الحديبية. يعني الصلح الذي كان بين النبي (صلى الله عليه وسلم) والمشركين ولو نرى قتالاً لقاتلنا فجاء عمر فقال: ألسنا على الحق وهم على الباطل. أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: بلى قال: ففيم نعطي الدنية في ديننا ونرجع. ولما يحكم الله بيننا؟ فقال: (يا ابن الخطاب، إني رسول الله ولن يضعيني الله ابداً) فرجع متغيظاً فلم يصبر حتى جاء أبا بكر فقال: يا أبا بكر. ألسنا على الحق وهم على الباطل قال: يا ابن الخطاب إنه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولن يضيعه الله أبداً. فنزلت سورة الفتح[3] وذكر الإمام البخاري (رحمه الله) حديث الحديبية في عدة أبواب منها باب كيف يكتب هذا ما صالح فلان ابن فلان بلفظ مختصر[4] وكذلك رواه في باب الصلح مع المشركين وفيه (ولا يدخلها إلا بجلبان السلاح والسيف والقوس ونحوه. فجاء أبو جندل يحجل في جنوده. فرده

---

(1) أخرجه الإمام البخاري في عمرة القضاء4251 وفي هذا الباب ذكر الإمام البخاري عشر روايات (4251-04259).

(2) أخرجه الإمام البخاري في كتاب التفسير (4840).

(3) أخرجه الإمام البخاري في كتاب التفسير (4844).

(4) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في باب كيف يكتب (2699، 2698).

إليهم[1] وذكره في باب كيف ينبذ إلى أهل العهد[2] وكما ذكره مطولاً في باب المصالحة على ثلاثة ايام[3]، وذكرها في باب ليس السلاح للمحرم مختصراً[4].

وذكرها كذلك في باب كم اعتمر النبي (ﷺ) مختصراً[5]، وذكرها في باب الحرية والموادعة مطولاً[6]، وذكرها في الصلح مع المشركين مطولاً[7]، وذكرها في باب المصالحة على ثلاثة أيام أو وقت معلوم مطولاً[8].

مما سبق عرضه من روايات للإمام البخاري (رحمه الله) والذي سبق الإمام مسلم (رحمه الله) نجد هناك تطابقاً ملحوظاً في عرض الروايات حول موضوع الحديبية وهي روايات كثيرة وعديدة ويصعب حصرها لأنها تكاد تكون متشابهة عند الإمام الواحد فكيف عند الإمامين. إن هذا التطابق يدل على صحة الروايات وقوتها وليس ضعفها. وذكرها كذلك في باب كم اعتمر النبي (ﷺ) مختصراً[9].

وبعد هذه المسيرة المباركة مع أهل الصحاح وهم يعرضون لنا أحداث صلح الحديبية بقي لنا أن نستعرض ما قدمه ابن إسحاق عن هذه الغزوة المباركة لنرى ونحدد أوجه التشابه والاختلاف عند كلا الفريقين.

يقول ابن إسحاق: كان أمر الحديبية في آخر سنة ست وذكر في حديثه بيعة الرضوان وشروط الصلح بين قريش ورسول الله عليه الصلاة والسلام وبدأ حديثه بقوله: ثم اقام رسول الله (ﷺ) بالمدينة شهر رمضان وشوالاً وخرج في ذي القعدة معتمراً لا يريد حرباً. واستعمل على المدينة نهيلة بن عبد الله الليثي، واستنفر العرب ومن حوله من أهل البوادي من الأعراب ليخرجوا معه، وهو يخشى من قريش الذي صنعوا أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت فأبطأ

(1) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في باب النصح مع المشركين (2700).
(2) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في باب كيف ينبذ (3181).
(3) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في باب المصالحة (3184).
(4) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في باب لبس السلاح (1844).
(5) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في باب كيف اعتمر (1781).
(6) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في باب الموادعة (3182).
(7) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في باب الصلح مع المشركين (2700).
(8) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في باب المصالحة (3184).
(9) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في باب كم اعتمر (1781).

عليه كثير من الأعراب، وخرج رسول الله (ﷺ) بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق به من العرب. وساق معه الهدي. وأحرم بالعمرة ليأمن الناس من حربه وليعلّم الناس أنه إنما خرج زائراً لهذا البيت معظماً له[1].

ويقول ابن إسحاق: حدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، عن عزوة ابن الزبير، عن مسور بن مخرمة[2] ومروان بن الحكم أنهما حدثاه قالا: خرج رسول الله (ﷺ) عام الحديبية يريد زيارة البيت لا يريد قتالاً وساق معه الهدي سبعين بدنة وكان الناس سبعمائة رجل. فكانت كل بدنة عن عشرة نفر. وكان جابر ابن عبد الله فيما بلغني يقول كنا أصحاب الحديبية أربعة عشرة مائة. قال الزهري: وخرج رسول الله (ﷺ) حتى إذا كان بعسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبي. فقال: يا رسول الله، هذه قريش قد سمعت بمسيرتك فخرجوا معهم العوذ العطافيل قد لبسوا جلود النمور وقد نزلوا بذي طوى. يتعاهدون الله لا تدخلها عليهم ابداً. وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدموها إلى كراع الغميم، قال: فقال رسول الله (ﷺ): (ياويح قريش!!! لقد أكلتهم الحرب ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب. فإن هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام داخرين. وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة فما تظن قريش فو الله لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة. ثم قال: (من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها)[3] فأمر رسول الله (ﷺ) الناس فقال: (اسلكوا ذات اليمين بين ظهري الحمض في طريق [تخرجهم] على ثنية المرار مهبط الحديبية من أسفل مكة. قال: فسلك الجيش ذلك الطريق. فلما رأت خيل قريش قترة الجيش قد خالفوا عن طريقهم رجعوا راكضين إلى قريش وخرج رسول الله (ﷺ) حتى إذا سلك في ثنية المرار بركت ناقته فقال الناس: خلأتِ الناقة فقال: (ما خلأت وما هو لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة. لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألونني فيها صلة الرحم

---

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 355-358.

(2) في باب غزوة الحديبية يروي الإمام البخاري إحدى الروايات عن مسور بن مخرمة ينظر (4157-4158).

(3) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.

إلا أعطيتهم إياها ثم قال للناس: (انزلوا) قيل له: يا رسول الله، بالوادي ماء ينزل عليه. فأخرج سهماً من كنانته فأعطاه رجلا من أصحابه فنزل [به] في قليب عن تلك القلُبُ فغرزه في جوفه فجاش بالرَّواء حتى ضرب الناس عنهِ بعطنٍ[1].

يقول ابن إسحاق عن الزهري: فلما اطمأن رسول الله (ﷺ) اتاه بديل بن ورقاء الخزاعي في رجال من خزاعة فكلموه وسألوه ما الذي جاء به فأخبرهم أنه لم يأت يرد حرباً وإنما جاء زائراً للبيت ومعظماً لحرمته. ثم قال لهم نحوا مما قاله لبشر بن سفيان. فرجعوا إلى قريش فقالوا: يا معشر قريش إنكم تعجلون على محمد، إن محمداً لم يأت لقتال وإنما جاء زائراً لهذا البيت. فاتهموهم وجبَّهوهم، وقالوا: وإن جاء ولا يريد قتالاً فو الله لا يدخلها علينا عنوة أبداً ولا تحدث بذلك عنا العرب[2] وكانت خزاعة عيبة رسول الله (ﷺ) مسلمها ومشركها لا يخفون عنه شيئاً كان بمكة. ثم بعثوا إليه مكرز بن حفص بن الاخيف أخا بني عامر بن لؤي. فلما رآه رسول الله (ﷺ) مقبلاً قال: (هذا رجل غادر) فلما انتهى إلى رسول الله (ﷺ) وكلمه قال له رسول الله (ﷺ) نحواً مما قال لبديل وأصحابه. فرجع إلى قريش فأخبرهم بما قال له رسول الله (ﷺ). ثم بعثوا إليه الحليس بن علقمه وابن زبّان. وكان يومئذ سيد الاحابيش... فلما رآه رسول الله (ﷺ) قال: (إن هذا من قوم يتألهون فابعثوا الهدي في وجهه حتى يراه) فلما رأى الهدي يسيل عليه من عرض الوادي في قلائده وقد أكل أوباره طول الحبس عن محله رجع إلى قريش. ولم يصل إلى رسول الله إعظاماً لما رأى فقال لهم ذلك قال: فقالوا له اجلس فإنما أنت أعرابي لا علم لك[3] غضب عند ذاك الحليس وقال: (يا معشر قريش والله ما على هذا حالفناكم ولا على هذا عاقدناكم. أيصد عن بيت الله من جاء معظماً له والذي نفس الحليس بيده لتخلنَّ بين محمد وبين ما جاء به له أو لأنفرنَّ بالأحابيش نفرة رجل واحد، قال: قالوا له: مه كف عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به[4]. واستمرت الرسل تذهب وتجيىء ما بين

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 357-358.
(2) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 360-362.
(3) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.
(4) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.

رسول الله وقريش كانت تهدف من ذلك إلى المماطلة واغتنام الفرص، فبعثوا إلى رسول الله (ﷺ) عروة بن مسعود الثقفي... فخرج حتى أتى رسول الله فجلس بين يديه ثم قال: يا محمد، أجمعت أوشاب الناس ثم جئت بهم إلى بيضتك لتفضها بهم إنها قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمور يعاهدون الله لا تدخلها عليهم عنوة ابداً. وأيم الله لكأني بهؤلاء قد انكشفوا عنك غداً. قال: وأبو بكر الصديق خلف رسول الله (ﷺ) قاعد فقال: امصص بظر اللات أنحن ننكشف عنه؟.... ثم جعل يتناول لحية رسول الله (ﷺ) وهو يكلمه قال: والمغيرة بن شعبة واقف على رأس رسول الله (ﷺ) في الحديد. قال: فجعل يقرع يده إذا تناول لحية رسول الله (ﷺ) ويقول اكفف يدك عن وجه رسول الله (ﷺ) قبل أن لا تصل إليك. قال: فيقول عروة: ويحك!! ما افظك واغلظك!! قال: فتبسم رسول الله (ﷺ) فقال له عروة: من هذا يا محمد؟ قال: (هذا بن اخيك المغير بن شعبة) قال: أي غُدُر: وهل غسلت سوأتك إلا بالأمس[1] وكلمه رسول الله (ﷺ) بنحو مما كلم به أصحابه وأخبره أنه لم يأت يريد حرباً. فقام من عند رسول الله (ﷺ) وقد رأى ما يصنع به أصحابه. لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه ولا يبصق بصاقاً إلا ابتدروه. ولا يسقط من شعره شيء إلا اخذوه. فرجع إلى قريش فقال يامعشر قريش، إني قد جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه. وإني والله ما رأيت ملكاً في قوم قط مثل محمد في أصحابه. ولقد رأيت قوماً لا يسلمونه لشيء أبداً فروا رأيكم[2] ومن جانبه ارسل الرسول عليه الصلاة والسلام إلى قريش رسولاً ليخبرهم بأنه جاء معتمراً وزائراً ولا يريد حرباً يقول ابن إسحاق وحدثني (بعض أهل العلم، أن رسول الله (ﷺ) دعا خراش بن أمية الخزاعي فبعثه إلى قريش بمكة وحمله على بعير له يقال له الثعلب. ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له. فعقروا به جمل رسول الله (ﷺ) وأرادوا قتله فمنعته الأحابيش. فخلوا سبيله حتى أتى رسول الله (ﷺ)[3] ولم تكتف قريش بهذا العمل

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 362-365.

(2) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.

(3) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.

المشين والذي يدل على عدم حسن النية في التعامل مع مطالب رسول الله (ﷺ) في زيارة البيت الحرام بل أرسلت كما يقول أبو إسحاق (إن قريشاً كانوا بعثوا أربعين رجلاً منهم أو خمسين رجلاً وأمروهم أن يطيفوا بعسكر رسول الله (ﷺ) ليصيبوا لهم من أصحابه احداً، فأخذوا اخذاً فأتي بهم رسول الله (ﷺ) فعفا عنهم وخلى سبيلهم وقد كانوا رموا في عسكر رسول الله (ﷺ) بالحجارة والنبل[1] وعلى الرغم من ذلك تستمر محاولات الرسول (ﷺ) إفهام قريش أنه إنما جاء يريد العمرة وليس الحرب يقول ابن إسحاق: فدعا عمر بن الخطاب ليبعثه إلى مكة فيبلغ من أشراف قريش ما جاء له. فقال: يا رسول الله إني أخاف قريشاً على نفسي وليس بمكة من بني عدي بن كعب أحد يمنعني...... لكني أدلك على رجل اعز بها مني عثمان بن عفان. فدعا رسول الله (ﷺ) عثمان بن عفان فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب وأنه جاء زائراً لهذا البيت ومعظماً لحرمته[2] فخرج عثمان بن عفان (رضي الله عنه) فلقيه أبان بن سعيد بن العاص. حيث دخل مكة فحمله بين يديه. ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله (ﷺ) فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله (ﷺ) ما أرسله به فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله (ﷺ) إليهم: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف. فقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله (ﷺ) واحتسبته قريش عندها. فبلغ رسول الله والمسلمين أن عثمان بن عفان قد قتل[3].

ما جاء في بيعة الرضوان

ونحن نستعرض أحداث الحديبية وما حصل فيها من تطورات سياسية يحدثنا ابن إسحاق عن قرار جريء اتخذه الرسول عليه الصلاة والسلام في هذه المرحلة ولا سيما بعد أن وردته معلومات تفيد بأن سفيره إلى قريش عثمان بن عفان (رضي الله عنه) قد قتل فيحدثنا ويقول: فحدثني عبد الله بن أبي بكر: أن رسول الله عليه الصلاة

---

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.

(2) ابن هشام، السيرة النبوية 3/ 365.

(3) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.

والسلام قال- حين بلغه أن عثمان قد قتل: (لا نبرح حتى نناجز القوم) فدعا رسول الله عليه الصلاة والسلام الناس إلى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة. فكان الناس يقولون: بايعهم رسول الله على الموت وكان جابر بن عبد الله يقول: إن رسول الله عليه الصلاة والسلام لم يبايعنا على الموت، ولكن بايعنا على أن لا نفر. فبايع رسول الله عليه الصلاة والسلام الناس[1]. ثم أتى رسول الله عليه الصلاة والسلام أن الذي ذكر من أمر عثمان باطل[2]. وعن بن عمر (رضي الله عنه): (أن رسول الله عليه الصلاة والسلام بايع لعثمان فضرب بإحدى يديه على الأخرى)[3].

ثم يواصل ابن إسحاق حديثه مستكملاً أحداث الحديبية بشكل سلس مفيد بعيد عن التكلف فيقول: قال الزهري: ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو أخا بني وائل بن لؤي إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام وقالوا له: ائت محمداً فصالحه ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا، فوالله لا تحدث العرب عنا إنه دخلها علينا عنوة أبداً. فأتاه سهيل بن عمرو. فلما رأه الرسول عليه الصلاة والسلام مقبلاً قال: (قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل)[4]. فلما انتهى سهيل بن عمرو إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام تكلم فأطال الكلام وتراجعا ثم جرى بينهما الصلح)[5].

فلما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب وثب عمر بن الخطاب. فأتى أبا بكر فقال: يا أبا بكر، أليس برسول الله؟ قال: بلى، قال: أولسنا بالمسلمين؟ قال: بلى، قال: أو ليسوا بالمشركين؟ قال: بلى. قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ قال أبو بكر، يا عمر، الزم غرزه[6] فإني أشهد أنه رسول الله. قال عمر: وأنا

---

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 364.
(2) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.
(3) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 365.
(4) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 365.
(5) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.
(6) غرزه: أي ألزم طريقه ولا تختر لنفسك إلا ما يختاره.

أشهد أنه رسول الله. ثم أتى رسول الله عليه الصلاة والسلام فقال: يا رسول الله: ألست رسول الله؟ قال: بلى، قال: ألسنا بالمسلمين؟ قال: بلى، قال: أوليسوا بالمشركين؟ قال: بلى. قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا. قال: (أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعني) قال فكان عمر يقول: ما زلت أتصدق وأصوم وأعتق من الذي صنعت يومئذ، مخافة كلامي الذي تكلمت به حين رجوت أن يكون خيراً)[1].

ويختتم ابن إسحاق حديثه عن صلح الحديبية بكتابة الكتاب، أو ما تصالح به رسول الله عليه الصلاة والسلام مع رئيس وفد قريش سهيل بن عمرو قال: ثم دعا رسول الله عليَّ بن أبي طالب (رضي الله عنه) فقال: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم قال: فقال سهيل: لا أعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم. فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام: اكتب باسمك اللهم، فكتبها. ثم قال: اكتب: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو قال: فقال سهيل: لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك. ولكن اكتب اسمك واسم أبيك. قال: فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام: اكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو. اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس. ويكف بعضهم عن بعض. على أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يرده عليه. وإن بيننا عيبة مكفوفة وإنه لا إسلال ولا إغلال. وإنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه. فتواثبت خزاعة فقالوا: نحن في عقد محمد وعهده. وتواثبت بنو بكر فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدهم وإنك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة. وإنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك فأقمت بها ثلاثاً دون سلاح الراكب السيوف في القرب. لا تدخلها بغيرها)[2].

ومن الأمور المنهجية التي تميز بها ابن إسحاق هو إحاطته بالموضوع الذي يكتب فيه وأتباع منهج وحدة الموضوع فهو يحاول دائما ومنذ الوهلة أن يقدم كل

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 365-366.
(2) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 366-367.

الروايات المتعلقة بموضوعه كبيرة كانت أم صغيرة وهذه ميزة منهجية له انفرد بها عن غيره ممن دوّن في السيرة النبوية. ومن الأمور التي ذكرها ولم يغفل عنها الأحداث الجانبية التي حصلت أثناء التفاوض وأثناء كتابة العقد ومنها مسألة أبو جندل ابن المفاوض المكي سهيل. يقول: فبينما رسول الله عليه الصلاة والسلام يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو وهو يرسف في الحديد قد انفلت إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام وقد كان أصحاب رسول الله خرجوا وهم لا يشكون في الفتح لرؤيا رآها رسول الله عليه الصلاة والسلام، فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع وما تحمل عليه رسول الله في نفسه دخل على الناس من ذلك أمر عظيم حتى كادوا يهلكون. فلما رأى سهيل أبا جندل قام إليه فضرب وجهه وأخذ بتلبيبه. ثم قال: يا محمد، قد لجت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا. قال: صدقت فجعل ينتره بتلبيبه ويجره ليرده إلى قريش. وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته: يا معشر المسلمين، أأرد إلى المشركين يفتنوني في ديني؟! فزاد ذلك الناس إلى ما بهم فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام: (يا أبا جندل اصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً. إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله وإنا لا نغدر بهم)[1]. قال فوثب عمر بن الخطاب مع أبي جندل يمشي إلى جنبه ويقول: اصبر يا أبا جندل. فإنما هم المشركون وإنما دم أحدهم دم كلب. قال: ويدني قائم السيف منه، قال: يقول عمر: رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه. قال: فضن الرجل بأبيه. ونفذت القضية)[2].

ولن ينسى ابن إسحاق أن يذكر لنا مسألة مهمة جداً في توضيح العهود والمعاهدات هي الشهود الذين شهدوا على كتابة الكتاب، يقول ابن إسحاق: (فلما فرغ من الكتاب أشهد على الصلح رجالاً من المسلمين ورجالاً من المشركين: أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله ابن سهيل بن عمرو، وسعد بن أبي وقاص. ومحمود بن مسلمة، ومكرز بن

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 368-370.
(2) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.

حفص وهو يومئذ مشرك، وعلي بن أبي طالب، وكان هو كاتب الصحيفة)[1].

كما حاول ابن إسحاق أن يدون الكثير من الأحداث الأخرى التي وجدها مهمة منها (فلما فرغ (أي رسول الله عليه الصلاة والسلام) من الصلح قام إلى هديه فنحره ثم جلس فحلق رأسه وكان الذي حلقه - فيما بلغني ذلك اليوم - خراش بن أمية بن الفضل الخزاعي. فلما رأى الناس أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قد نحر وحلق تواثبوا ينحرون ويحلقون)[2].

ومن الأمور التي ذكرها ابن إسحاق في حديثه عن الحديبية أن رسول الله عليه الصلاة والسلام (أهدى عام الحديبية في هداياه جملاً لأبي جهل في رأسه برة من فضة يغيظ به المشركين)[3].

مما سبق عرضه نرى ابن إسحاق قدم لنا أحداث صلح الحديبية بشكل مختلف عما قدمه أصحاب الصحاح والسنن على الرغم من أنه كان أول من دون في السيرة النبوية. ولا ننسى أن جميع من كتب في السيرة النبوية من أهل التاريخ كانوا وما زالوا عالة على ابن إسحاق (رَحِمَهُ اللهُ).

ما جاء في باب غزوة ذات الرقاع

ذكر الإمام مسلم في صحيحه هذه الغزوة في بابها فيقول حدثنا أبو عامر عبد الله بن براد الأشعري ومحمد بن العلاء الهمداني- واللفظ لأبي عامر- قالا: حدثنا أبو أسامة عن بريد بن أبي بردة عن أبي بردة عن أبي موسى قال: خرجنا مع رسول الله عليه الصلاة والسلام في غزاة ونحن ستة نفر بيننا بعير نعتقبه قال: فنقبت أقدامنا فنقبت قدمي وسقطت أظفاري. فكنا نلف على أرجلنا الخرق فسميت غزوة ذات الرقاع لما كنا نعصب على أرجلنا من الخرق)[4].

وذكرها في أبواب فقهية عديدة مطولة ومنها مختصر وبألفاظ عديدة منها:

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 368-369.
(2) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.
(3) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.
(4) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب غزوة ذات الرقاع (149/ 1816).

عن جابر قال: أقبلنا مع رسول الله عليه الصلاة والسلام حتى إذا كنا بذات الرقاع قال: كنا إذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله عليه الصلاة والسلام قال فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله عليه الصلاة والسلام معلق بشجرة فأخذ سيف نبي الله عليه الصلاة والسلام فاخترطه فقال للرسول عليه الصلاة والسلام: أتخافني؟ قال: لا؟ قال: فمن يمنعك مني؟ قال: الله يمنعني منك قال: فتهدده أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام فأغمد السيف وعلقه. فقال: فنودي بالصلاة فصلى بطائفة ركعتين. ثم تأخروا وصلى بالطائفة الأخرى ركعتين قال فكانت لرسول الله أربع ركعات وللقوم ركعتان)[1].

ويستعرض الإمام البخاري (رَحِمَهُ الله) غزوة ذات الرقاع بشكل مستفيض ويحاول أن يغطي كافة المسائل المتعلقة بها. من فقهية وغير فقهية ويدرجها ضمن كتاب المغازي باب غزوة ذات الرقاع ويقول وهي غزوة محارب خصفه من بني ثعلبة من غطفان فنزل نخلاً وهي بعد خيبر لأن أبا موسى جاء بعد خيبر، قال أبو عبد الله: وقال لي عبد الله بن رجاء: أخبرنا عمران العطار. عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة. عن جابر بن عبد الله (رَضِيَ الله عَنْهُمَا): أن النبي عليه الصلاة والسلام صلى بأصحابه في الخوف في غزوة السابعة غزوة ذات الرقاع[2]. وفي رواية أخرى يقول الإمام البخاري وقال ابن إسحاق: سمعت وهب بن كيسان: سمعت جابراً: خرج النبي عليه الصلاة والسلام إلى ذات الرقاع من نخل فلقي جمعاً من غطفان. فلم يكن قتال وأخاف الناس بعضهم بعضاً. فصلى النبي عليه الصلاة والسلام ركعتي خوف)[3].

وفي رواية ثالثة يحدثنا الإمام البخاري (رَحِمَهُ الله): حدثنا محمد بن العلاء: حدثنا أبو أسامة عن بريد بن عبد الله بن أبي بردة. عن أبي بردة عن أبي موسى (رَضِيَ الله عَنْهُ) قال: خرجنا مع النبي عليه الصلاة والسلام في غزوة ونحن ستة نفر بيننا بعير نتعقبه. فنقبت أقدامنا ونقبت قدماي وسقطت أظفاري. وكنا نلف على

---

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب صلاة الخوف (311/ 843).

(2) أخرجه الإمام البخاري في باب غزوة ذات الرقاع (9125).

(3) أخرجه الإمام البخاري في باب غزوة ذات الرقاع (4127).

أرجلنا الخرق فسميت غزوة ذات الرقاع. لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا. وحدث أبو موسى بهذا. ثم كره ذاك)[1].

وفي رواية رابعة يحدثنا الإمام البخاري (رَحِمَهُ اللَّهُ) عن هذه الغزوة فيقول وقال إبان: حدثنا يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة عن جابر قال: كنا مع النبي عليه الصلاة والسلام بذات الرقاع فإذا أتبنا شجرة ظليلة تركناها للنبي عليه الصلاة والسلام فجاء رجل من المشركين وسيف النبي عليه الصلاة والسلام معلق بالشجرة فاخترطه فقال: تخافني؟ قال: لا قال: فمن يمنعك مني؟ قال: الله فتهدده أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام وأقيمت الصلاة، فصلى بطائفة ركعتين ثم تأخروا وصلى بالطائفة الأخرى ركعتين وكان للنبي (ﷺ) أربع وللقوم ركعتان)[2].

وذكر الإمام البخاري في هذا الباب العديد من الروايات حول نفس الموضوع ولا نجد موجب لذكرها جميعاً لأنها تخص قضايا فقهية متعلقة بالصلاة وصلاة الخوف وما أشبه ذلك[3].

ومن خلال ما عرضه الإمام البخاري (رَحِمَهُ اللَّهُ) وما قدمه من بعده الإمام مسلم حول هذه الغزوة نجد أن هناك تطابقاً كبيراً في اللفظ مع اختلاف في السند ولا ضير في ذلك.

وأما أصحاب المغازي والسير فقد تناولوا هذه الغزوة أيضاً وتحدثوا عنها مطولاً وخصوصاً العلامة أبو عمر الواقدي والتي ذكرها تحت عنوان منفرد سماه غزوة ذات الرقاع ويقول سميت بذات الرقاع (لأنه جبل فيه بُقع حمر وسواد وبياض)[4]. في الروض الأنف ذكر السهيلي أن هذه التسمية جاءت لوجود شجرة بذلك الموقع يقال لها ذات الرقاع)[5].

---

(1) أخرجه الإمام البخاري في باب ذات الرقاع (4128).

(2) أخرجه الإمام البخاري في باب ذات الرقاع (4136).

(3) ينظر باب الرقاع (4125، 4126، 4127، 4128، 4129، 4130، 4131، 4132، 4133، 4134، 4135، 4136، 4137).

(4) الواقدي، المغازي، تحقيق مارسدن جونس، 1/ 395.

(5) ينظر السهيلي، الروض الآنف، 2/ 181.

يقول الواقدي: (خرج رسول الله عليه الصلاة والسلام ليلة السبت لعشر خلون من المحرّم على رأس سبعة وأربعين شهراً. وقدم صراراً[1]. يوم الأحد لخمسين بقين من المحرم وغاب خمس عشرة[2].

يقول الواقدي في معرض حديثه عن هذه الغزوة فيقول: فحدثني الضحاك بن عثمان عن عبيد الله بن مقسم وحدثني هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن جابر وعن عبد الكريم بن أبي حفصة عن جابر وعبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر. عن عبد الله بن أبي بكر ومالك بن أنس وعبد الله بن عمر. عن وهب بن كيسان عن جابر بن عبد الله. وقد زاد بعضهم على بعض في الحديث وغيرهم قد حدثني به. قالوا: قدم قادم بجلب له فاشترى بسوق النبط. وقالوا من أين جلبت جلبك؟ قال: جئت من نجد وقد رأيت أنماراً وثعلبة قد جمعوا لكم جموعاً، وأراكم هادين عنهم. فبلغ النبي عليه الصلاة والسلام قوله. فخرج في أربعمائة من أصحابه وقال قائل: كانوا سبعمائة أو ثمانمائة. وخرج رسول الله عليه الصلاة والسلام من المدينة حتى سلك على المضيق. ثم أفضى إلى وادي الشقرة فأقام به يوماً. ثم بث السرايا فرجعوا إليه مع الليل، وخبروه أنهم لم يروا أحداً وقد وطئوا أثاراً حديثة. ثم سار الرسول عليه الصلاة والسلام في أصحابه حتى أتى محالهم. فيجدون المحال ليس فيها أحد. وقد ذهبت الأعراب إلى رؤوس الجبال. وهم مطلّون على النبي عليه الصلاة والسلام وقد خاف الناس بعضهم بعضاً والمشركون منهم قريب وخاف المسلمون أن يغيروا عليهم وهم غارون. وخافت الأعراب ألا يبرح رسول الله عليه الصلاة والسلام حتى يستأصلهم)[3].

(وفيها صلى رسول الله عليه الصلاة والسلام صلاة الخوف، فحدثني ربيعة ابن عثمان عن أبي نعيم عن جابر بن عبد الله. قال: فكان أول من صلى يومئذ صلاة الخوف، وخاف أن يغيروا عليه وهم في الصلاة وهم صفوف)[4].

وفي مقطع آخر يحدثنا الواقدي فيقول: فحدثني عبد الله بن عثمان عن أخيه،

(1) صرارا: بئر قديمة على بعد ثلاثة أميال من المدينة.
(2) الواقدي، المكان نفسه.
(3) الواقدي، المغازي، 1/ 395-396.
(4) الواقدي، المكان نفسه.

عن القاسم بن محمد، عن صالح بن خوات، عن أبيه. قال: صليت مع رسول الله عليه الصلاة والسلام يومئذ صلاة الخوف، فاستقبل رسول الله عليه الصلاة والسلام القبلة وطائفة خلفه وطائفة في مواجهة العدو. فصلى بالطائفة التي خلفه ركعة وسجدتين. ثم ثبت قائماً فصلوا خلفه ركعة وسجدتين. ثم سلموا وجاءت الطائفة الأخرى فصلى بهم ركعة وسجدتين والطائفة الأولى مقبلة على العدو. فلما صلى بهم ركعة ثبت جالساً حتى أتموا لأنفسهم ركعة وسجدتين ثم سلم)[1].

ومن الأحداث المهمة التي ذكرها الواقدي ولم يغفل عنها هي ذكره لبعض الأحداث الدقيقة والتي قد يراها القسم الآخر غير مهمة فنراه يحدثنا فيقول: وكان رسول الله عليه الصلاة والسلام قد أصاب في محالهم نسوة. وكان في السبي جارية وضيئة كان زوجها يحبها. فلما انصرف رسول الله عليه الصلاة والسلام راجعاً إلى المدينة حلف زوجها ليطلبنّ محمداً. ولا يرجع إلى قومه حتى يصيب محمداً أو يُهريق فيهم دماً. أو تتخلص صاحبته. فبينما رسول الله عليه الصلاة والسلام في مسيره عشية ذات ريح. فنزل في شعب استقبله فقال: من رجل يكلؤنا الليلة؟ فقام رجلان. عمار بن ياسر وعباد بن بشير فقالا: نحن يا رسول الله نكلؤك. وجعلت الريح لا تسكن وجلس الرجلان على فم الشعب فقال أحدهما لصاحبه: أي الليل أحب إليك. أن أكفيك أوله فتكفيني آخره؟ قال: اكفني أوله. فقام عمار بن ياسر وقام عباد بن بشر يصلي. وأقبل عدو الله يطلب غرة وقد سكنت الريح. فلما رأى سواده من قريب قال: يعلم الله أن هذا لربيئة القوم: ففوق له سهماً فوضعه فيه فانتزعه فوضعه. ثم رماه بآخر فوضعه فيه فانتزعه فوضعه. ثم رماه الثالث فوضعه فيه. فلما غلب عليه الدم ركع وسجد ثم قال لصاحبه: اجلس فقد أتيت! فجلس عمار، فلما رأى الأعرابي أن عماراً قد قام علم أنهم قد نذروا به. فقال عمار: أي أخي، ما منعك أن توقظني به في أول سهم رمى به؟ قال: كنت في سورة أقرأها وهي سورة الكهف فكرهت أن أقطعها حتى أفرغ منها، ولولا أني خشيت أن أضيع ثغراً أمرني به رسول الله عليه الصلاة والسلام ما انصرفت ولو أتى على نفسي. ويقال: الأنصاري عمارة بن حزم قال

(1) الواقدي، المكان نفسه.

ابن واقد وأثبتهما عندنا عمار بن ياسر)[1].

وفي رواية مهمة ذكرها الواقدي قال: وكان رسول الله عليه الصلاة والسلام يصلي على راحلته نحو الشرق في غزوته)[2]. وذكر أيضاً (فبينما رسول الله عليه الصلاة والسلام يتحدث عندنا إلى أن جاءنا علبة بن زيد الحارث بثلاث بيضات اداحي فقال: يا رسول الله وجدت هذه البيضات في مفحص نعام. فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام دونك يا جابر. فاعمل هذه البيضات فوثبت فعملتهن. ثم جئت بالبيض في قصعة وجعلت أطلب خبزاً فلا أجده. قال: فجعل رسول الله عليه الصلاة والسلام وأصحابه يأكلون من ذلك البيض بغير خبز. قال جابر: فرأيت رسول الله عليه الصلاة والسلام قد أمسك يده وأنا أظن أنه قد انتهى إلى حاجته. والبيض في القصعة كما هو. قال: ثم قام رسول الله عليه الصلاة والسلام وأكل منه عامة أصحابنا. ثم رحنا مُبردين. قال جابر: وإنا لنسير إلى أن أدركني رسول الله فقال: مالك يا جابر؟ فقلت أي رسول الله جدّي أن يكون لي بعير سوء وقد مضى الناس وتركوني! قال: فأناخ رسول الله عليه الصلاة والسلام بعيره فقال: أ معك ماء؟ فقلت: نعم فجئته بقعب من ماء. فنفث فيه ثم نفخ على رأسه وظهره وعلى عجزه. ثم قال: أعطني عصا فأعطيته عصا -معي أو قال قطعت له عصا من شجرة - قال: ثم نخسه ثم قرعه بالعصا. ثم قال: اركب يا جابر. قال: فركبت قال: فخرج. والذي بعثه بالحق يواهق ناقته مواهقة ما تفوته ناقته)[3].

مما سبق نجد أن روايات أصحاب الصحاح في الحديث عن هذه الغزوة تتشابه إلى حد كبير مع ما ذكره أصحاب المغازي والسير وأن أصحاب السير قد ذكروا أحداثاً تاريخية مهمة لم يذكرها أصحاب الصحاح. على الرغم من أننا وجدنا أن أصحاب السير والمغازي يعتمدون في سرد رواياتهم على سلسلة الإسناد. إلا أنها على ما يبدو وعند أصحاب الصحاح غير جديرة بالقوة والثقة وهم مضعفوها.

---

(1) الواقدي، المغازي، 1/ 396-397.

(2) الواقدي، المكان نفسه.

(3) الواقدي، المغازي، 1/ 399.

ما جاء في عمرة القضاء

عالج الإمامان مسلم والبخاري (رحمهما الله) في صحيحيهما مسألة عمرة القضاء ضمن حديثهما عن أحداث صلح الحديبية وأفردا لها باباً خاصاً تحدثا فيه عن صلح الحديبية وعمرة القضاء وجعلوها مسألة واحدة وسبق الحديث عنها عند حديثنا عن صلح الحديبية وما تعلق به من أمور حدثت آنذاك وكان عرضهما لها عرضاً جيداً يتسم بالموضوعية العلمية المنهجية.

أما أصحاب المغازي والسير وفي مقدمتهم ابن إسحاق فلقد تحدث عنها في فقرة مستقلة إلا أنها كانت مختصة جداً فيبدأ ابن إسحاق حديثه بالقول عمرة القضاء في ذي القعدة سنة سبع ويضيف ثم خرج في ذي القعدة في الشهر الذي صده فيه المشركون معتمراً عمرة القضاء مكان عمرته التي صدوه عنها)[1]. واستعمل على المدينة عويف بن الأضبط الديلي ويقال لها عمرة القصاص لأنهم صدوا رسول الله عليه الصلاة والسلام في ذي القعدة في الشهر الحرام في سنة ست.

فاقتص رسول الله عليه الصلاة والسلام منهم. فدخل مكة في ذي القعدة في الشهر الحرام الذي صدوه فيه من سنة سبع. وأبلغنا عن بن عباس أنه قال: فأنزل الله في ذلك ﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٌۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٩٤﴾ [البقرة: 194].

وفي مقطع آخر يضيف ابن إسحاق فيقول: (وخرج معه المسلمون ممن كان معه في عمرته تلك وهي سنة سبع. فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنه. وتحدثت قريش بينها أن محمداً وأصحابه في عسرة وجهد وشدة)[2]. ويستكمل حديثه ابن إسحاق فيقول: (فحدثني من لا أتهم عن بن عباس قال: صفوا له عند دار الندوة لينظروا إليه وإلى أصحابه، فلما دخل رسول الله عليه الصلاة والسلام المسجد أضطبع بردائه وأخرج عضده اليمنى ثم قال: (رحم الله أمرأً أراهم اليوم من نفسه قوة). ثم استلم الركن وخرج يهرول ويهرول أصحابه معه. حتى إذا واراه البيت منهم واستلم الركن اليماني مشى حتى يستلم الركن الأسود. ثم هرول كذلك ثلاثة

---

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 424.

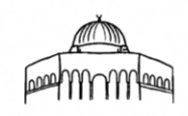
(2) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 424.

أطواف. ومشى سائرها فكان بن عباس يقول: (كان الناس يظنون أنها ليست عليهم. وذلك أن رسول الله إنما صنعها لهذا الحي من قريش للذي بلغه عنهم حتى إذا حج حجة الوداع فلزمها فمضت السنَّة بها)[1].

ومن الأحداث المهمة التي ذكرها ابن إسحاق في عمرة القضاء هي زواج الرسول عليه الصلاة والسلام من السيدة ميمونة قال وحدثني أبان بن صالح عن ابن عباس: أن رسول الله عليه الصلاة والسلام تزوج ميمونة بنت الحرث في سفره ذلك وكان الذي زوجه إياها العباس بن عبد المطلب)[2]. وكانت قد جعلت أمرها إلى أختها أم الفضل وكانت أم الفضل تحت العباس فجعلت أم الفضل أمرها إلى العباس فزوّجها رسول الله عليه الصلاة والسلام بمكة وأصدقها عن رسول الله عليه الصلاة والسلام أربعمائة درهم[3]. وعن مدة بقاء رسول الله عليه الصلاة والسلام بمكة يقول ابن إسحاق: فأقام رسول الله عليه الصلاة والسلام بمكة ثلاثاً فأتاه حويطب بن عبد العُزى بن أبي قيس بن عبدود بن نصر بن مالك ابن حسل في نفر من قريش في اليوم الثالث، وكانت قريش قد وكلته بإخراج رسول الله عليه الصلاة والسلام في مكة فقالوا له: إنه قد مضى أجلك فاخرج عنا فقال النبي عليه الصلاة والسلام: (وما عليكم لو تركتموني فأعرست بين أظهركم وصنعنا لكم طعاماً فحضرتموه) قالوا: لا حاجة لنا في طعامك فاخرج عنا. فخرج رسول الله عليه الصلاة والسلام وخلف أبا رافع مولاه على ميمونة حتى أتاه بسرف فبنى بها رسول الله عليه الصلاة والسلام هنالك. ثم انصرف رسول الله عليه الصلاة والسلام إلى المدينة في ذي الحجة)[4]. فأنزل الله ﷻ ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ ويعني خيبر[5].

---

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 425.
(2) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 425-426.
(3) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 426-427.
(4) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.
(5) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.





ما جاء في كتب النبي عليه الصلاة والسلام إلى الملوك والأمراء

من الأحداث المهمة التي ذكرها لنا أصحاب الصحاح والسنن وأصحاب السير والمغازي ما بين صلح الحديبية وفتح مكة هي مراسلة الرسول عليه الصلاة والسلام لملوك وأمراء البلاد الذين عاصروه في تلك الفترة وتعتبر من الأحداث المهمة جداً لما لها من تأثير كبير على الساحة السياسية والعسكرية انذاك فلم يغفل أصحاب الصحاح والسير عن ذكرها بشكلها الذي نقل إليهم من الرواة الحفاظ وذكرها ضمن أحداث السيرة النبوية يعطي دلالة قوية عن قوة الدعوة والرسالة الذي وصلت إليه بعد صلح الحديبية وقبيل فتح مكة.

يقول الإمام مسلم (رَحِمَهُ اللهُ) في باب كتاب النبي عليه الصلاة والسلام إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام: حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي و بن أبي عمرو ومحمد بن رافع وعبد بن حميد (واللفظ لابن رافع) (قال: بن رافع و بن أبي عمر: حدثنا وقال: الآخران: أخبرنا معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة عن ابن عباس: أن أبا سفيان أخبره من فيه إلى فيه قال: انطلقت في المدة التي كانت بيني وبين رسول الله عليه الصلاة والسلام قال: فبينما أنا بالشام. إذ جيء بكتاب من رسول الله عليه الصلاة والسلام إلى هرقل يعني عظيم الروم، قال: وكان دحية الكلبي جاء به فدفعه إلى عظيم بصرى، فدفعه عظيم بصرى إلى هرقل. فقال: هرقل هل ها هنا أحد من قوم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ قالوا: نعم، قال: فدعيت في نفر من قريش. فدخلنا على هرقل، فأجلسنا بين يديه. فقال: أيكم أقرب نسباً من هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقالوا: أبو سفيان، فقلت: أنا فأجلسوني بين يديه، وأجلسوا أصحابي خلفي. ثم دعا بترجمانه فقال له: قل لهم: إني سائل هذا عن الرجل الذي يزعم أنه نبي.. فإن كذبني فكذبوه. قال: فقال أبو سفيان: وأيم الله! لولا مخافة أن يؤثر عليَّ الكذب

لكذبت. ثم قال لترجمانه: سله كيف حسبه فيكم؟ قال قلت: هو فينا ذو حسب. قال: فهل كان من آبائه ملك؟ قلت لا. قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت لا. قال: ومن يتبعه؟ من أشراف الناس أم ضعفائهم؟ قال قلت: بل ضعفائهم. قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قال قلت: لا بل يزيدون. قال: هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سخطه له؟ قال قلت: لا. قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم. قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قال قلت تكون الحرب بيننا وبينه سجالاً يصيب منا ونصيب منه. قال: فهل يغدر؟ قلت: لا. ونحن منه في مدة لا ندري ما هو صانع فيها. قال: فوالله ما أمكنني من كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه)[1].

قال: فهل قال هذا القول أحد قبله؟ قال قلت: لا قال لترجمانه: قل له: إني سألتك عن حسبه فزعمت أنه فيكم ذو حسب وكذلك الرسل تبعث في أحساب قومها. وسألتك هل في آبائه ملك؟ فزعمت أن لا. فقلت: لو كان من آبائه ملك قلت رجل يطلب ملك آبائه وسألتك عن أتباعه، أضعفاؤهم أم أشرافهم؟ فقلت بل ضعفاؤهم وهم أتباع الرسل. وسألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب من قبل أن يقول ما قال؟ فزعمت أن لا، فقد عرفت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ثم يذهب فيكذب على الله. وسألتك هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخله سخطه له؟ فزعمت أن لا وكذلك الإيمان إذا خالط بشاشة القلوب. وسألتك: هل يزيدون أم ينقصون؟ فزعمت أنهم يزيدون وكذلك الإيمان حتى يتم. وسألتك هل قاتلتموه؟ فزعمت أنكم قد قاتلتموه. فتكون الحرب بينكم وبينه سجالاً ينال منكم وتنالون منه. وكذلك الرسل تبتلى ثم تكون لهم العاقبة. وسألتك: هل يغدر؟ فزعمت أنه لا يغدر؟ وكذلك الرسل لا تغدر وسألتك: هل قال هذا القول أحد قبله؟ فزعمت أن لا. فقلت: لو قال هذا القول أحد قبله. قلت رجل ائتم بقول قبله. قال: ثم قال: بم يأمركم؟ قلت: يأمرنا بالصلاة والزكاة والصلة والعفاف. قال: إن يكن ما تقول فيه حقاً فإنه نبي وقد كنت أعلم أنه خارج، ولم أكن أظنه منكم ولو أني أعلم أني أخلص إليه لأحببت لقاءه ولو كنت

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب كتاب النبي (76/ 1773).

عنده لغسلت عن قدميه. وليبلغن ملكه ما تحت قدمي)[1]. قال: ثم دعا بكتاب رسول الله عليه الصلاة والسلام فقرأه فإذا فيه (بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم. سلام على من اتبع الهدى أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام. أسلم تسلم. وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين. وإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: 64].

فلما فرغ من قراءة الكتاب ارتفعت الأصوات عنده وكثر الغلط وأمر بنا فأخرجنا قال: فقلت لأصحابي حين خرجنا: لقد أمر أمرُ بن أبي كبشة. أنه يخافه ملك بني الأصفر. قال: فما زلت موقناً بأمر رسول الله عليه الصلاة والسلام أنه سيظهر حتى أدخل الله عليَّ الإسلام)[2].

أما الإمام البخاري (رَحِمَهُ ٱللَّهُ) فلقد عرض موضوع مراسلات الرسول عليه الصلاة والسلام مع الملوك والأمراء الذين عاصروا دولته بالعديد من الروايات إلا أنها كانت مختصرة ما عدا روايتين عرضها بشكل مطول ففي الباب السادس في صحيحه عرض هذه المراسلات بشكل مطول وتكاد تشابه رواية مسلم (رَحِمَهُ ٱللَّهُ) مما يدل على أن شيوخ الإمام مسلم نقلوا رواية الإمام البخاري كما هي ومن دون أية إضافة عليها مما يدل على قوتها عندهم ففي هذا الباب يحدثنا الإمام البخاري (رَحِمَهُ ٱللَّهُ) فيقول: حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع قال: أخبرنا شعيب عن الزهري قال: أخبرني عبيد الله بن عقبة بن مسعود: إن عبد الله بن عباس أخبره: أن أبا سفيان بن حرب أخبره: أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش وكانوا تجاراً بالشام في المدة التي كان رسول الله عليه الصلاة والسلام ماد فيها أبا سفيان وكفار قريش فأتوه وهم بإيلياء فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم. ثم دعاهم ودعا بترجمانه: فقال: أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان: فقلت أنا أقربهم نسباً.

---

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب كتاب النبي (74/ 1773).

(2) أخرجه الإمام مسلم في كتاب النبي (ﷺ) إلى هرقل (74/ 1773).

فقال: أدنوه مني. وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره. ثم قال لترجمانه: قل لهم إني سائل هذا عن هذا الرجل. فإن كذبني فكذبوه فوالله لولا الحياء من أن يؤثروا عليَّ كذباً لكذبت عنه ثم كان أول ما سألني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب. قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ قلت: لا. قال: فهل كان من آبائه من ملك؟

قلت: لا. قال: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ فقلت: بل ضعفاؤهم قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون. قال: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا. قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا. قال: فهل يغدر؟ قلت: لا ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها. قال: ولم تمكني كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة. قال: فهل قاتلتموه؟ قلت نعم. قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قلت: الحرب بيننا وبينه سجال ينال منا وننال منه. قال: ماذا يأمركم؟ قلت: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والزكاة والصدق والعفاف والصلة.

فقال للترجمان: قل له: سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب. فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها. وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول، فذكرت أن لا. قلت: فلو كان من أبائه من ملك. قلت رجل يطلب ملك أبيه. وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال: فذكرت أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله. وسألتك أشراف الناس أتبعوه أم ضعفاءهم. فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه. وهم أتباع الرسل. وسألتك أيزيدون أم ينقصون. فذكرت أنهم يزيدون وكذلك أمر الإيمان حتى يتم. وسألتك أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه، فذكرت أن لا. وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب وسألتك هل يغدر، فذكرت أن لا. وكذلك الرسل لا تغدر. وسألتك بما يأمركم. فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وينهاكم عن عبادة الأوثان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف. فإن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين وقد كنت أعلم أنه خارج. لم أكن أظن أنه منكم. فلو أني أعلم أني

أخلص إليه لتجشمت لقاءه ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه[1].

ثم دعا بكتاب رسول الله عليه الصلاة والسلام الذي بعث به دحية إلى عظيم بصرى فدفعه إلى هرقل. فقرأه فإذا فيه: (بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم: سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام. أسلم تسلم. يؤتك الله أجرك مرتين. فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين و﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: 64].

ويستكمل البخاري حديثه عن هذه المراسلة فيقول: قال أبو سفيان: فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصخب وارتفعت الأصوات وأخرجنا فقلت لأصحابي حين أخرجنا: لقد أمر أمر ابن أبي كبشة أنه يخافه ملك بني الأصفر. فما زلت موقناً أنه سيظهر حتى أدخل الله عليَّ الإسلام)[2].

وفي مقطع أخير للإمام البخاري حول هذه المسألة يحدثنا فيقول: وكان بن الناطور: صاحب إيلياء وهرقل. سقفاً على نصارى الشام. يحدث أن هرقل حين قدم إيلياء أصبح يوماً خبيث النفس. فقال بعض بطارقته: قد استنكرنا هيئتك. قال ابن الناطور: وكان هرقل حزّاء ينظر في النجوم. فقال لهم حين سألوه: إني رأيت الليلة حين نظرت في النجوم ملك الختان قد ظهر. فمن يختتن من هذه الأمة؟ قالوا: ليس يختتن إلا اليهود. فلا يهمنك شأنهم واكتب إلى مدائن ملكك فيقتلوا من فيهم من اليهود)[3]. فبينما هم على أمرهم أتى هرقل برجل أرسل به ملك غسان يخبر عن خبر رسول الله عليه الصلاة والسلام فلما استخبره هرقل قال: اذهبوا فانظروا أمختتن هو أم لا؟ فنظروا إليه فحدثوه أنه مختتن وسأله عن العرب. فقال: هم يختتنون. فقال هرقل: هذا ملك هذه الأمة قد ظهر)[4] ثم كتب

---

(1) أخرجه الإمام البخاري في كتاب الوحي باب (7).
(2) أخرجه الإمام البخاري في كتاب الوحي، المكان نفسه.
(3) أخرجه الإمام البخاري في كتاب الوحي باب 6 (7).
(4) أخرجه الإمام البخاري في كتاب الوحي، المكان نفسه.

هرقل إلى صاحب له برومية. وكان نظيره في العلم، وسار هرقل إلى حمص. فلم يرم حمص حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأي هرقل على خروج النبي عليه الصلاة والسلام وأنه نبي فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة له بحمص. ثم أمر بأبوابها فغلقت، ثم اطلع فقال: يا معشر الروم. هل لكم في الفلاح والرشد. وإن يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي؟ فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد غلقت. فلما رأى هرقل نفرتهم وأيس من الإيمان. قال: ردوهم عليَّ. وقال: إني قلت مقالتي آنفاً أختبر بها شدتكم على دينكم. فقد رأيت فسجدوا له ورضوا عنه فكان ذلك آخر شأن هرقل[1]. رواه صالح بن كيسان ومعمر عن الزهري.

وأما ما ذكره أصحاب المغازي والسير عن المراسلات التي بعث بها النبي عليه الصلاة والسلام إلى الملوك الأعاجم والأمراء والشيوخ العرب من الذين عاصروه من المدينة مركز دولته نجد أن جميع المصادر التاريخية تتفق على أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قد بدأ بعد صلح الحديبية في توجيه الرسائل لحكام البلاد المجاورين له يدعوهم فيها إلى الدخول في الإسلام، لا سيما بعد نجاحه في تحييد قريش والتفرغ لنشر دعوة التوحيد في عموم الجزيرة العربية.

وقد اختلفت المصادر التاريخية لا سيما منها كتب السير والمغازي في ذكر هذه المراسلات فمنها كانت قد ذكرتها بشكل مختصر ومنها أسهبت في عرضها.

ولما كان منهج هذه الدراسة هو ذكر أحداث السيرة النبوية كما ذكرتها كتب الصحاح، ثم المغازي والسير ثم بيان أوجه التشابه والاختلاف. وقد وجدنا أن أصحاب الصحاح قد ذكروها بشكل طيب ودقيق. إلا أننا نجدهم اتفقوا على أنها كانت بعد الحديبية وأنها استمرت لعدة سنوات وبشكل مستمر.

بداية نجد أن ابن إسحاق في مصنفه السير والمغازي يحدثنا فيقول: (إن الرسول عليه الصلاة والسلام خرج على أصحابه ذات يوم بعد عمرته التي صد عنها يوم الحديبية فقال: أيها الناس إن الله قد بعثني رحمة وكافة فبعث رسول الله

(1) أخرجه الإمام البخاري في كتاب الوحي، المكان نفسه.

عليه الصلاة والسلام رسلاً من أصحابه وكتب معهم كتباً إلى الملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام فبعث دحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر ملك الروم وبعث عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى، ملك فارس. وبعث عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك الحبشة وبعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس ملك الإسكندرية. وبعث عمرو بن العاص السهمي إلى جيفر وعياذ ابني الجلندي الأزديين ملكي عمان. وبعث سليط بن عمرو أحد بني عامر بن لؤي إلى ثمامة بن أثال وهوذة بن عليّ الحنفيين ملكي اليمامة. وبعث العلاء الحضرمي إلى المنذر بن ساوي العيدي. ملك البحرين وبعث شجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شمر الغساني. ملك تخوم الشام[1]. وذكر بن سعد في طبقاته أن هؤلاء الستة خرجوا في يوم واحد وذلك في المحرم سنة سبع هجرية[2]. في حين ذكر الطبري رواية ثابتة لابن إسحاق يقول فيها (إن الرسول عليه الصلاة والسلام كان قد فرق رجالاً من أصحابه إلى ملوك العرب والعجم دعاة إلى الله ﷻ فيما بين الحديبية ووفاته[3].

ويحدثنا البلاذري فيقول: وبعث رسول الله عليه الصلاة والسلام حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس. وشجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي يشمر. ودحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر. وسليط بن عمرو العامري إلى هوذة الحنفي. وعبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى. وعمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي وذلك في سنة سبع وهو أثبت من قول من قال في سنة ست[4].

في حين ذكرها العلامة بن قيم الجوزي في كتابه زاد المعاد بشكل مطول وسليم حيث غطى تلك المراسلات بكل تفاصيلها ويحدثنا بقوله عنها: لما رجع من الحديبية كتب إلى ملوك الأرض وأرسل إليهم رسله فكتب إلى ملك الروم فقيل له إنهم لايقرؤون كتاباً إلا إذا كان مختوماً فاتخذ خاتماً من فضة ونقش ثلاثة

---

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، 2/ 606-607، (مطبعة مصطفى البابي الحلبي 1955).

(2) ينظر ابن سعد، الطبقات، 1/ 258، (بيروت: 1960-1966).

(3) نقلاً عن الطبري، تاريخ الرسل، 2/ 645 (مصر: 1967).

(4) البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف، تحقيق: د محمد حميد الله، د1 ط (مصر: 1958) 1/ 530-531.

أسطر، محمد سطر، ورسول سطر، والله سطر، وختم به الكتب إلى الملوك[1].
وبعث ستة نفر في يوم واحد في المحرم سنة سبع فأولهم عمرو بن أمية الضمري بعثه إلى النجاشي واسمه أصحمة بن الجبر وتفسير أصحمة بالعربية عطية فعظم كتاب النبي عليه الصلاة والسلام ثم أسلم وشهد شهادة الحق وكان من أعلم الناس بالإنجيل وصلى عليه النبي عليه الصلاة والسلام يوم مات بالمدينة وهو بالحبشة هكذا قال جماعة منهم الواقدي وغيره وليس كما قال هؤلاء فإن أصحمة النجاشي الذي صلى عليه رسول الله عليه الصلاة والسلام ليس هو الذي كتب إليه وهو الثاني ولا يعرف إسلامه بخلاف الأول فإنه مات مسلماً وقد روى مسلم في صحيحه من حديث قتادة عن أنس قال كتب رسول الله عليه الصلاة والسلام إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي وليس بالنجاشي الذي صلى عليه رسول الله عليه الصلاة والسلام وقال أبو محمد بن حزم إن هذا النجاشي الذي بعث إليه رسول الله عمرو بن أمية الضمري لم يسلم والأول هو اختيار بني سعد وغيره والظاهر قول بن حزم[2].

وبعث دحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر ملك الروم واسمه هرقل وهم بالإسلام وكاد ولم يفعل وقيل بل أسلم وليس بشيء. وقد روى أبو حاتم وابن حيان في صحيحه عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: من ينطلق بصحيفتي هذه إلى قيصر وله الجنة؟ فقال رجل من القوم: وإن لم يقبل؟ قال: وإن لم يقبل. فوافق قيصر وهو يأتي بيت المقدس فرمى بالكتاب على البساط وتنحى فنادى قيصر من صاحب الكتاب فهو آمن قال: أنا قال: فإذا قدمت فائتني فلما قدم أتاه فأمر قيصر بأبواب قصره فغلقت ثم أمر منادياً ينادي ألا إن قيصر قد اتبع محمداً وترك النصرانية فأقبل جنده وقد تسلحوا فقال لرسول الله عليه الصلاة والسلام قد ترى أني خائف على مملكتي ثم أمر مناديه فنادى ألا إن قيصر قد رضي عنكم وكتب إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام إني مسلم وبعث إليه بدنانير فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام: كذب عدو الله

---

(1) ابن القيم الجوزي، أبو عبد الله، زاد المعاد في هدي خير العباد، صححها الشيخ حسن محمد المسعودي، ط1 (القاهرة: 1347هـ/ 1928م/ 1/ 30-31.

(2) ابن القيم الجوزي، زاد المعاد، 1/ 30-31.

ليس بمسلم وهو على النصرانية وقسم الدنانير وبعث عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى واسمه أبرويز بن هرمز بن أنو شروان فمزق كتاب النبي عليه الصلاة والسلام فقال النبي عليه الصلاة والسلام مزق الله ملكه فمزق الله ملكه وملك قومه.

وبعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس واسمه بن مينا ملك الإسكندرية عظيم القبط فقال خيراً وقارب الأمر ولم يسلم وأهدى للنبي عليه الصلاة والسلام مارية وأختها سيرين. فتسرى مارية ووهب سيرين لحسان بن ثابت وأهدى له جارية أخرى وألف مثقال ذهباً وعشرين ثوباً من قباطي مصر وبغلة شهباء[1]. وهي دلدل وحمار أشهب وهو عفير وغلام خصي يقال له مابور وقيل هو بن عم مارية وفرس وهو للزاز وقدح من زجاج وعسل فقال النبي عليه الصلاة والسلام: ضن الخبيث بملكه ولا بقاء لملكه.

وبعث شجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ملك البلقاء قاله ابن إسحاق والواقدي قبل إنما توجه لجبلة بن الأيهم وقيل توجه لهما معاً وقيل توجه لهرقل مع دحية بن خليفة الكلبي والله أعلم.

وبعث سليط بن عمرو إلى هوذة بن عليٍّ الحنفي باليمامة فأكرمه وقيل بعثه إلى هوذة وإلى ثمامة بن أثال الحنفي فلم يسلم ثمامة بعد ذلك فهؤلاء الستة قيل هم الذين بعثهم رسول الله عليه الصلاة والسلام في يوم واحد.

وبعث عمرو بن العاص في ذي القعدة سنة ثمان إلى جيفر وعبد الله ابني الجلندي الأزديين بعمان فأسلما وصدقا وخليا بين عمرو وبين الصدقة والحكم فيما بينهم فلم يزل فيما بينهم حتى بلغته وفاة النبي عليه الصلاة والسلام[2].

وبعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى العبدي ملك البحرين قبل منصرفه من الجعرانة وقيل قبل الفتح فأسلم وصدق.

وبعث المهاجر بن أبي أمية المخزومي إلى الحرث بن عبد كلال الحميري باليمن فقال سأنظر في أمري.

---

(1) ابن القيم الجوزي، المكان نفسه.

(2) ينظر ابن القيم الجوزي، المكان نفسه.

وبعث أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل إلى اليمن عند انصرافه من تبوك وقيل بل سنة عشر من ربيع الأول داعيين إلى الإسلام فأسلم عامة أهلها طوعاً من غير قتال.

ثم بعث بعد ذلك عليَّ بن أبي طالب إليهم ووافاه مكة في حجة الوداع.

وبعث جرير بن عبد الله البجلي إلى ذي الكلاع الحميري وذي عمرو يدعوهما إلى الإسلام فأسلما وتوفي رسول الله عليه الصلاة والسلام وجرير عندهم.

وبعث عمرو بن أمية الضمري إلى مسيلمة الكذاب بكتاب وكتب إليه بكتاب آخر مع السائب بن العوام أخي الزبير فلم يسلم.

وبعث إلى فروة بن عمرو الجذامي يدعوه إلى الإسلام وقيل لم يبعث إليه. وكان فروة عاملاً لقيصر بمعانٍ فأسلم وكتب إلى النبي عليه الصلاة والسلام بإسلامه وبعث إليه هديه مع مسعود بن سعد بغلة شهباء يقال لها فضة وفرساً يقال له الضرب وحماراً يقال له يعفور كذا قاله جماعة والظاهر والله أعلم أنه عفير ويعفور واحد عفير تصغير يعفور تصغير الترخيم وبعث أثواباً وقباء سندس مخوص بالذهب فقبل هديته ووهب لمسعود بن سعد اثنتي عشرة أوقية ونشا[1].

وبعث عياش بن أبي ربيعة المخزومي بكتاب إلى الحارث ومسروح ونعيم بن عبد كلال من حمير[2].

مما سبق عرضه فيما يتعلق بالمراسلات التي أمر بها رسول الله عليه الصلاة والسلام لإعلام الملوك والحكام العرب والأعاجم بضرورة الدخول بالإسلام وجدنا أن أصحاب الصحاح كانت أخبارهم مختصرة ودقيقة جداً وهم لا يميلون إلى الإطالة ما عدا تلك الرواية التي ذكروا بها لقاء أبي سفيان مع هرقل ملك الروم في حين نجد أن أصحاب السير والمغازي يميلون دائماً إلى الإطالة وتنويع رواياتهم. إلا أنها في غالب الأحيان لا تتناقض مع ما يقدمه أصحاب الصحاح والسنن مما يدل على عظمة العطاء الحضاري للأمة الإسلامية.

---

(1) ينظر ابن القيم، المكان نفسه.
(2) ينظر ابن القيم، المكان نفسه.

ما جاء في باب غزوة مؤتة

ومن الأحداث المهمة في السيرة النبوية والتي تناولتها كتب الصحاح وكتب السير والمغازي غزوة مؤتة والتي ذكرها الجميع ما بين أحداث عمرة القضاء وفتح مكة وإن الإمام مسلم ذكرها في صحيحه في باب التشديد في النياحة بشكل مختصر ولغرض فقهي صرف يقول وحدثنا بن المثنى و بن أبي عمر قال ابن المثنى. حدثنا عبد الوهاب قال: سمعت يحيى بن سعيد يقول: أخبرتني عمرة: أنها سمعت عائشة تقول: لما جاء رسول الله عليه الصلاة والسلام قتل بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة. جلس رسول الله عليه الصلاة والسلام يعرف فيه الحزن. قالت: وأنا أنظر من صائر الباب (شق الباب) فأتاه رجل فقال: يا رسول الله إن نساء جعفر وذكر بكاءهن. فأمره أن يذهب فينهاهن. فذهب فأتاه فذكر أنهن لم يطعنه فأمره الثانية أن يذهب فينهاهن. فذهب. ثم أتاه فقال: والله لقد غلبتنا يا رسول الله! قالت فزعمت أن رسول الله قال: ((اذهب فاحث في أفواههن من التراب))، قالت: عائشة فقلت: أرغم الله أنفك والله! ما تفعل ما أمرك رسول الله عليه الصلاة والسلام وتركت رسول الله عليه الصلاة والسلام من العناء)[1].

وعند الإمام البخاري نجد أنه أفرد باباً لغزوة مؤتة وحددها في جمادى الأولى من سنة ثمان للهجرة وهي عنده قبل فتح مكة بعدة أشهر.

يستهل الإمام البخاري (رحمه الله) حديثه بالقول حدثنا أحمد: حدثنا بن وهب عن عمرو عن بن أبي هلال قال: وأخبرني نافع: أن بن عمر أخبره: أنه وقف على جعفر يومئذ وهو قتيل. فعددت به خمسين بين طعنة وضربة ليس فيها شيء في دبره يعني ظهره[2].

وفي مقطع آخر يحدثنا فيقول: أخبرنا أحمد بن أبي بكر. حدثنا مغيرة بن عبد الرحمن. عن عبد الله بن سعيد. عن نافع، عن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) قال:

---

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب التشديد (30/ 935).

(2) أخرجه الإمام البخاري في باب غزوة مؤتة (4260).

أمر رسول الله عليه الصلاة والسلام في غزوة مؤتة زيد بن حارثة فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام إن قتل زيد فجعفر وإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة قال: عبد الله: كنت فيهم في تلك الغزوة فالتمسنا جعفر بن أبي طالب فوجدناه في القتلى ووجدنا ما في جسده بضعةً وتسعين من طعنة ورمية)[1].

وفي رواية أخرى يقول الإمام البخاري: حدثنا أحمد بن واقد: حدثنا حماد ابن زيد عن أيوب عن حميد بن هلال عن أنس(رضي الله عنه) أن النبي عليه الصلاة والسلام نعى زيداً وجعفراً وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم. فقال (أخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذ جعفر فأصيب ثم أخذ بن رواحة فأصيب وعيناه تذرفان حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله، حتى فتح الله عليهم)[2].

وفي مقطع آخر يستكمل الإمام أحداث هذه الغزوة فيقول: حدثنا أبو نعيم: حدثنا سفيان عن إسماعيل عن قيس بن أبي حازم قال: سمعت خالد بن الوليد يقول: (لقد انقطعت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف. فما بقي في يدي إلا صفيحة يمانية)[3]. ويضيف الإمام محدثاً: وحدثني عمران بن ميسرة: حدثنا محمد بن فضيل عن حصين عن عامر عن النعمان بن بشير(رضي الله عنهما) قال: أغمي على عبد الله ابن رواحة فجعلت أخته عمرة تبكي، وا جبلاه واكذا واكذا تعدد عليه فقال حين أفاق: ما قلت شيئاً إلا قيل لي أنت كذلك.. فلما مات لم تبك عليه)[4].

وفي رواية مختصرة يقول الإمام البخاري: حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا أيوب عن حميد بن هلال عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: قال النبي عليه الصلاة والسلام: (أخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذها جعفر فأصيب ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب وإن عيني رسول الله عليه الصلاة والسلام لتذرفان ثم أخذها خالد بن الوليد من غير أمرة ففتح له)[5].

---

(1) أخرجه الإمام البخاري في باب غزوة مؤتة (4261).

(2) أخرجه الإمام البخاري في باب غزوة مؤتة (4262).

(3) أخرجه الإمام البخاري في باب غزوة مؤتة (4265).

(4) أخرجه الإمام البخاري في باب غزوة مؤتة (4267-4268).

(5) أخرجه الإمام البخاري في باب الرجل ينعى (1246) وينظر (2798، 3063، 363، 3757).

مما سبق عرضه عن أحوال غزوة مؤتة عند أهل السنن (الحديث) وجدنا بأن الإمام مسلم (رَحِمَهُ ٱللَّهُ) ذكرها بشكل مختصر في حين ذكرها الإمام البخاري (رَحِمَهُ ٱللَّهُ) بشكل موسع وأحاط بها من كل جانب وقدمها بالعديد من الأبواب الفقهية. وكان التركيز عنده على استشهاد جميع الأمراء لهذه الغزوة وتأمير خالد بن الوليد (رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ) لنفسه.

في حين نجد أن ابن إسحاق وهو شيخ المؤرخين يعرضها بشكل أوسع وأكثر تركيزاً على الأحداث التعبوية والسوقية ذات العلاقة بالنواحي العسكرية يبدأ حديثه بالقول(ذكر غزوة مؤتة في جمادى الأولى سنة ثمان، ومقتل جعفر وزيد وعبد الله بن رواحة)[1]. ثم يقول: فأقام بها بقية ذي الحجة (يعني رسول الله عليه الصلاة والسلام بعد عودته من عمرة القضاء) وولى تلك الحجة المشركون والمحرم وصفراً، وشهري ربيع وبعث في جمادى الأولى بعثة إلى الشام الذين أصيبوا بمؤتة)[2].

وفي مقطع يقول ابن إسحاق: حدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة ابن الزبير قال: بعث رسول الله عليه الصلاة والسلام بعثة إلى مؤتة في جمادى الأولى في سنة ثمان واستعمل عليهم زيد بن حارثة وقال: (إن أصيب زيد فجعفر ابن أبي طالب على الناس فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس) فتجهز الناس ثم تهيؤوا للخروج وهم ثلاثة آلاف فلما حضر خروجهم ودع الناس أمراء رسول الله عليه الصلاة والسلام وسلموا عليهم. فلما ودع عبد الله بن رواحة مع من ودع من أمراء رسول الله بكى. فقالوا: ما يبكيك يا ابن رواحة؟ فقال: ما والله ما بي حب الدنيا ولا صبابة بكم، ولكني سمعت رسول الله عليه الصلاة والسلام يقرأ آية من كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ يتذكر فيها النار: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝٧١﴾[3] [مريم: 71]. فلست أدري كيف لي بالصدر بعد الورد. فقال المسلمون: صحبكم الله ودفع عنكم وردكم إلينا صالحين.

---

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 427-428.
(2) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.
(3) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 428.

فقال عبد الله بن رواحة:

لكنّني أسأل الرحمن مَغفِرةً   وضربة ذَاتَ فَرغٍ تقذَف الزَّبدا[1]

وخرج رسول الله عليه الصلاة والسلام يتبعهم حتى إذا ودعهم وانصرف عنهم قال عبد الله بن رواحة:

خَلَفَ السَّلامَ علَى امرِئ ودَّعتهُ   في النَّخلِ خَيرِ مُشيَّعٍ وخَلِيلِ[2]

ثم مضوا حتى نزلوا معان من أرض الشام فبلغ الناس أن هرقل قد نزل مأب من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم وانضم إليهم من لخم وجذام واليقين وبهراء وبلى مائة ألف عليهم رجل من بلى ثم أحد إراشة يقال له: مالك بن زافلة. فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين يفكرون في أمرهم وقالوا: نكتب إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام فنخبره بعدد عدونا، فإما أن يمدنا بالرجال، وإما أن يأمرنا بأمره فنمضي له، قال فشجع الناس عبد الله بن رواحة وقال: يا قوم والله إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون الشهادة وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ولا نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين إما ظهور وإما شهادة. قال: فقال الناس: قد والله صدق بن رواحة فمضى الناس)[3]. حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها مشارف ثم دنا العدو وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مؤتة. فالتقى الناس عندها فتعبأ لهم المسلمون فجعلوا على ميمنتهم رجلاً من بني عذرة يقال له: قطبة بن قتادة وعلى ميسرتهم رجلاً من الأنصار يقال له: عباية بن مالك... ثم التقى الناس واقتتلوا فقاتل زيد ابن حارثة براية رسول الله عليه الصلاة والسلام حتى شاط في رماح القوم ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى إذا ألحمه القتال اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها. ثم قاتل القوم حتى قتل، فكان جعفر أول رجل من المسلمين عقر في الإسلام)[4].

---

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.

(2) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.

(3) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 430.

(4) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 433.

ويضيف بن هشام على ما ذكره ابن إسحاق فيقول: وحدثني من أثق به من أهل العلم أن جعفر بن أبي طالب أخذ اللواء بيمينه فقطعت، فأخذه بشماله فقطعت، فاحتضنه بعضديه حتى قتل (رضي الله عنه) وهو بن ثلاث وثلاثين سنة فأثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث شاء. ويقال: إن رجلاً من الروم ضربه يومئذ ضربة فقطعه نصفين)[1].

ويستكمل ابن إسحاق عرضه لما حدث يوم مؤتة فيقول: فلما قتل جعفر أخذ عبد الله بن رواحة الراية، ثم تقدم بها. وهو على فرسه فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد وأخذ ينشد

يَا نَفسُ إلَّا تقتَلي تَموتي   هَذا حمام المَوتِ قَد صَليت
وَمَا تَمَنَّيتِ فَقَد أُعطيتِ   إن تَفعَلي فِعلُهما هُدِيتِ[2].

يريد صاحبيه زيداً وجعفراً. ثم نزل فلما نزل أتاه بن عم له بعرق من لحم فقال: شد بهذا صلبك، فإنك قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت فأخذه من يده. ثم انتهس منه نهسة ثم سمع الحطمة في ناحية الناس. فقال: وأنت في الدنيا. ثم ألقاه من يده ثم أخذ سيفه فتقدم فقاتل حتى قتل)[3].

إن ما يميز أصحاب المغازي والسير هو عرضهم لمادتهم التاريخية بشكل طيب وينقلون الأحداث كأنك تعيش معهم فهم يتعايشون مع حقيقة الحدث.

يقول ابن إسحاق: ثم أخذ الراية ثابت بن أرقم أخو بني العجلان فقال: يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم. قالوا: أنت قال: ما أنا بفاعل فاصطلح الناس على خالد بن الوليد. فلما أخذ الراية دافع القوم وحاشى بهم، ثم انحاز وانحيز عنه حتى انصرف الناس[4]. ولما أصيب القوم قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: (أخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قتل شهيداً ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى قتل شهيداً) قال: ثم صمت رسول الله عليه الصلاة والسلام

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 434.
(2) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 435.
(3) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.
(4) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 435.

حتى تغيرت وجوه الأنصار وظنوا أنه كان في عبد الله بن رواحة بعض ما يكرهون ثم قال: (ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قتل شهيداً، ثم قال: (لقد رفعوا إليّ في الجنة فيما يرى النائم على سرر من ذهب فرأيت في سرير عبد الله ابن رواحة ازوراراً عن سريري صاحبيه فقلت عم هذا؟ فقيل لي: مضيا وتردد عبد الله بعض التردد ثم مضى)[1].

ويضيف ابن إسحاق محدثاً فيقول: فحدثني عبد الله بن أبي بكر عن أم عيسى الخزاعية عن أم جعفر بنت محمد بن جعفر بن أبي طالب عن جدتها أسماء بنت عميس قالت: لما أصيب جعفر وأصحابه دخل عليَّ رسول الله عليه الصلاة والسلام وقد دبغت أربعين مناً.. وعجنت عجيني وغسلت بني ودهنتهم ونظفتهم قالت: فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام: (ائتني ببني جعفر قالت: فأتيته بهم، فتشممهم وذرفت عيناه. فقلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي ما يبكيك أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء؟ قال: (أصيبوا هذا اليوم)[2].

ويقول ابن إسحاق وبشكل مختصر: وحدثني عبد الرحمن بن القاسم بن محمد عن أبيه عن عائشة زوج النبي عليه الصلاة والسلام قالت: لما أتى نعي جعفر عرفنا في وجه الرسول عليه الصلاة والسلام الحزن قالت: فدخل عليه رجل فقال: يا رسول الله إن النساء عنيننا وفتننا، قال: (فارجع إليهن فأسكتهن) قالت: فذهب ثم رجع فقال له مثل ذلك. قال: تقول: وربما ضر التكلف أهله قالت: قال: (فاذهب فأسكتهن فإن أبين فاحث في أفواههن التراب) قالت: وقلت في نفسي: أبعدك الله والله ما تركت نفسك وما أنت بمطيع رسول الله عليه الصلاة والسلام قالت: وعرفت أنه لا يقدر على أن يحث في أفواههن التراب)[3].

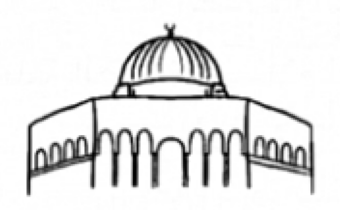
ويختتم ابن إسحاق عن غزوة مؤتة والتي غطاها بشكل طيب ونحن هنا نقول لا تستقيم روايات أصحاب المغازي والسير بدون روايات أصحاب الصحاح

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 436.
(2) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 436.
(3) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 437.

والسنن فأصحاب السنن هم القائمون على توثيق روايات أصحاب المغازي فجزى الله الجميع خيراً. لما بذلوه من جهد في تدوين أحداث السيرة النبوية.

ويقول ابن إسحاق: فحدثني جعفر بن الزبير: عن عروة بن الزبير قال: فلما دنوا من حول المدينة تلقاهم رسول الله عليه الصلاة والسلام والمسلمون. قال: ولقيهم الصبيان يشتدون ورسول الله عليه الصلاة والسلام مقبل مع القوم على دابة فقال: (خذوا الصبيان فاحملوهم وأعطوني بن جعفر) فأتي بعبد الله فأخذه فحمله بين يديه. قال: (وجعل الناس يحثون على الجيش التراب ويقولون: يا فرار فررتم في سبيل الله!! قال: فيقول رسول الله عليه الصلاة والسلام: (ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء الله تعالى)[1].

ويقدم ابن إسحاق قائمة باسماء من استشهد يوم مؤتة باسمائهم وعشائرهم. فمن المهاجرين أربعة[2]. ومن الأنصار سبعة مع أسمائهم وعشائرهم[3].



اللهم نجِّ المستضعفين من المؤمنين في
كل مكان ، اللهم الطف بِ أمة نبيِّك
محمد ﷺ وارحمها وفرِّج كربتها

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 438.
(2) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 447.
(3) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.



ما جاء في باب فتح مكة

إن من الأحداث البالغة الأهمية في السيرة النبوية هي فتح مكة تلك المدينة التي أحبها رسول الله عليه الصلاة والسلام إلا أن أهلها أجبروه على الخروج منها كرهاً وهو اليوم يدخلها منتصراً رافع راية التوحيد وأنهى ما أحدث فيها المشركون من شرك ووثنية على مدى عهود مضت وعليه نجد أن أصحاب الصحاح والسنن وأصحاب السير والمغازي وقفوا عند هذا الحدث الجلل وقفة متأملة مستعرضين أهم الأحداث التي وقعت فيها. منها الفتح وإزالة الأصنام وتحقيق التوحيد الذي نشأت عليه في عهد سيدنا إبراهيم وابنه عليهما الصلاة والسلام.

ذكر الإمام مسلم (رَحِمَهُ اللهُ) أحداث فتح مكة تحت باب فتح مكة ضمن كتاب الجهاد والسير يقول: حدثني عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي حدثنا يحيى بن حسان، حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا ثابت عن عبد الله بن رباح قال:

وفدنا إلى معاوية بن أبي سفيان وفينا أبو هريرة فكان كل رجل منا يصنع طعاماً يوماً لأصحابه، فكانت نوبتي. فقلت: يا أبا هريرة اليوم نوبتي فجاؤوا إلى المنزل. ولم يدرك طعامنا، فقلت: يا أبا هريرة: لو حدثتنا عن رسول الله عليه الصلاة والسلام حتى يدرك طعامنا. فقال: كنا مع رسول الله عليه الصلاة والسلام يوم الفتح. فجعل خالد بن الوليد على المجنبة اليمنى وجعل الزبير على المجنبة اليسرى. وجعل أبا عبيدة على البياذقة وبطن الوادي[1]. فقال: (يا أبا هريرة: أدع لي الأنصار) فدعوتهم فجاؤوا يهرولون فقال: يا معشر الأنصار، هل ترون أوباش قريش) قالوا: نعم قال: (أنظروا إذا لقيتموهم غداً أن تحصدوهم حصداً) وأخفى بيده ووضع يمينه على شماله. وقال: (موعدكم الصفا) قال: فما أشرف يومئذ لهم أحد إلا أناموه. قال: وصعد رسول الله عليه الصلاة والسلام الصفا

(1) أخرجه الإمام مسلم في باب فتح مكة (86/ 1780).

وجاءه الأنصار فأطافوا بالصفا. فجاء أبو سفيان فقال: يا رسول الله أبيدت خضراء قريش. لا قريش بعد اليوم. قال أبو سفيان: قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: (من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن ألقى السلاح فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن) فقالت الأنصار: أما الرجل فقد أخذته رأفة بعشيرته ورغبة في قريته. ونزل الوحي على رسول الله عليه الصلاة والسلام قال: (قلتم: أما الرجل فقد أخذته رأفة بعشيرته ورغبة في قريته. ألا فما اسمي إذا (ثلاث مرات) أنا محمد عبد الله ورسوله. هاجرت إلى مكة وإليكم فالمحيا محياكم والممات مماتكم، قالوا: والله! ما قلنا إن ضناً بالله ورسوله، قال: (فإن الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم)[1].

وفي رواية أخرى مطولة يضيف الإمام مسلم (رحمه الله) إلى ما ذكره آنفاً (قال: فأقبل الناس إلى دار أبي سفيان وأغلق الناس أبوابهم قال: وأقبل رسول الله عليه الصلاة والسلام حتى أقبل إلى الحجر فاستلمه. ثم طاف بالبيت قال: فأتى على صنم إلى جنب البيت كانوا يعبدونه قال وفي يد رسول الله عليه الصلاة والسلام قوس، وهو أخذ بسية القوس، فلما أتى على الصنم جعل يطعنه في عينيه ويقول: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ فلما فرغ من طوافه أتى الصفا فعلا عليه حتى نظر البيت. ورفع يديه فجعل يحمد الله ويدعو بما شاء أن يدعوه)[2].

ما جاء في باب إزالة الأصنام من حول الكعبة

يقول الإمام مسلم (رحمه الله): حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وعمرو الناقد و بن أبي عمر (واللفظ ل بن أبي شيبة) قالوا: حدثنا سفيان بن عيينة عن بن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر: عن عبد الله قال: دخل النبي عليه الصلاة والسلام مكة وحول الكعبة ثلاث مائة وستون نُصباً، فجعل يطعنها بعود كان بيده ويقول: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء: 81]. ثم يقول ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾﴾ [سبأ: 49].

---

(1) أخرجه الإمام مسلم في باب فتح مكة (86/ 1780).

(2) أخرجه الإمام مسلم في باب الفتح، (84/ 1780).

ما جاء في باب: لا يقتل قرشي صبراً بعد الفتح

يقول الإمام مسلم (رحمه الله): حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا عليّ بن مسهر ووكيع عن زكريا عن الشعبي قال: أخبرني عبد الله بن مطيع عن أبيه قال: سمعت النبي عليه الصلاة والسلام يقول: (يوم فتح مكة: لا يقتل قرشي صبراً بعد هذا اليوم إلى يوم القيامة)[1].

وفي رواية أخيرة يقول الإمام مسلم: حدثنا بن نمير حدثنا أبي حدثنا زكريا بهذا الإسناد. وزاد عليه: قال: ولم يكن أسلم أحد من عصاة قريش غير مطيع. كان اسمه العاصي. فسماه رسول الله عليه الصلاة والسلام مطيعاً)[2].

وفي كتاب الحج يحدثنا الإمام مسلم عن الباب الذي دخل منه رسول الله عليه الصلاة والسلام مكة فيقول: وحدثنا أبو كريب حدثنا أبو أسامة عن هشام عن أبيه عن عائشة: أن رسول الله عليه الصلاة والسلام دخل عام الفتح من كداء من أعلى مكة[3].

ومن المسائل المهمة التي ذكرها الإمام مسلم في معرض حديثه عن فتح مكة وأحوالها هو ما ذكره في باب المبايعة بعد فتح مكة على الإسلام والجهاد والخير وبيان معنى(لا هجرة بعد الفتح).

قال الإمام مسلم: (حدثني بن مسعود السلمي: قال: أتيت رسول الله عليه الصلاة والسلام أبايعه على الهجرة. فقال: (الهجرة مضت لأهلها ولكن على الإسلام والجهاد والخير)[4].

مما سبق عرضه نجد أن الإمام مسلم (رحمه الله) قدم لنا عرضاً موفقاً مختصراً عن أحداث فتح مكة وما رافقه من أحداث مهمة مستهلاً حديثه بالفتح ثم منتهياً حديثه بمكانة أهل مكة من قريش عند رسول الله عليه الصلاة والسلام وعند

(1) أخرجه مسلم في صحيحه في باب لا يقتل قرشي (88/ 1782).
(2) أخرجه مسلم في صحيحه في باب لا يقتل قرشي (89/ 1782).
(3) أخرجه مسلم في صحيحه في باب استحباب المبيت (255/ 1257).
(4) أخرجه مسلم في صحيحه في باب المبايعة (83/ 1863).

المسلمين. إن هذه الالتفاتة من الرسول عليه الصلاة والسلام تجاه أهل مكة من قريش استعادت بها قريش مكانتها بين القبائل العربية وحفظ لها رسول الله عليه الصلاة والسلام تلك المكانة العظيمة لمستقبل الأيام.

وأما الإمام البخاري (رَحِمَهُ ٱللَّهُ) فلقد استهل حديثه عن فتح مكة بباب خصه لذلك هو باب غزوة الفتح: وذكر فيه حادثة الصحابي حاطب فيقول وما بعث حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة يخبرهم بغزو النبي عليه الصلاة والسلام، يقول الإمام البخاري: حدثنا قتيبة بن سعيد: حدثنا سفيان، عن عمرو بن دينار قال: أخبرني الحسن بن محمد: أنه سمع عبيد الله بن أبي رافع يقول: سمعت علياً يقول: بعثني رسول الله عليه الصلاة والسلام أنا والزبير والمقداد: فقال: (انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ. فإن بها ضعينة معها كتاب فخذوا منها) قال: فانطلقنا تعادي بنا خيلنا حتى أتينا الروضة. فإذا نحن بالضعينة قلنا لها: أخرجي الكتاب. قالت: ما معي كتاب، فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب. قال: فأخرجته من عقاصها. فأتينا به رسول الله عليه الصلاة والسلام فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس بمكة من المشركين يخبرهم ببعض أمر رسول الله عليه الصلاة والسلام فقال: رسول الله عليه الصلاة والسلام: (يا حاطب ما هذا) قال: يا رسول الله لا تعجل عليَّ. إني كنت امرأً ملصقاً في قريش يقول: كنت حليفاً ولم أكن من أنفسها. وكان من معك من المهاجرين من لهم قرابات يحمون أهلهم وأموالهم. فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يداً يحمون قرابتي. ولم أفعله ارتداداً عن ديني)[1].

ولا رضا بالكفر بعد الإسلام فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام: (أما إنه قد صدقكم) فقال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق. فقال: (إنه قد شهد بدراً وما يدريك لعلّ الله اطلع عن من شهد بدراً فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) فأنزل الله السورة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ

(1) أخرجه الإمام البخاري، باب غزوة الفتح (4274).

﴿أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ①﴾[1] [الممتحنة: 1].

وفي رواية أخرى للإمام البخاري (رحمه الله) حول فتح مكة والتي ذكرها في عدة أبواب منها مطولاً ومختصراً ففي باب غزوة الفتح في رمضان، يقول: حدثنا عبد الله بن يوسف: حدثنا الليث قال حدثني عقيل عن بن شهاب قال: أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة: أن بن عباس أخبره أن رسول الله عليه الصلاة والسلام غزا غزوة الفتح في رمضان[2].

وفي رواية أخرى للإمام البخاري (رحمه الله) يقول حدثني محمود: أخبرنا عبد الرزاق: أخبرنا معمر قال: أخبرني الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله عن بن عباس (رضي الله عنهما) أن النبي عليه الصلاة والسلام خرج في رمضان من المدينة ومعه عشرة آلاف وذلك على رأس ثماني سنين ونصف من مقدمة المدينة. فسار هو ومن معه من المسلمين إلى مكة، يصوم ويصومون حتى بلغ الكديد وهو ماء بين عسفان وقديد أفطر وأفطروا)[3].

ويستمر الإمام البخاري (رحمه الله) بعرض رواياته عن فتح مكة ففي باب: أين ركز النبي عليه الصلاة والسلام الراية يوم الفتح يقول: حدثني عبيد بن إسماعيل: حدثنا أبو أسامة عن هشام، عن أبيه، قال: لما سار الرسول عليه الصلاة والسلام عام الفتح فبلغ ذلك قريشاً. خرج أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء. يلتمسون الخبر عن رسول الله عليه الصلاة والسلام. فأقبلوا يسيرون حتى أتوا من الظهران فإذا هم بنيران فإنها نيران عرفة. فقال أبو سفيان: ما هذه لكأنها نيران عرفة؟ فقال بديل بن روقاء: نيران بني عمرو، فقال أبو سفيان: عمرو أقل من ذلك. فرآهم ناس من حرس رسول الله عليه الصلاة والسلام فأدركوهم فأخذوهم فأتوا بهم رسول الله عليه الصلاة والسلام فأسلم أبو سفيان. فلما سار قال للعباس: (احبس أبا سفيان عند حطم الجبل حتى ينظر إلى المسلمين) فحبسه العباس. فجعلت القبائل تمر مع النبي عليه الصلاة والسلام تمر

(1) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في باب غزوة الفتح (4274)
(2) أخرجه الإمام البخاري في باب غزوة الفتح في رمضان (4275).
(3) أخرجه الإمام البخاري في باب غزوة الفتح في رمضان (4276).

كتيبة كتيبة على أبي سفيان فمرت كتيبة. قال: يا عباس من هذه؟ قال: هذه غفار قال: ما لي ولغفار ثم مرت جهينة قال مثل ذلك. مرت سعد بن هذيم فقال: مثل ذلك ومرت سليم فقال: مثل ذلك، حتى أقبلت كتيبة لم ير مثلها، قال: من هذه؟ قال: هؤلاء الأنصار، عليهم سعد بن عبادة معه الراية. فقال سعد بن عبادة: يا أبا سفيان: اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الكعبة. فقال أبو سفيان: يا عباس حبذا يوم الذمار. ثم جاءت كتيبة وهي أقل الكتائب فيهم رسول الله عليه الصلاة والسلام وأصحابه وراية النبي عليه الصلاة والسلام مع الزبير بن العوام فلما مر رسول الله عليه الصلاة والسلام بأبي سفيان قال: ألم تعلم ما قال: سعد بن عبادة؟ قال: (ما قال) قال: كذا وكذا. فقال: (كذب سعد، ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ويوم تكسى فيه الكعبة) قال وأمر الرسول عليه الصلاة والسلام أن تركز الراية بالحجون)[1].

قال عروة: وأخبرني نافع بن جبير بن مطعم قال: سمعت العباس يقول للزبير بن العوام: يا أبا عبد الله. هاهنا أمرك رسول الله عليه الصلاة والسلام أن تركز الراية. قال: وأمر رسول الله (ﷺ) يومئذ خالد بن الوليد أن يدخل من أعلى مكة من كداء ودخل النبي عليه الصلاة والسلام من كداء فقتل خالد بن الوليد رضي الله عنه يومئذ رجلين: جيش بن الأشعر وكرز بن جابر الفهري)[2].

وفي رواية أخرى يقول الإمام البخاري: حدثنا أبو الوليد. حدثنا شعبة عن معاوية بن قرة قال: سمعت عبد الله بن مغفل يقول: رأيت رسول الله عليه الصلاة والسلام يوم فتح مكة على ناقته وهو يقرأ سورة الفتح)[3].

وفي نفس الباب يحدثنا الإمام البخاري فيقول حدثني إسحاق: حدثنا عبد الصمد قال: حدثني أبي حدثنا أيوب. عن عكرمة عن بن عباس (رضي الله عنهما) أن رسول الله عليه الصلاة والسلام لما قدم مكة. أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة، فأمر بها فأخرجت. فأخرج صورة إبراهيم وإسماعيل في أيديهما من الأزلام

---

(1) أخرجه البخاري في باب أين ركز النبي (4280).

(2) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في باب أين ركز النبي (4280).

(3) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في باب أين ركز النبي (4281).

فقال: النبي عليه الصلاة والسلام قاتلهم الله. لقد علموا ما استقسما بها قط)[1].

وفي رواية أخرى يقول الإمام البخاري حدثنا محمد بن أبي بكر: حدثنا الفضيل بن سليمان: حدثنا عاصم عن أبي عثمان النهدي عن مجاشع بن مسعود: انطلقت بأبي معبد إلى النبي عليه الصلاة والسلام ليبايعه على الهجرة. قال: (مضت الهجرة لأهلها أبايعه على الإسلام والجهاد) فلقيت أبا معبد فسألته. فقال: صدق مجاشع)[2].

وما جاء في باب ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ يحدثنا الإمام البخاري (رحمه الله) فيقول: حدثنا الحميري: حدثنا سفيان عن بن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر، عن عبد الله بن مسعود(رضي الله عنه) قال: دخل النبي عليه الصلاة والسلام مكة وحول البيت ستون وثلاث مائة نصب. فجعل يطعنها بعود في يده[3].

ويقول ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء: 81]، ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾﴾

وإذا ما أردنا أن نقدم ما عرضه ابن إسحاق عن غزوة فتح مكة فإننا سنرى بأنه خص قسماً كبيراً من مصنفه المغازي للحديث عن غزوة الفتح فلقد تحدث عنها بشكل تفصيلي يوحي بأن الرجل كان على دراية كبيرة فيما ينقل ويكتب وهو بذلك يختلف في عرض مادته عن أصحاب السنن الذين تحدثوا عن غزوة الفتح وما رافقها من أحداث باختصار شديد وذكروا كل ما يتعلق بالأحكام الفقهية التي حصلت يومها وهذا يوضح لنا بشكل جلي أن أصحاب السنن والصحاح لهم منهجهم الخاص في عرض مادتهم العلمية لم يتجاوزه. وإن تشابهوا في بعض المفردات مع أصحاب المنهج التأريخي الذين يحاولون عرض مادتهم بشكل كامل وبكل التفاصيل، ومع ذلك نجد أن عرضهم لمادتهم لا يشوبه الملل ولا التناقض بل أحياناً كثيرة يكون بناؤه متماسكاً جيداً محبكاً مما يعطي للحدث متعة

(1) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في باب أين ركز النبي (4288).
(2) أخرجه الإمام البخاري في باب من شهد الصلح (4307-4308).
(3) أخرجه الإمام البخاري في باب جاء الحق وزهق (4720).

للقارئ ففي عرض ابن إسحاق لغزوة الفتح يبدأ حديثه بذكر الأسباب الموجبة للمسير إلى مكة وذكر فتح مكة في شهر رمضان سنة ثمان[1].

ثم يقول: ثم أقام رسول الله عليه الصلاة والسلام بعد بعثه إلى مؤتة جمادى الأخرى ورجباً. ثم إن بني بكر بن عبد مناة بن كنانة عدت على خزاعة وهم على ماء لهم بأسفل مكة يقال له الوتّير[2].

وكان الذي هاج ما بين بني بكر وخزاعة أن رجلاً من بني الحضرمي واسمه مالك بن عباد، وحلف الحضرمي يومئذ إلى الأسود بن رَزن خرج تاجراً فلما توسط أرض خزاعة عدوا عليه فقتلوه، وأخذوا ماله، فعدت بنو بكر على رجل من خزاعة فقتلوه. فعدت خزاعة قبيل الإسلام على بني الأسود بن رَزن الديلي وهم منخر بني كنانة وأشرافهم -سلمى وكلثوم وذؤيب- فقتلوهم بعرفة عند أنصاب الحرم[3].

ويقول ابن إسحاق في مقطع آخر: فبينما بنو بكر وخزاعة على ذلك حجز بينهم الإسلام وتشاغل الناس به. فلما كان صلح الحديبية بين رسول الله عليه الصلاة والسلام وبين قريش فيما شرطوا لرسول الله عليه الصلاة والسلام وشرط لهم[4].

وهنا يؤكد ابن إسحاق روايته ويقول كما حدثني الزهري (شيخ ابن إسحاق) عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم وغيرهم من علمائنا- إنه من أحب أن يدخل في عقد رسول الله عليه الصلاة والسلام عهده فليدخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم فليدخل فيه. فدخلت بنو بكر في عقد قريش وعهدهم ودخلت خزاعة في عقد رسول الله عليه الصلاة والسلام وعهده[5].

ويستكمل ابن إسحاق حديثه فيقول: فلما كانت الهدنة اغتنمها بنو الديل من بني بكر من خزاعة، وأرادوا أن يصيبوا منهم ثأراً بأولئك النفر الذين أصابوا منهم

---

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، 4/ 3-4.
(2) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.
(3) ابن هشام، السيرة النبوية، 4/ 3-4.
(4) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.
(5) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.

بني الأسود بن رزن. فخرج نوفل بن معاوية الديلي في بني الديل وهو يومئذ قائدهم وليس كل بني بكر تابعه. حتى بيت خزاعة وهم على الوتير ماء لهم، فأصابوا منهم رجلاً وتحاوزوا واقتتلوا ورفدت بنو بكر قريشاً بالسلاح وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفياً حتى حازوا خزاعة إلى الحرم. فلما انتهوا إليه قالت بنو بكر: يا نوفل إنا قد دخلنا الحرم الهك الهك. فقال كلمة عظيمة لا إله له اليوم، يا بني بكر، أصيبوا ثأركم فلعمري إنكم لتسرقون في الحرم أفلا تصيبون ثأركم فيه؟!)[1]. فلما تظاهرت بنو بكر وقريش على خزاعة وأصابوا منهم ما أصابوا. ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله عليه الصلاة والسلام من العهد والميثاق بما استحلوا من خزاعة. وكانوا في عقده وعهده، خرج عمرو بن سالم الخزاعي. ثم أحد بني كعب حتى قدم على رسول الله عليه الصلاة والسلام المدينة، وكان ذلك مما هاج فتح مكة. فوقف عليه وهو جالس في المسجد بين ظهراني الناس فقال:

يا رب إني ناشد مُحمداً ... حِلف أبينا وأبيه ألا تلدا[2]
قد كُنتُمَ وُلداً وكُنَّا وَالِداً ... أسلمنا فَلَم تَنزِع يدا
فانصُر هداكَ الله نُصراً اعتدا ... ولدع عِبادَ الله يأتوا مَدَدَا

يقول ابن إسحاق: ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله عليه الصلاة والسلام المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة بنت أبي سفيان. فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله عليه الصلاة والسلام طوته عنه. فقال: يا بنية، ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني؟ قالت: بل هو فراش رسول الله عليه الصلاة والسلام وأنت رجل مشرك نجس فلم أحب أن تجلس على فراش رسول الله عليه الصلاة والسلام.

قال: والله لقد أصابك يا بنية بعدي شر، ثم خرج حتى أتى رسول الله عليه الصلاة والسلام فكلمه فلم يرد عليه شيئاً. ثم ذهب إلى أبي بكر فكلمه أن يكلم له رسول الله عليه الصلاة والسلام فقال: ما أنا بفاعل. ثم أتى عمر بن الخطاب فكلمه فقال: أأنا أشفع لكم إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام؟ فوالله لم أجد

---

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، 4/ 4-5. (2) ابن هشام، السيرة النبوية، 4/ 11-12.

إلا الذر لجاهدتكم به. ثم خرج فدخل على عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه وعنده فاطمة بنت رسول الله عليه الصلاة والسلام و(رضي الله عنها) وعندها حسن بن عليّ عليه رضوان الله. غلام يدب بين يديها، فقال: يا عليّ، إنك أسنُّ القوم بي رحماً. وإني قد جئت في حاجة فلا أرجعن كما جئت خائباً. فاشفع لي إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام فقال: ويحك يا أبا سفيان!! والله لقد عزم رسول الله عليه الصلاة والسلام على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه. فالتفت إلى فاطمة فقال: يا ابنة محمد. هل لك أن تأمري بنيك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر؟ قالت: والله ما بلغ بني ذاك أن يجير بين الناس وما يجير أحد على رسول الله عليه الصلاة والسلام[1].

ويستكمل ابن إسحاق حديثه عن فتح مكة فيقول: (وأمر رسول الله عليه الصلاة والسلام الناس بالجهاز، وأمر أهله أن يجهزوه. فدخل أبو بكر على ابنته عائشة (رضي الله عنها) وهي تحرك بعض جهاز رسول الله عليه الصلاة والسلام. فقال: أي بنية أأمركم رسول الله أن تجهزوه؟ قالت: نعم. فتجهز قال: فأين ترينه يريد؟ قالت والله ما أدري[2].

وفي مقطع آخر يقول ابن إسحاق: (ثم إن رسول الله عليه الصلاة والسلام أعلم الناس أنه سائر إلى مكة وأمرهم بالجد بالتهيؤ. وقال: (اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها. فتجهز الناس[3]. ولم ينسَ ابن إسحاق أن يحدثنا عن دور الصحابي حاطب بن أبي بلتعة الذي حاول أن يخبر قريش بمسير رسول الله عليه الصلاة والسلام إليها. يقول: لما أجمع رسول الله عليه الصلاة والسلام المسير إلى مكة كتب حاطب بن أبي بلتعة كتاباً إلى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله عليه الصلاة والسلام من الأمر في السير إليهم. ثم أعطاه امرأة زعم محمد بن جعفر أنها من مزينة وزعم لي غيره أنها سارة مولاة لبعض بني عبد المطلب وجعل لها جعلاً على أن تبلغه قريشاً.

---

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، 4/ 13-15.
(2) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.
(3) ابن هشام، السيرة النبوية، 4/ 17.

فجعلته في رأسها ثم فتلت عليه قرونها. ثم خرجت به، وأتى رسول الله الخبر من السماء بما صنع حاطب. فبعث عليَّ بن أبي طالب والزبير بن العوام(رضي الله عنهما) فقال: (أدركا امرأة قد كتب معها حاطب بن أبي بلتعة بكتاب إلى قريش يحذرهم ما قد أجمعنا له في أمرهم) فخرجا حتى أدركاها بالخليقة خليقة بني أبي أحمد فاستنزلاها فالتمسا في رحلها فلم يجدا شيئاً. فقال لها عليُّ بن أبي طالب إني أحلف بالله ما كذب رسول الله عليه الصلاة والسلام ولا كذّبنا، ولتخرجن لنا الكتاب أو لنكشفنك فلما رأت الجد منه قالت: أعرض أعرض فحلت قرون رأسها فاستخرجت الكتاب منها فدفعته إليه، فأتى به رسول الله عليه الصلاة والسلام فدعا رسول الله عليه الصلاة والسلام حاطباً فقال: (يا حاطب ما حملك على هذا؟) فقال: يا رسول الله أما والله لمؤمن بالله ورسوله، ما غيرت ولا بدلت، ولكن كنت امرأً ليس لي في القوم من أصل ولا عشيرة. وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليهم. فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله، دعني فلأضرب عنقه فإن الرجل قد نافق. فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام (وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أصحاب بدر يوم بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)[1]. فنزل قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِي سَبِيلِي وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝١﴾ [الممتحنة: 1].

ويقول ابن إسحاق عن شيخه الزهري.. عن عبد الله بن عباس(رضي الله عنهما). (قال: ثم مضى رسول الله عليه الصلاة والسلام لسفره واستخلف على المدينة أبارهم كلثوم بن حصين بن عتبة بن خلف الغفاري، وخرج لعشر مضين من شهر رمضان، فصام رسول الله عليه الصلاة والسلام وصام الناس معه، حتى إذا كان بالكديد بين غسفان وأمج أفطر)[2].

(ثم مضى حتى نزل من الظهران في عشرة آلاف من المسلمين: فسبعت

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، 4/ 17-18.

(2) ابن هشام، المكان نفسه.

سليم وبعضهم يقول: ألفت سليم وألفت مزينة[1]. وفي كل القبائل عدد وإسلام وأوعبت مع رسول الله عليه الصلاة والسلام المهاجرون والأنصار فلم يتخلف عنه منهم أحد. فلما نزل رسول الله عليه الصلاة والسلام الظهران وقد عميت الأخبار عن قريش فلا يأتيهم خبر عن رسول الله عليه الصلاة والسلام ولا يدرون ما هو بفاعل، وخرج في تلك الليالي أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل ابن ورقاء يتحسسون الأخبار وينظرون هل يجدون خبراً أو يسمعون به. وقد كان العباس بن عبد المطلب لقي رسول الله عليه الصلاة والسلام ببعض الطريق لقيه بالجحفة مهاجراً بعياله. وقد كان قبل ذلك مقيماً بمكة على سقايته ورسول الله عليه الصلاة والسلام عنه راض)[2].

وفي مقطع آخر يقول ابن إسحاق: فلما نزل رسول الله عليه الصلاة والسلام مر الظهران قال العباس بن عبد المطلب: فقلت: واصباح قريش، والله لئن دخل رسول الله عليه الصلاة والسلام مكة عنوة قبل أن يأتون فيستأمنوه إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر، قال: فجلست على بغلة رسول الله عليه الصلاة والسلام البيضاء، فخرجت عليها. قال: حتى جئت الأراك فقلت لعلي أجد بعض الحطابة أو صاحب لبن، أو ذا حاجة يأتي مكة فيخبرهم بمكان رسول الله عليه الصلاة والسلام ليخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عليهم عنوة. قال: فو الله إني لأسير عليها وألتمس ما خرجت له إذ سمعت كلام أبي سفيان وبديل بن ورقاء. وهما يتراجعان وأبو سفيان يقول: ما رأيت كالليلة نيراناً قط ولا عسكراً قال: يقول بديل: هذه والله خزاعة حمَّشتها الحرب، قال أبو سفيان: خزاعة أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها، قال: فعرفت صوته فقلت: يا أبا حنظلة فعرف صوتي.

فقال: أبو الفضل؟ قال: قلت: نعم، قال مالك فداك أبي وأمي؟ قال: قلت: ويحك يا أبا سفيان هذا رسول الله عليه الصلاة والسلام في الناس. واصباح قريش والله!! قال: فما الحيلة فداك أبي وأمي قال: قلت: والله لئن ظفر

(1) سبعت يعني سبعمائة، وألفت يعني ألفي رجل.

(2) ابن هشام، السيرة النبوية، 4/ 21.

بك ليضربن عنقك فأركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله عليه الصلاة والسلام فاستأمنه لك. قال: فركب خلفي ورجع صاحباه قال: فجئت به كلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا: من هذا؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله عليه الصلاة والسلام وأنا عليها قالوا: عم رسول الله عليه الصلاة والسلام (على بغلته) حتى مررت بنار عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، فقال: من هذا؟ وقام إليّ، فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال: أبو سفيان عدو الله، الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد، ثم خرج يشتد نحو رسول الله عليه الصلاة والسلام، وركضت البغلة فسبقته بما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطيء. قال: فاقتحمت عن البغلة فدخلت على رسول الله عليه الصلاة والسلام ودخل عليه عمر. فقال: يا رسول الله، هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد فدعني فلأضرب عنقه. قال: قلت يا رسول الله إني قد أجرته ثم جلست إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام فأخذت برأسه فقلت: والله لا يناجيه الليلة دوني رجل)[1]. يقول ابن إسحاق: فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام: (إذهب به يا عباس إلى رحلك فإذا أصبح فائتني به، قال: فذهبت به إلى رحلي، فبات عندي، فلما أصبح غدوت به إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام فلما رآه رسول الله عليه الصلاة والسلام قال: (ويحك يا أبا سفيان ألم يئن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله)، قال: بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك!!! والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عني شيئاً بعد. قال: (ويحك يا أبا سفيان!!! ألم يئن لك أن تعلم أني رسول الله) قال: بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك!!! أما هذه والله فإن في النفس منها حتى الآن شيئاً فقال له العباس: ويحك أسلم وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل أن تضرب عنقك قال: فشهد شهادة الحق فأسلم قال: العباس. قلت يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر فاجعل له شيئاً. قال: (نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن). فلما ذهب لينصرف قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: (يا عباس احبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل حتى تمر به

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، 4/ 23.

جنود الله فيراها).

قال: فخرجت حتى حبسته بمضيق الوادي حيث أمرني رسول الله عليه الصلاة والسلام أن أحبسه قال: ومرت القبائل على راياتها. كلما مرت قبيلة قال: يا عباس من هذه؟ فأقول سُليم، فيقول: ما لي ولسليم؟ ثم تمر القبيلة فيقول: يا عباس من هؤلاء؟ فأقول مزينة، فيقول: ما لي ولمزينة؟ حتى نفدت القبائل ما تمر به قبيلة إلا يسألني عنها فإذا أخبرته بهم قال: ما لي ولبني فلان، حتى مر رسول الله عليه الصلاة والسلام في كتيبته الخضراء: وإنما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها، فيها المهاجرون والأنصار (رضي الله عنهم) لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد. فقال: سبحان الله يا عباس من هؤلاء؟!! قال: قلت: هذا رسول الله عليه الصلاة والسلام في المهاجرين والأنصار قال: ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة. والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك بن أخيك الغداة عظيماً.

قال: قلت: يا أبا سفيان إنها النبوة. قال: فنعم إذن قال: قلت: النجاة إلى قومك، حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش: هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به. فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن. فقامت إليه هند بنت عتبة فأخذت بشاربه فقالت: اقتلوا الحَميتَ الدّسم الأحمس قبح من طليعة القوم. قال: ويلكم لا تغرنكم هذه من أنفسكم. فإنه جاءكم ما لا قبل لكم به فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، قالوا: قاتلك الله. وما تغني عنا دارك قال: ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد)[1].

ويقول ابن إسحاق: ثم إن رسول الله عليه الصلاة والسلام حين فرق جيشه من ذي طوى. أمر الزبير بن العوام أن يدخل في بعض الناس من كدّى وكان الزبير ابن العوام على المجنبة اليسرى. وأمر سعد بن عبادة أن يدخل في بعض الناس من كداء[2]. وأمر خالد بن الوليد فدخل من الليِّط أسفل مكة في بعض الناس. وكان خالد على المجنبة اليمنى وفيها أسلم وسليم وغفار ومزينة وجهينة وقبائل

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، 4/ 26-27.

(2) ابن هشام، المكان نفسه.

من قبائل العرب. وأقبل أبو عبيدة بن الجراح بالصف من المسلمين ينصب لمكة بين يدي رسول الله عليه الصلاة والسلام ودخل رسول الله عليه الصلاة والسلام من أذاخر حتى نزل بأعلى مكة وضربت له هنالك قبته[1].

ويذكر ابن إسحاق بعض الأحداث التي رافقت دخول الجيش الإسلامي مكة ويحدثنا عن مقاومة تعرض لها خالد بن الوليد (رضي الله عنه) فيقول (إن صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو وكانوا قد جمعوا ناساً بالخندمة ليقاتلوا. وقد كان حِماس بن قيس بن خالد أخو بني بكر يعد سلاحاً قبل دخول رسول الله عليه الصلاة والسلام ويصلح منه. فقالت له امرأته: لماذا تعد ما أرى؟ قال: لمحمد وأصحابه، قالت: والله ما أرى إنه يقوم لمحمد وأصحابه شيء. قال: والله إني لأرجو أن أخدمك بعضهم.. ثم شهد الخندمة مع صفوان وسهيل وعكرمة. فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد بن الوليد ناوشوهم شيئاً من قتال فقتل كرز بن جابر أحد بني محارب بن فهر وخنيس بن خالد بن ربيعة بن أحرم حليف بني منقذ وكانا في خيل خالد بن الوليد.

فشذا عنه فسلكا طريقاً غير طريقه فقتلا جميعاً: قُتل خُنيس بن خالد قبل كرز ابن جابر فجعله كرز بن جابر بين رجليه. ثم قاتل عنه حتى قتل.. وأصيب من جهينة سلمة بن الميلاء من خيل خالد بن الوليد وأصيب من المشركين ناس قريب من اثني عشر رجلاً أو ثلاثة عشر رجلاً ثم انهزموا. فخرج حماس منهزماً حتى دخل بيته. ثم قال لامرأته: أغلقي عليَّ بابي...)[2]. وكان شعار أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام يوم فتح مكة وحنين والطائف شعار المهاجرين (يا بني عبد الرحمن) وشعار الخزرج (يا بني عبد الله) وشعار الأوس (يا بني عبيد الله)... وكان رسول الله عليه الصلاة والسلام قد عهد إلى أمرائه من المسلمين-حين أمرهم أن يدخلوا مكة- أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم، إلا أنه قد عهد نفراً سمّاهم. أمر بقتلهم إن وجدوا تحت أستار الكعبة: منهم عبد الله بن سعد أخو بني عامر بن لؤي. وإنما أمر رسول الله بقتله لأنه قد كان أسلم وكان يكتب لرسول الله عليه الصلاة والسلام الوحي، فارتد مشركاً راجعاً إلى قريش. ففر إلى عثمان بن

---

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، 4/ 27.

(2) ابن هشام، السيرة النبوية، 4/ 27.

عفان-وكان أخاه للرضاعة- فغيبه حتى أتى به رسول الله عليه الصلاة والسلام بعد أن اطمأن الناس وأهل مكة فاستأمن له، فزعموا أن رسول الله عليه الصلاة والسلام صمت طويلاً ثم قال (نعم) فلما انصرف عنه عثمان قال رسول الله عليه الصلاة والسلام لمن حوله من أصحابه: (لقد صَمَتُّ ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه) فقال رجل من الأنصار: فهلا أومأت إليّ يا رسول الله قال: (إن النبي لا يقتل بالإشارة)[1].

ومنهم عبد الله بن حنظل. رجل من بني تيم بن غالب وإنما أمر بقتله أنه كان مسلماً. فبعثه رسول الله عليه الصلاة والسلام مصدقاً. وبعث معه رجلاً من الأنصار وكان معه مولى له يخدمه. وكان مسلماً فنزل منزلاً وأمر المولى أن يذبح له تيساً فيصنع له طعاماً. فنام، فاستيقظ ولم يصنع له شيئاً. فعدا عليه فقتله. ثم ارتد مشركاً وكانت له قينتان فرتنى وصاحبتها وكانتا تغنيان بهجاء رسول الله عليه الصلاة والسلام. فأمر رسول الله عليه الصلاة والسلام بقتلهما معه، والحويرث ابن نقيذ بن وهب بن عبد بن قصي. وكان ممن يؤذيه بمكة، وكان العباس بن عبد المطلب حمل فاطمة وأم كلثوم ابنتي رسول الله عليه الصلاة والسلام من مكة يريد بهما المدينة. فنخس بهما الحويرث بن نُقيذ فرمى بهما إلى الأرض، ومقيس ابن صبابة وإنما أمر رسول الله عليه الصلاة والسلام بقتله لقتل الأنصاري الذي كان قتل أخاه خطأً ورجوعه إلى قريش مشركاً وسارة: مولاة لبعض بني عبد المطلب وعكرمة بن أبي جهل وكانت سارة ممن يؤذيه بمكة، فأما عكرمة فهرب إلى اليمن وأسلمت امرأته أم حكيم بنت الحرث بن هشام. فاستأمنت له من رسول الله عليه الصلاة والسلام فأمنه. فخرجت في طلبه إلى اليمن حتى أتت به رسول الله عليه الصلاة والسلام فأسلم[2].

يقول ابن إسحاق: وأما عبد الله بن خطل فقتله سعيد بن حريث المخزومي وأبو برزة الأسلمي اشتركا في دمه. وأما مقيس بن صبابة فقتله نميلة بن عبد الله رجل من قومه)[3]. وأما قينتا بن خطل فقتلت إحداها وهربت الأخرى حتى

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، 4/ 30-31.
(2) ابن هشام، السيرة النبوية، 4/ 30-32. (3) ابن هشام، المكان نفسه.

استؤمن لها رسول الله عليه الصلاة والسلام بعد فأمنها وأما سارة فاستؤمن لها فأمنها. ثم بقيت حتى أوطأها رجل من الناس فرساً في زمن عمر بن الخطاب بالأبطح فقتلها وأما الحويرث بن نقيذ فقتله عليُّ بن أبي طالب)[1].

وذكر ابن إسحاق في معرض حديثه عن أحداث يوم الفتح: (أن أم هانئ ابنة أبي طالب قالت: لما نزل رسول الله عليه الصلاة والسلام بأعلى مكة فر رجلان من أحمائي من بني مخزوم. وكانت عند هبيرة بن أبي وهب المخزومي. قالت: فدخل عليَّ عليُّ بن أبي طالب أخي. فقال: والله لأقتلنهما. فأغلقت الباب عليهما باب بيتي، ثم جئت رسول الله عليه الصلاة والسلام وهو بأعلى مكة. فوجدته يغتسل من جفنة إن فيها لأثراً لعجين وفاطمة ابنته تستره بثوبه. فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشح به ثم صلى ثماني ركعات من الضحى. ثم انصرف إليّ فقال: (مرحبا وأهلاً بأم هانئ، ما جاء بك؟ فأخبرته خبر الرجلين وخبر عليٍّ فقال: (قد أجرنا من أجرت وأمنا من أمنت فلا يقتلهما)[2]. وهما الحرث بن هشام، وزهير بن أبي أمية بن المغيرة)[3].

وفي مقطع آخر يحدثنا ابن إسحاق عن أحوال مكة بعد الفتح فيقول: وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير.. عن صفية بنت شيبة أن رسول الله عليه الصلاة والسلام لما نزل مكة واطمأن الناس خرج حتى جاء البيت فطاف به سبعاً على راحلته يستلم الركن بمحجن في يده فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها فوجد فيها حمامة من عيدان فكسرها بيده. ثم طرحها. ثم وقف على باب الكعبة وقد استكفّ له الناس في المسجد.. فقال: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت، وسقاية الحاج ألا وقتيل الخطأ شبه العمد بالسوط ففيه الدية مغلظة مائة من الإبل أربعون منها في بطونها أولادها: يا معشر قريش، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء الناس من آدم وآدم من تراب ثم تلا قوله تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا

(1) ابن هشام، المكان نفسه.

(2) ابن هشام، السيرة، 4/ 31-35.

(3) ابن هشام، المكان نفسه.

خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ﴾ [الحجرات: 13]. ثم قال: (يا معشر قريش. ما ترون أني فاعل فيكم؟) قالوا: خيراً أخ كريم وابن أخ كريم، قال: (اذهبوا فأنتم الطلقاء) ثم جلس رسول الله عليه الصلاة والسلام في المسجد فقام إليه عليٌّ بن أبي طالب ومفتاح الكعبة في يده. فقال: يا رسول الله، اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك. فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام: (أين عثمان بن طلحة) فدعا له فقال: (هاك مفتاحك يا عثمان اليوم يوم بر ووفاء)[1].

ويقول ابن إسحاق: وحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله عليه الصلاة والسلام دخل البيت يوم الفتح فرأى فيه صور الملائكة وغيرهم، فرأى إبراهيم عليه السلام مصوراً في يده الأزلام يستقيم بها. فقال: (قاتلهم الله جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام ما شأن إبراهيم والأزلام.... ثم أمر بتلك الصور كلها فطمست)[2]. وقيل دخل رسول الله عليه الصلاة والسلام عام الفتح الكعبة ومعه بلال، فأمره أن يؤذن وأبو سفيان بن حرب وعتاب بن أسيد والحرث بن هشام، جلوس بفناء الكعبة. فقال عتاب بن أسيد لقد أكرم الله أسيداً أن لا يكون سمع هذا فيسمع منه ما يغيظه فقال الحرث بن هشام: أما والله لو أعلم أنه محق لاتبعته. فقال أبو سفيان: لا أقول شيئاً لو تكلمت لأخبرت عني هذه الحصا. فخرج عليهم النبي عليه الصلاة والسلام فقال: (لقد علمت الذي قلتم) ثم ذكر ذلك لهم، فقال الحرث وعتاب: نشهد أنك رسول الله والله ما اطلع على هذا أحد كان معنا فنقول أخبرك)[3].

وفي رواية لابن إسحاق عن شيخه الزهري: قال: دخل رسول الله عليه الصلاة والسلام مكة يوم الفتح على راحلته فطاف عليها وحول البيت أصنام مشدودة بالرصاص. فجعل النبي عليه الصلاة والسلام يشير بقضيب في يده إلى الأصنام ويقول: ﴿وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا﴾ [الإسراء: 81]. فما أشار إلى صنم منها في وجهه إلا وقع لقفاه ولا أشار إلى قفاه إلا وقع لوجهه. حتى ما بقي منها صنم إلا وقع لوجهه، حتى ما بقي منها صنم إلا وقع)[4].

---

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، 4/ 32-35. (2) ابن هشام، المكان نفسه.
(3) ابن هشام، السيرة النبوية، 4/ 37-38. (4) ابن هشام، المكان نفسه.

ويحدثنا ابن إسحاق عن محاولة اغتيال للرسول عليه الصلاة والسلام جرت يوم الفتح يقول: (وحدثني أن فضالة بن عمير بن الملوح الليثي أراد قتل النبي عليه الصلاة والسلام وهو يطوف بالبيت عام الفتح. فلما دنا منه قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: (أفضالة) قال: نعم يا رسول الله قال: (ما كنت تحدث به نفسك)؟ قال: لا شيء كنت أذكر الله ﷻ. قال: فضحك النبي عليه الصلاة والسلام ثم قال: (استغفر الله) ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه، فكان فضالة يقول: (والله ما رفع يده عن صدري حتى ما من خلق الله شيء أحب إليّ منه، قال فضالة فرجعت إلى أهلي فمررت بامرأة كنت أتحدث إليها، فقالت: هلم إليّ الحديث، فقلت لا)[1].

ومن الأمور التي ذكرها ابن إسحاق حصلت يوم الفتح يقول: وحدثني الزهري أن أم حكيم بنت الحرث بن هشام وفاختة بنت الوليد. وكانت فاختة عند صفوان بن أمية وأم حكيم عند عكرمة بن أبي جهل. أسلمتا، فأما أم حكيم فاستأمنت رسول الله عليه الصلاة والسلام لعكرمة فأمنه. فلحقت به باليمن فجاءت به. فلما أسلم عكرمة وصفوان أقرهما رسول الله عليه الصلاة والسلام عندهما على النكاح الأول[2].... وأما هبيرة بن أبي وهب المخزومي فأقام بها (الحبشة) حتى مات كافراً وكانت عنده أم هانئ ابنة أبي طالب واسمها هند[3].

ومن المسائل التي ثبتها ابن إسحاق وتميز بها عن غيره هو تقديم إحصائية دقيقة عن القوات التي شاركت مع رسول الله في غزواته وسراياه في يوم الفتح يقول: (وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف من بني سُليم سبعمائة ويقول بعضهم ألف ومن بني غفار أربعمائة ومن أسلم أربعمائة ومن مزينة ألف وثلاثة نفر، وسائرهم من قريش والأنصار وحلفائهم وطوائف العرب من تميم وقيس وأسد)[4].

مما سبق عرضه عن وقائع غزوة يوم فتح مكة من خلال ما قدمه الإمامان الجليلان البخاري ومسلم في صحيحيهما وما عرضه ابن إسحاق في كتابه

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، 4/ 39.
(2) ابن هشام، المكان نفسه.
(3) ابن هشام، السيرة النبوية.
(4) ابن هشام، السيرة النبوية، 4/ 42.

المغازي. بان لنا هناك تشابه وتطابق في الكثير من الروايات ذات العلاقة بالفتح إلا أن الاختلاف يكمن في عرض تلك الروايات، فأصحاب الصحاح عرضوها على مقاطع ذات علاقة بالنواحي الفقهية البحتة وعرضوها بطرقها المتعددة أما ابن إسحاق فعرض فتح مكة بشكل ينسجم مع التسلسل الزمني للحدث ولهذا جاءت رواياته أكثر انسجاماً مع تسلسل الحدث وأكثر قبولاً للقارئ روايات من أصحاب السنن.

ومن الأحداث التي ذكرها ابن إسحاق والتي رافقت فتح مكة ولم يذكرها أصحاب الصحاح في معرض حديثهم عن غزوة الفتح ولربما ذكروها في أبواب أخرى هي سرية خالد بن الوليد إلى بني جذيمة والتي بعثه فيها رسول الله عليه الصلاة والسلام وهو في مكة ويقدمها تحت هذا العنوان (مسير خالد بن الوليد بعد فتح مكة إلى بني جذيمة من كنانة ومسير عليٍّ (رضي الله عنه) لتلافي خطأ خالد بن الوليد يقول ابن إسحاق: وقد بعث رسول الله عليه الصلاة والسلام فيما حول مكة السرايا، تدعو إلى الله عز وجل ولم يأمرهم بقتال. وكان ممن بعث خالد بن الوليد. وأمره أن يسير بأسفل تهامة داعياً، ولم يبعثه مقاتلاً فوطئ بني جذيمة فأصاب منهم)[1].

ويقول ابن إسحاق في عرضه لأحداث هذه السرية قال: بعث رسول الله عليه الصلاة والسلام خالد بن الوليد حين افتتح مكة داعياً ولم يبعثه مقاتلاً ومعه قبائل من العرب سليم بن منصور ومدلج بن مرة. فوطئوا بني جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة فلما رأه القوم أخذوا السلاح فقال خالد: ضعوا السلاح فإن الناس قد أسلموا)[2].

وفي مقطع آخر يحدثنا ابن إسحاق عن هذه السرية فيقول: فحدثني بعض أهل العلم من بني جذيمة قال: لما أمرنا خالد أن نضع السلاح قال رجل منا يقال له جحدم، ويلكم يا بني جذيمة إنه خالد. والله ما بعد وضع السلاح إلا الإيسار وما بعد الإيسار إلا ضرب الأعناق والله لا أضع سلاحي أبداً، قال: فأخذه رجال من قومه فقالوا يا جحدم أتريد أن تسفك دماءنا، إن الناس قد أسلموا

---

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، 4/ 53-55. (2) ابن هشام، المكان نفسه.

ووضعوا السلاح ووضعت الحرب وأمن الناس، فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه ووضع القوم السلاح لقول خالد)[1]... (فلما وضعوا السلاح أمر بهم خالد عند ذلك فكتفوا. ثم عرضهم على السيف، فقتل من قتل منهم، فلما انتهى الخبر إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام رفع يديه إلى السماء ثم قال: (اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد)[2].

ويقول بن هشام مستكملاً ما قدمه ابن إسحاق فيقول: وحدثني أنه انفلت رجل من القوم، فأتى رسول الله عليه الصلاة والسلام فأخبره الخبر، فقال: رسول الله عليه الصلاة والسلام: (هل أنكر عليه أحد؟ فقال نعم، قد أنكر عليه رجل أبيض رَبَعَة فنَهَمَه خالد فسكت عنه، وأنكر عليه رجل آخر طويل مضطرب فراجعه، فاشتدت مراجعتهما. فقال: عمر بن الخطاب: أما الأول يا رسول الله فابني عبد الله، وأما الآخر فسالم مولى أبي حذيفة)[3].

ويحدثنا ابن إسحاق كيف عالج رسول الله عليه الصلاة والسلام هذه المسألة الخطيرة يقول: فحدثني حكيم بن حكيم عن أبي جعفر محمد بن عليٍّ قال: ثم دعا رسول الله عليه الصلاة والسلام عليَّ بن أبي طالب رضوان الله عليه فقال: (يا عليَّ أخرج إلى هؤلاء القوم فانظر في أمرهم واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك).

فخرج عليٌّ حتى جاءهم ومعه مال قد بعث به رسول الله عليه الصلاة والسلام فودى لهم الدماء وما أصيب لهم من الأموال حتى أنه ليدي لهم ميلغة الكلب. حتى إذا لم يبق شيء من دم ولا مال إلا واده بقيت معه بقية من المال. فقال لهم عليٌّ رضوان الله عليه حين فرغ منهم: هل بقي لكم بقية دم أو مال لم يؤد لكم؟ قالوا: لا. قال: فإني أعطيكم هذه البقية من هذا المال احتياطاً لرسول الله عليه الصلاة والسلام مما لا يعلم ولا تعلمون ففعل. ثم رجع إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام فأخبره الخبر. فقال: (أصبت وأحسنت) قال: ثم قام رسول الله عليه الصلاة والسلام فاستقبل القبلة قائماً شاهراً يديه حتى إنه ليرى ما تحت منكبيه، يقول: (اللهم إني براء إليك مما صنع خالد بن الوليد ثلاث مرات)[4].

---

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، 4/ 54-55.
(2) ابن هشام، المكان نفسه.
(3) ابن هشام، المكان نفسه.
(4) ابن هشام، السيرة النبوية، 4/ 55.

وفي مقطع مهم يقول ابن إسحاق: وقد قال بعض من يعذر خالداً إنه قال: ما قاتلت حتى أمرني بذلك عبد الله بن حذافة السهمي، وقال: إن رسول الله عليه الصلاة والسلام قد أمرك أن تقاتلهم لامتناعهم من الإسلام)[1].

ويضيف بن هشام قائلاً: وقال أبو عمر والمدني: لما أتاهم خالد قالوا: صبأنا صبأنا)[2] وكذلك ذكرها السهيلي في كتابه.

مسير خالد بن الوليد ليهدم العُزى

ومن الأحداث المهمة التي وقعت بعد فتح مكة أيضاً وتجاوزها أصحاب الصحاح والسنن مسير خالد بن الوليد (رضي الله عنه) بأمر من الرسول عليه الصلاة والسلام ليهدم العُزى يحدثنا عنها ابن إسحاق بقوله: ثم بعث رسول الله عليه الصلاة والسلام خالد بن الوليد إلى العُزى وكانت بنخلة. وكانت بيتاً يعظمه هذا الحي من قريش وكنانة ومضر كلها وكانت سدنتها وحجابها بني شيبان من بني سُليم حلفاء بني هاشم. فلما سمع صاحبها السلمي بمسير خالد إليها علق عليها سيفه وأسند في الجبل)[3].

وآخر خبر أورده ابن إسحاق عن هذه الغزوة أنه حدثنا بقوله: (أقام رسول الله عليه الصلاة والسلام بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة، وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من شهر رمضان سنة ثمان)[4].

---

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، 4/ 56-57.

(2) (صبأنا صبأنا) يعنون دخلنا في دين محمد. وكانوا يسمون النبي عليه الصلاة والسلام الصابئ لأنه خرج عن دينهم، ابن هشام، المكان نفسه. وينظر كذلك أبي القاسم عبدالرحمن السهيلي، الروض الآنف، تحقيق: عبدالله المنشاوي (القاهرة: 1429 هـ/ 2008م) 4/ 214.

(3) ابن هشام، السيرة النبوية، 4/ 64-65.

(4) ابن هشام، المكان نفسه. السهيلي، المكان نفسه.



اللهم نَجِّ المستضعفين من المؤمنين في
كل مكان ، اللهم الطف بِ أمة نبيِّك
محمد ﷺ وارحمها وفرّج كربتها

ما جاء في غزوة حنين

من الغزوات المهمة التي قادها رسول الله عليه الصلاة والسلام بعد فتح مكة بنفسه غزوة حنين ولأهميتها أرفد لها أصحاب الصحاح والسنن والسير والمغازي باباً منفرداً للحديث عنها وعن الأحداث التي رافقتها والأحكام التي انطوت عليها. وكما هو معلوم قدمها أصحاب السنن والصحاح بشكل مغاير عن أصحاب السير والمغازي إلا أنهم يكادون يتفقون على الملامح العامة في هذه الغزوة كما في غيرها من الغزوات. وعلى منهج هذه الدراسة فسوف نبدأ بالحديث عن هذه الغزوة كما عرضها الإمام مسلم (رَحِمَهُ اللَّهُ) في صحيحه فلقد أفرد لها باباً سماه باب غزوة حنين يقول الإمام مسلم (رَحِمَهُ اللَّهُ): (وحدثني أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن سرح أخبرنا بن وهب أخبرني يونس عن بن شهاب، قال: حدثني كثير بن عباس ابن عبد المطلب قال: عباس: شهدت مع رسول الله عليه الصلاة والسلام يوم حنين فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رسول الله عليه الصلاة والسلام فلم نفارقه ورسول الله عليه الصلاة والسلام على بغلة له بيضاء أهداها له فروة بن نفاثة الجذامي.

فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين. فطفق رسول الله عليه الصلاة والسلام يركض بغلته قبل الكفار قال عباس: وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله عليه الصلاة والسلام أكفها إرادة أن لا تسرع وأبو سفيان أخذ بركاب رسول الله عليه الصلاة والسلام فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام (أي عباس! ناد أصحاب السمرة) فقال عباس: (وكان رجلاً صيتاً) فقلت بأعلى صوتي: أين أصحاب السمرة؟ قال: فوالله! لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها. فقالوا: يا لبيك! يا لبيك! قال: فاقتتلوا والكفار، والدعوة في الأنصار يقولون: يا معشر الأنصار، يا معشر الأنصار: قال: ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج، فقالوا: يا بني الحارث بن الخزرج! يا بني الحارث بن

الخزرج فنظر رسول الله عليه الصلاة والسلام وهو على بغلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام (هذا حين حمي الوطيس). ثم أخذ رسول الله عليه الصلاة والسلام حصيات فرمى بهن وجوه الكفار. ثم قال: (انهزموا ورب محمد!) قال: فذهبت أنظر إلى القتال على هيئته فيما أرى قال: فوالله! ما هو إلا أن رماهم بحصياته فما زلت أرى أحدهم كليلاً وأمرهم مدبراً)[1].

وفي رواية أخرى للإمام مسلم حول الغزوة يقول: حدثنا يحيى بن يحيى، أخبرنا أبو خثيمة عن أبي إسحاق قال: قال الرجل للبراء: يا أبا عمارة: أفررتم يوم حنين قال: لا والله! ما ولى رسول الله عليه الصلاة والسلام ولكنه خرج شبان أصحابه وإخفاؤهم حسراً ليس عليهم سلاح، أو كثير سلاح فلقوا قوماً لا يكاد يسقط لهم سهم جمع هوازن وبني نصر. فرشقوهم رشقاً ما يكادون يخطئون. فأقبلوا هناك إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام ورسول الله عليه الصلاة والسلام على بغلته البيضاء وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يقود به. فنزل فاستنصر وقال:

أَنَــا الــنَّــبِــي لا كَــذِبَ أَنَــا ابْــنُ عَــبْــدِ الـمُـطَّـلِـب

ثم صفهم[2].

وفي لفظ آخر يحدثنا الإمام مسلم فيقول: حدثنا أحمد بن جناب المصيصي حدثنا عيسى بن يونس عن زكريا عن ابن إسحاق قال: جاء رجل إلى البراء فقال: أكنتم وليتم يوم حنين؟ يا أبا عمار: فقال: أشهد على نبي الله عليه الصلاة والسلام ما ولى ولكنه انطلق إخفاء من الناس وحسر إلى هذه الحي من هوازن وهم قوم رماة فرموهم برشق من نبل. كأنها رجل من جراد، فانكشفوا فأقبل القوم إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام وأبو سفيان بن الحارث يقود به بغلته فنزل ودعا واستنصر وهو يقول:

أَنَــا الــنَّــبِــي لا كَــذِبِ أَنَــا ابْــنُ عَــبْــدِ الـمُـطَّـلِـب

---

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب غزوة حنين (76/ 1775).

(2) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب غزوة حنين (78/ 1776).

اللهم أنزل نصرك[1].

وفي رواية أخرى يحدثنا الإمام مسلم فيقول: وحدثنا زهير بن حرب حدثنا عمر بن يونس الحنفي حدثنا عكرمة بن عمار حدثني أياس بن سلمة حدثني أبي قال: غزونا مع رسول الله عليه الصلاة والسلام حنيناً فلما واجهنا العدو تقدمت فأعلو ثنية، فاستقبلني رجل من العدو فأرميه بسهم. فتوارى عني. فما دريت ما صنع ونظرت إلى القوم فإذا هم قد طلعوا من ثنية أخرى فالتقوا هم وصحابة النبي عليه الصلاة والسلام فولى صحابة النبي وأرجع منهزماً، وعليّ بردتان قزراً بإحداهما مرتدياً بالأخرى فاستطلق أزاري، فجمعتهما جميعاً ومررت على رسول الله عليه الصلاة والسلام منهزماً وهو على بغلته الشهباء فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام (لقد رأى بن الأكوع فزعاً) فلما غشوا رسول الله عليه الصلاة والسلام (نزل عن البغلة ثم قبض قبضة من تراب من الأرض ثم استقبل به وجوههم؟ فقال: شاهت الوجوه. فما خلق الله منهم إنساناً إلا ملأ عينه تراباً بتلك القبضة. فولوا مدبرين فهزمهم الله ﷻ وقسم رسول الله عليه الصلاة والسلام غنائمهم بين المسلمين)[2].

هذا ما عرضه الإمام مسلم عن غزوة حنين وسنعرض الآن ما تحدث به الإمام البخاري عن هذه الغزوة:

وذكرها الإمام في باب قوله تعالى ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [التوبة: 25- 27]. وعرضها الإمام بعشر روايات منها قوله (رَحِمَهُ ٱللَّهُ): (وحدثنا محمد بن كثير: حدثنا سفيان، عن أبي إسحاق قال: سمعت البراء (رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ) وجاءه رجل فقال: يا أبا عمارة، أتوليت يوم

---

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب غزوة حنين (79/ 1776).

(2) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب غزوة حنين (80/ 1776).

حنين؟ فقال: أما أنا فأشهد على النبي عليه الصلاة والسلام أنه لم يول. ولكن عجل سرعان القوم فرشقتهم هوازن. وأبو سفيان بن الحارث أخذ برأس بغلته البيضاء، يقول: (أنا النبي لا كذب، أنا بن عبد المطلب)[1].

وفي رواية أخرى للإمام يحدثنا فيها فيقول: (حدثني محمد بن بشار حدثنا غندر: حدثنا شعبة عن أبي إسحاق سمع البراء وسأله رجل من قيس: أفررتم عن رسول الله عليه الصلاة والسلام يوم حنين؟ فقال: لكن رسول الله عليه الصلاة والسلام لم يفر كانت هوازن رماة وإنا لما حملنا عليهم انكشفوا فأكببنا على الغنائم فاستقبلنا بالسهام ولقد رأيت رسول الله عليه الصلاة والسلام على بغلته البيضاء وأن أبا سفيان بن الحارث أخذ بزمامها وهو يقول: (أنا النبي لا كذب)[2]. وفي رواية مطولة يحدثنا الإمام البخاري (رَحِمَهُ اللهُ) عن أحداث مرت على المقاتلين يوم حنين فيقول: حدثنا عبد الله بن يوسف: أخبرنا مالك عن يحيى بن سعيد عن عمر بن كثير بن أفلح.

عن أبي محمد مولى أبي قتادة. عن أبي قتادة قال: خرجنا مع النبي عليه الصلاة والسلام عام حنين. فلما التقينا كانت للمسلمين جولة، فرأيت رجلاً من المشركين قد علا رجلاً من المسلمين فضربته من ورائه على حبل عاتقه بالسيف فقطعت الدرع. وأقبل عليَّ فضمني ضمة وجدت منها ريح الموت. ثم أدركه الموت فأرسلني. فلحقت عمر بن الخطاب. فقلت: ما بال الناس؟ قال: أمر الله عَزَّ وَجَلَّ ثم رجعوا وجلس النبي عليه الصلاة والسلام فقال: (من قتل قتيلاً له عليه بينة فله سلبه) فقلت: من يشهد لي. ثم جلست ثم قال النبي عليه الصلاة والسلام مثله. فقمت. فقلت: من يشهد لي، ثم جلست. قال: ثم قال النبي عليه الصلاة والسلام مثله.فقمت فقال: (ما لك يا أبا قتادة) فأخبرته فقال رجل: صدق وسلبه عندي. فأرضه منه. فقال أبو بكر لا ها الله إذا. لا يعمد إلى أسد من أسد الله. يقاتل عن الله ورسوله عليه الصلاة والسلام فيعطيك سلبه. فقال النبي عليه الصلاة والسلام (صدق فأعطه) فأعطانيه. فابتعت به مخرماً في بني سلمة فإنه لأول مال

(1) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في باب يوم حنين (4315).
(2) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في باب يوم حنين (4317).

قاتلته في الإسلام)[1].

وفي التفاة جيدة يحدثنا الإمام البخاري (رحمه الله) عن غنائم يوم حنين والقرار الذي اتخذه الرسول عليه الصلاة والسلام بشأنها يقول: حدثنا سعيد بن عفير قال: حدثني الليث: حدثني عقيل، عن بن شهاب: حدثني إسحاق: حدثنا يعقوب بن إبراهيم: حدثنا بن أخي بن شهاب. قال محمد بن شهاب: وزعم عروة ابن الزبير: أن مروان والمسور بن مخرمة أخبراه: أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين فسألوه أن يرد إليهم أموالهم وسبيهم. فقال لهم رسول الله عليه الصلاة والسلام: (معي من ترون، وأحب الحديث إليّ أصدقه. فاختاروا إحدى الطائفتين: إما السبي وإما المال. وقد كنت استأنيت بكم، وكان أنظرهم رسول الله عليه الصلاة والسلام بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف. فلما تبين لهم أن رسول الله عليه الصلاة والسلام غير راد إليهم إلا إحدى الطائفتين، قالوا: فإنا نختار سبينا. فقام رسول الله عليه الصلاة والسلام في المسلمين فأثنى على الله بما هو أهله.

ثم قال: (أما بعد: فإن إخوانكم قد جاؤوا تائبين. وإني قد رأيت أن أرد إليهم سبيهم فمن أحب منكم أن يطيب ذلك فليفعل ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول ما يفيء الله علينا فليفعل، فقال الناس: قد طيبنا ذلك يا رسول الله. فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام: (إنا لا ندري من أذن منك في ذلك ممن لم يأذن له فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم فرجع الناس فكلمهم عرفاؤهم ثم رجعوا إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام فأخبروه أنهم قد طيبوا وأذنوا. هذا الذي بلغني عن سبي هوازن)[2].

وللإمام البخاري (رحمه الله) قول وحديث في غنائم حنين يحدثنا فيقول: حدثنا أبو اليمان: أخبرنا شعيب: حدثنا الزهري قال: أخبرني أنس بن مالك أن ناساً من الأنصار قالوا لرسول الله عليه الصلاة والسلام حين أفاء الله على رسوله من

---

(1) أخرجه الإمام البخاري في باب يوم حنين (4321) ولقد أورد العديد من الروايات منها (2930، 3042، 2864، 2874، 4315، 4316، 4317).

(2) أخرجه الإمام البخاري في يوم حنين (4318-4319).

أموال هوازن ما أفاء. فطفق يعطي رجالاً من قريش المائة من الإبل، فقالوا: يغفر الله لرسول الله يعطي قريشاً ويدعنا وسيوفنا تقطر من دمائهم. قال أنس: فحدث رسول الله عليه الصلاة والسلام بمقالتهم. فأرسل الى الأنصار فجمعهم في قبة من أدم. ولم يدع معهم أحداً غيرهم. فلما اجتمعوا جاءهم رسول الله عليه الصلاة والسلام. فقال: (ما كان حديث بلغني عنكم) قال له فقهاؤهم: أما ذوو آرائنا يا رسول الله فلم يقولوا شيئاً وأما أناس منا حديثه أسنانهم. فقالوا: يغفر الله لرسول الله عليه الصلاة والسلام يعطي قريشاً ويترك الأنصار وسيوفنا تقطر من دمائهم. فقال رسول الله (ﷺ): (إني أعطي رجالاً حديث عهدهم بكفر، أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال وترجعوا إلى رحالكم برسول الله عليه الصلاة والسلام فوالله ما تنقلبون به خير مما ينقلبون به) قالوا: بلى يا رسول الله قد رضينا فقال لهم: (إنكم سترون بعدي أثرة شديدة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله عليه الصلاة والسلام على الحوض)[1].

وفي رواية أخرى يحدثنا الإمام البخاري عن غنائم حنين فيقول: (حدثنا يحيى بن بكير: حدثنا مالك: عن إسحاق بن عبد الله. عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: كنت أمشي مع النبي عليه الصلاة والسلام وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجذبه جذبة شديدة. حتى نظرت إلى صفحة عاتق النبي عليه الصلاة والسلام قد أثرت به حاشية الرداء من شدة جذبته. ثم قال: مر لي من مال الله الذي عندك فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء)[2]. وعن عثمان بن أبي شيبة يحدثنا البخاري فيقول: لما كان يوم حنين أثر النبي عليه الصلاة والسلام أناساً في القسمة فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل وأعطى عيينة مثل ذلك. وأعطى أناساً من أشراف العرب. فأثرهم يومئذ في القسمة قال رجل والله إن هذه القسمة ما عدل فيها. وما أريد بها وجه الله. فقلت: والله لأخبرن النبي عليه الصلاة والسلام فأتيته فأخبرته. فقال: (فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله. رحم الله موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر)[3].

---

(1) أخرجه الإمام البخاري في باب ما كان النبي عليه الصلاة والسلام (3147).

(2) أخرجه الإمام البخاري في باب ما كان النبي عليه الصلاة والسلام (3149).

(3) أخرجه الإمام البخاري في باب ما كان النبي عليه الصلاة والسلام (3150).

وأما الإمام مسلم (رحمه الله) فله في حديث غنائم حنين أحاديث وروايات عديدة وهي تطابق إلى حد ما ما ذكره الإمام البخاري (رحمه الله) في صحيحه يقول الإمام مسلم (رحمه الله) في باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه. حدثني حرملة بن يحيى التجيبي. أخبرنا عبد الله بن وهب أخبرني يونس عن بن شهاب: أخبرني أنس بن مالك: أن أناساً من الأنصار قالوا: يوم حنين حين أفاء الله على رسوله من أموال هوازن ما أفاء فطفق رسول الله عليه الصلاة والسلام يعطي رجالاً من قريش المائة من الإبل. فقالوا: يغفر الله لرسول الله يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم! قال أنس بن مالك: فحدث ذلك رسول الله عليه الصلاة والسلام من قولهم فأرسل إلى الأنصار فجمعهم في قبة من أدم فلما اجتمعوا جاءهم رسول الله عليه الصلاة والسلام فقال: (ما حديث بلغني عنكم) فقال له فقهاء الأنصار: أما ذوو رأينا يا رسول الله فلم يقولوا شيئاً. وأما أناس منا حديثه أسنانهم قالوا: يغفر الله لرسوله يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام (فإني أعطي رجالاً حديثي عهد بكفر آتالفهم أفلا ترضون أن يذهب الناس بالأموال وترجعون إلى رحالكم برسول الله؟ فو الله! لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به؟ فقالوا: بلى يا رسول الله! قد رضينا قال: (فإنكم ستجدون أثرة شديدة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله فإني على الحوض، قالوا: سنصبر)[1].

ومن الروايات المهمة التي تفرد بها الإمام مسلم (رحمه الله) حول غنائم حنين ما ذكره في باب إعطاء المؤلفة قلوبهم حيث قال: وحدثنا مخلد بن خالد الشعيري حدثنا سفيان حدثني عمر بن سعيد بهذا الإسناد ولم يذكر في الحديث علقمة بن علاثة ولا صفوان بن أمية ولم يذكر الشعيري في حديثه. حدثنا سريج بن يونس حدثنا إسماعيل بن حجر عن عمرو بن يحيى بن عمارة عن عباد بن تميم عن عبد الله بن زيد أن رسول الله عليه الصلاة والسلام لما فتح حنيناً قسم الغنائم فأعطى المؤلفة قلوبهم. فبلغه أن الأنصار يحبون أن يصيبوا ما أصاب الناس فقام رسول الله فخطبهم، فحمد الله وأثنى عليه. ثم قال: يا معشر الأنصار ألم أجدكم

(1) أخرجه الإمام مسلم في باب إعطاء المؤلفة (132/ 1059).

ضلالاً فهداكم الله بي؟ وعالة فأغناكم الله بي؟ ومتفرقين فجمعكم الله بي؟ ويقولون: الله ورسوله أمن. فقال: (ألا تجيبوني) فقالوا الله ورسوله أمن. فقال: أما إنكم لو شئتم أن تقولوا كذا وكذا وكان من الأمر كذا وكذا) لأشياء عددها زعم عمرو أن لا يحفظها فقال: (ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والإبل وتذهبون برسول الله إلى رحالكم؟ الأنصار شعار والناس دثار ولولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار ولو سلك الناس وادياً وشعباً. لسلكت وادي الأنصار وشعبهم. إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض)[1].

وفي رواية أخرى للإمام مسلم (رَحِمَهُ ٱللَّهُ) يقول: حدثنا زهير بن حرب وعثمان ابن أبي شيبة وإسحاق بن إبراهيم قال: إسحاق: أخبرنا. وقال الآخران حدثنا جرير عن منصور عن أبي وائل: عن عبد الله قال: لما كان يوم حنين آثر رسول الله (ﷺ) ناساً في القسمة فأعطى الأقراع بن حابس مائة من الإبل وأعطى عيينة مثل ذلك. وأعطى ناساً من أشراف العرب وآثرهم يومئذ في القسمة. فقال: رجل والله: أن هذه لقسمة ما عدل فيها وما أريد منها وجه الله. قال فقلت: والله لأخبرن رسول الله (ﷺ) قال: فأتيته فأخبرته بما قال: فتغير وجهه حتى كان كالصرف. ثم قال: (فمن يعدل إن لم يعدل الله ورسوله) قال: ثم قال: (يرحم الله موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر) قال: قلت: لا جرم لا أرفع إليه بعدها حديثاً[2] وعن عبد الله أيضاً يحدثنا الإمام مسلم فيقول (قسم رسول الله (ﷺ) قسماً فقال رجل: إنها لقسمة ما رأيت بها وجه الله. قال: فأتيت النبي (ﷺ) فساررته فغضب من ذلك غضباً شديداً واحمر وجهه حتى تمنيت أني لم أذكر له. قال: ثم قال: (قد أوذي موسى بأكثر من هذا فصبر)[3] وأما قول ابن إسحاق في غنائم حنين. فهو ذكرها في فقرة منفردة تحت عنوان (أمر أموال هوزان وسباياها وعطايا المؤلفة قلوبهم منها: وانعام رسول الله (ﷺ) فيها[4].

يحدثنا ابن إسحاق فيقول: ثم خرج رسول الله (ﷺ) حين انصرف عن

---

(1) أخرجه الإمام مسلم في باب المؤلفة (139/ 1061).

(2) أخرجه الإمام مسلم في باب المؤلفة قلوبهم (140/ 1062).

(3) أخرجه الإمام مسلم في باب المؤلفة قلوبهم (141/ 1062).

(4) ابن هشام، السيرة النبوية، 4/ 134-136.

الطائف على دُحنا حتى نزل الجعرانة فيمن معه من الناس. ومعه من هوازن سبي كثير، وقد قال له رجل من أصحابه يوم ظعن عن ثقيف: يا رسول الله ادع عليهم، فقال رسول الله (ﷺ): (اللهم اهدِ ثقيفاً وائت بهم)[1] ثم أتاه وفد هوازن بالجعرانة وكان مع رسول الله (ﷺ) من سبي هوازن ستة آلاف من الذراري والنساء ومن الإبل والشاة ما لا يدري ما عُدته)[2] وقد أسلموا، فقالوا: يا رسول الله، إنا أصل وعشيرة، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك. فامنن علينا منّ الله عليك. قال: وقام رجل من هوازن ثم أحد بني سعد بن بكر يقال له زهير، يكنى أبا صُرَد. فقال: يا رسول الله إنما في الحظائر، عماتك وخالاتك وحواضنك، اللائي كن يكفلنك ولو أنا ملحنا للحرث بن أبي شمر أو للنعمان بن المنذر. ثم نزل منا الذي نزلت به رجونا عطفه وعائدته علينا وانت خير المكفولين[3] ويضيف ابن إسحاق محدثنا فيقول: فحدثني عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده عبد الله بن عمرو، قال: فقال رسول الله: (أبناؤكم ونساؤكم أحب إليكم أم أموالكم)؟ فقالوا: يا رسول الله. خيرتنا بين أموالنا وأحسابنا. بل ترد إلينا نساءنا وأبناءنا فهو أحب إلينا، فقال لهم: (أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم، وإذا ما أنا صليت الظهر بالناس فقولوا إنا نستشفع برسول الله (ﷺ) إلى المسلمين بالمسلمين إلى رسول الله (ﷺ) في أبنائنا ونسائنا فسأعطيكم عند ذلك وأسأل لكم[4]. فلما صلى رسول الله (ﷺ) بالناس الظهر فتكلموا بالذي امرهم به رسول الله (ﷺ) فقال رسول الله (ﷺ): (أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم، فقال المهاجرون وما كان لنا فهو لرسول الله (ﷺ) وقال الأنصار: وما كان لنا فهو لرسول الله (ﷺ). فقال الاقرع بن حابس: أما أنا وبنو تيم فلا، وقال عيينة بن حصن أما أنا وبنو خزارة فلا، وقال عباس بن مرداس: أما أنا وبنو سليم فلا. فقالت بنو سليم: بلى ما كان لنا فهو لرسول الله (ﷺ) قال: يقول عباس بن مرداس لبني سُليم: وهنتموني. فقال رسول الله (ﷺ): (اما من تمسك منكم بحقه من هذا السبي فله بكل إنسان ست فرائض من أول سبي

---

(1) ابن هشام، المكان نفسه.

(2) ابن هشام، المكان نفسه.

(3) ابن هشام، المكان نفسه.

(4) ابن هشام، السيرة النبوية، 4/ 136-138.

أصيبه فردوا إلى الناس أبناءهم ونساءهم)[1].

وفي مقطع آخر يحدثنا ابن إسحاق عن غنائم حنين فيقول: وقال رسول الله (ﷺ) لوفد هوازن وسألهم عن مالك بن عوف، ما فعل؟ فقالوا: هو بالطائف مع ثقيف، فقال رسول الله (ﷺ): (اخبروا مالكاً أنه إن أتاني مسلماً رددت إليه أهله وماله وأعطيته مائة من الإبل)[2] فأتى مالك بذلك فخرج إليه من الطائف، وقد كان مالك خاف ثقيفاً على نفسه. أن يعلموا أن رسول الله (ﷺ) قال له ما قال فيحبسوه. فأمر براحلته فهيئت له، وامر بفرس له فاتى به إلى (الطائف) فخرج ليلاً. فجلس على فرسه فركض حتى أتى راحلته حيث أمر بها أن تحبس فركبها فلحق برسول الله (ﷺ) فأدركه بالجعرانة أو بمكة فرد عليه اهله وماله واعطاه مائة من الإبل وأسلم فحسن إسلامه. فقال مالك بن عوف حين أسلم:

ما إِنْ رأيتُ وَلا سَمعتُ بِمِثلِه في ... النَّاس كُلِّهم بِمِثْلِ مُحمَّدِ
أوفى وأَعطى للجَزيلِ إذاَ اجتُدى ... وَمَتى تَشَاءُ يُخبِرك عَمَّا فِي غَدِ[3]

فاستعمله رسول الله (ﷺ) على من أسلم من قومه. وتلك القبائل ثمالة وسلمة وفهم، فكان يقاتل بهم ثقيفاً. لا يخرج لهم سرح إلا أغار عليه حتى ضيق عليهم[4].

وفي مقطع آخر يحدثنا ابن إسحاق: ولما فرغ رسول الله (ﷺ) من رد سبايا حنين إلى أهلها ركب، واتبعه الناس يقولون: يا رسول الله، اقسم علينا فيأنا من الإبل والغنم. حتى ألجؤوه إلى شجرة فاختطفت عنه رداؤه. فقال: (ردوا عليَّ ردائي أيها الناس فوالله أن لو كان لكم بعدد شجر تهامة نعماً لقسمته عليكم ثم ما الفيتموني بخيلاً ولا جباناً ولا كذوباً) ثم قام إلى جنب بعير فأخذ وبرة من سنامه بين اصبعيه ثم رفعها، ثم قال: (أيها الناس والله ما لي من فيئكم ولا هذه الوبر إلا الخمس والخمس مردود عليكم، فأدوا الخياط، المخيط فإن الغلول يكون على أهله عاراً وناراً وشناراً يوم القيامة[5] ويضيف ابن إسحاق قائلاً: وأعطى

---

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، 4/ 136.
(2) ابن هشام، السيرة النبوية، 4/ 138.
(3) ابن هشام، المكان نفسه.
(4) ابن هشام، المكان نفسه.
(5) ابن هشام، السيرة النبوية، 4/ 140-142.

رسول الله (ﷺ) المؤلفة قلوبهم وكانوا أشرافاً من أشراف الناس، يتألفهم ويتالف بهم قومهم فأعطى أبا سفيان بن حرب مائة بعير، وأعطى ابنه معاوية مائة بعير وأعطى حكيم بن حزام مائة بعير وأعطى الحرث بن كلدة أخا بني عبد الدار مائة بعير[1] ويقدم ابن إسحاق قائمة مفصلة بكل من أعطاهم رسول الله (ﷺ) من هذه الغنائم ومنهم: وأعطى عباس بن مرداس أبا أباعر فسخطها يعاتب فيها رسول الله (ﷺ). فقال عباس بن مرداس يعاقب رسول الله (ﷺ):

كانت نِهاباً تلافيتُهَا بِكريَّ   عَلَى المُهر في الأجرعِ[2]

يحدثنا ابن إسحاق فيقول: فقال رسول الله (ﷺ): (اذهبوا به فاقطعوا عني لسانه) فأعطوه حتى رضي. فكان ذلك قطع لسانه الذي أمر به رسول الله (ﷺ)[3].

وفي مقطع مطول يقدم لنا ابن إسحاق قائمة أخرى باسماء جميع الرجال من أشراف قريش ممن أعطاهم رسول الله (ﷺ) من غنائم يوم حنين وحسب عشائرهم.

ومن الالتفاتات المهمة عند ابن إسحاق وهو تغطية الأحداث بشكل كامل في أية واقعة أو حدث تاريخي يتعلق بالسيرة النبوية المباركة. مما يدل على سعة الإلمام له في المادة التي يقدمها ويعرضها لقرائه. فهو يحدثنا بقوله: وحدثني أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر، عن مقسم بن القاسم مولى عبد الله بن الحرث ابن نوفل، قال: خرجت أنا وتليد بن كلاب الليثي حتى أتينا عبد الله بن عمرو بن العاص. وهو يطوف بالبيت معلقاً نعله بيده. فقلنا له: هل حضرت رسول الله (ﷺ) حين كلمه التميمي يوم حنين؟ قال: نعم، جاء رجل من بني تميم يقال له ذو الخويصرة، فوقف عليه وهو يعطي الناس، فقال: يا محمد، قد رأيت ما صنعت في هذا اليوم، فقال رسول الله (ﷺ): (أجل فكيف رأيت)؟ فقال: لم ارك عَدلت، قال: فغضب النبي (ﷺ)، ثم قال: (ويحك!!) إذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون؟ فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله ألا أقتله؟ فقال: (لا) دعه فإنه سيكون له شيعة يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من

(1) ابن هشام، المكان نفسه.
(2) ابن هشام، السيرة النبوية، 4/ 144.
(3) ابن هشام، السيرة النبوية، 4/ 145.

الرميّة ينظر في النصل فلا يوجد شيء ثم في القدح فلا يوجد شيء. ثم في الفوق فلا يوجد شيء سبق الفرث والدم[1].

وفي تعقيب لابن هشام على غنائم حنين يحدثنا فيقول: ولما أعطى رسول الله (ﷺ) ما أعطى في قريش وقبائل العرب ولم يعطِ الأنصار شيئاً قال حسان بن ثابت يعاتبه في ذلك:

زاد الهموم فماء العين منحدر سحاً إذا حفلته عبرة درر
وجداً بشماء إذ شماء بهكنه هيفاء لا دنس فيها ولا خور[2]

وفي مقطع آخر يحدثنا بن هشام عن غنائم حنين وموقف الأنصار منها يقول: حدثني زياد بن عبد الله قال: حدثنا بن إسحق، قال: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد، عن أبي سعيد الخدري، قال: لما أعطى رسول الله (ﷺ) ما أعطى من تلك العطايا في قريش وفي قبائل العرب. ولم يكن في الأنصار منها شيء. وجد هذا الحي من الأنصار في أنفسهم، حتى كثرت منهم القالة، حتى قال قائلهم: لقي والله رسول الله (ﷺ) قومه، فدخل عليه سعد بن عبادة. فقال: يا رسول الله، إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفيء، الذي اصبت، قسمت في قومك، واعطيت عطايا عظاماً في قبائل العرب ولم يك في هذا الحي من الأنصار منها شيء، قال: فأين أنت من ذلك يا سعد؟ قال يا رسول الله ما أنا إلا من قومي، قال: فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة قال: فخرج سعد فجمع الأنصار في تلك الحظيرة قال: فجاء رجال من المهاجرين فتركهم فدخلوا، وجاء آخرون فردهم، فلما اجتمعوا له اتاه سعد فقال: قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار.

فأتاهم رسول الله (ﷺ)، فحمد الله، وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: يا معشر الأنصار ما قاله بلغتني عنكم؟ وجدة وجدتموها عليَّ في أنفسكم؟ ألم أتكم ضلالاً فهداكم الله وعالةً فأغناكم الله وأعداء فألف بين قلوبكم؟ قالوا: بلى، الله ورسوله أمن وأفضل. ثم قال: (ألا تجيبوني يا معشر الأنصار)؟ قالوا: بماذا

---

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، 4/ 144-145.

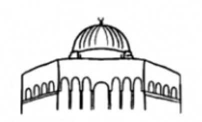
(2) ابن هشام، المكان نفسه.

نجيبك يا رسول الله؟ لله ورسوله المن والفضل. قال (ﷺ): (أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم ولصدقتم أتينا مكذباً فصدقناك ومخذولاً فنصرناك وطريداً فأويناك وعائلاً فآسيناك أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لعاعة من الدنيا تآلفت بها قوماً ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكم؟ فو الذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ولو سلك الناس شعباً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار. اللهم ارحم الأنصار وابناء الأنصار وابناء ابناء الأنصار، قال: فبكى القوم حتى اخضلوا لحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله قسماً وحظاً. ثم انصرف رسول الله (ﷺ) وتفرقوا[1].

لا غالب إلا الله

---

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، 4/ 148. للمزيد عن مواقف اهل السير والمغازي ينظر: السهيلي، الروض، 4/ 250-260.



ما جاء في غزوة أوطاس

وبعد غزوة حنين يحدثنا الإمام مسلم (رَحِمَهُ اللَّهُ) عن غزوة ارسل فيها رسول الله (ﷺ) أحد أصحابه إلى اوطاس لانجاز مهمة عسكرية فيقول: حدثنا عبد الله بن براد، أبو عامر الاشعري وأبو كريب، محمد بن العلاء اللفظ لابي عامر قالا: حدثنا أبو أسامة عن بريد عن أبي بردة: عن أبيه قال: لما فرغ النبي (ﷺ) من حنين. بعث أبا عامر على جيش إلى أوطاس. فلقي دريد بن الصمة فقتل دريد وهزم الله أصحابه. فقال أبو موسى، بعثني مع أبي عامر قال: فرمي أبو عامر في ركبته رماه رجل من بني جشهم بسهم فأثبته في ركبته فانتهيت فقلت: ياعم امن رماك؟ فأشار أبو عامر إلى أبي موسى فقال: إن ذاك قاتلي، تراه ذلك الذي رماني قال أبو موسى. فقصدت له فاعتمدته فلحقته. فلما رأني ولى عني ذاهباً؟ فاتبعته وجعلت أقول له: ألا تستحي؟ ألست أعرابياً؟ ألا تثبت؟ فكف فالتقيت أنا وهو. فاختلفنا أنا وهو ضربتين فضربته بالسيف فقتلته. ثم رجعت إلى أبي عامر فقلت: إن الله قد قتل صاحبك. قال: فانزع هذا السهم فنزعته فنزا منه الماء. فقال: يا ابن أخي انطلق إلى رسول الله (ﷺ) فأقرئه مني السلام، وقل له، يقول لك أبو عامر: استغفر لي.

قال: واستعملني أبو عامر على الناس ومكث يسيراً ثم إنه مات، فلما رجعت إلى النبي (ﷺ) دخلت عليه وهو في بيت على سرير مرمل وعليه فراش. وقد اثر رمال السرير بظهر رسول الله (ﷺ) وجنبيه، فأخبرته بخبرنا وخبر أبي عامر. وقلت له: قال: قل له يستغفر لي. فدعا رسول الله (ﷺ) بماء فتوضأ منه. ثم رفع يديه. ثم قال: (اللهم اغفر لعبيد أبي عامر) حتى رأيت بياض ابطيه ثم قال: (اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك أو من الناس) فقلت: ولي يا رسول الله فاستغفر. فقال النبي عليه الصلاة والسلام: (اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريماً) قال أبو بردة إحداهما لأبي عامر

والأخرى لأبي موسى[1].

أما الإمام البخاري (رَحِمَهُ اللَّهُ) فلقد تحدث عن هذه الغزوة وأفرد لها باباً سماه غزوة أوطاس فيحدثنا فيها فيقول: حدثنا محمد بن العلاء: حدثنا أبو أسامة، عن يزيد بن عبد الله، عن أبي بردة، عن أبي موسى (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قال: لما فرغ النبي عليه الصلاة والسلام من حنين بعث أبا عامر على جيش إلى أوطاس فلقي دريد بن الصمة. فقتل دريد وهزم الله أصحابه قال أبو موسى: وبعثني مع أبي عامر، فرمي أبو عامر في ركبته. رماه جشمي بسهم فأثبته في ركبته. فانتهت اليه. فقلت: ياعم من رماك؟ فأشار إلى أبي موسى فقال: ذاك قاتلي الذي رماني فقصدت له فلحقته فلما رأني ولى فاتبعته وجعلت أقول له: ألا تستحي. ألا تثبت. فكف. فاختلفنا ضربتين بالسيف فقتلته. ثم قلت لأبي عامر: قتل الله صاحبك. قال: فانزع هذا السهم فنزعته فنزا منه الماء. قال: يا ابن اخي: أقرئ النبي (ﷺ) السلام وقل له استغفر لي. واستخلفني أبو عامر على الناس. فمكث يسير ثم مات. فرجعت. فدخلت على النبي (ﷺ) في بيته على سرير مرمل وعليه فراش. قد اثر رمال السرير بظهره وجنبيه. فأخبرته بخبرنا وخبر أبي عامر. وقال: قل له استغفر لي، فدعا بماء فتوضأ ثم رفع يديه فقال: (اللهم اغفر لعبيد أبي عامر) ورأيت بياض إبطيه. ثم قال: (اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك من الناس فقلت: ولي استغفر. فقال: (اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريماً) قال: أبو بردة: إحداهما لأبي عامر والأخرى لأبي موسى[2] وذكرها في روايته مختصرتين[3].

أما أصحاب المغازي والسير في مقدمتهم الواقدي فلقد تحدث عن غزوة أوطاس قائلاً: قالوا: ولما انهزم الناس أتو الطائف وعسكر عسكر بأوطاس، وتوجه بعضهم نحو نخلة.. فبعث رسول الله (ﷺ) خيلاً تتبع من سلك منهم نخلة.. ويقول أيضاً ويدرك ربيعة بن رضيع بن اهبان بن ثعلبة بن ربيعة.. دريد بن الصمة..

---

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه باب فضائل أصحاب الشجرة (165/ 2498).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه في باب غزوة اوطاس (4323).

(3) ينظر صحيح البخاري . 6383، 2884

ليقتله، فلما أدركه قتله[1].

ويقول أيضاً عن يوم أوطاس: وكان رسول الله (ﷺ) قد بعث أبا عامر الأشعري في آثار من توجه إلى أوطاس. وعقد له لواء فكان معه في ذلك البعث سلمة بن الأكوع. فكان يحدث يقول: لما انهزمت هوازن عسكروا بأوطاس عسكراً عظيماً، تفرق منهم من تفرق وقتل من قتل وأسر من أسر، فانتهينا إلى عسكرهم فإذا هم ممتنعون[2].

ويضيف في مقطع آخر عن سير المواجهات العسكرية بين المسلمين وأعدائهم فيقول: فبرز رجل معلم بعمامةٍ صفراء. فقال أبو عامر: اللهم اشهد! قال: يقول الرجل: اللهم لا تشهد! فضرب أبا عامر فأثبته فاحتملناه وبه رمق. واستخلف أبا موسى الأشعري، وأخبر أبو عامر أبا موسى أن قاتله صاحب العمامة الصفراء. قالوا: وأوصى أبو عامر إلى أبي موسى، ودفع إليه الراية وقال: ادفع فرسي وسلاحي للنبي (ﷺ) فقاتلهم أبو موسى (رضي الله عنه) حتى فتح الله عليه وقتل قاتل أبي عامر[3].

مما سبق رأينا كيف أن أصحاب المغازي يقدمون معلومات تفصيلية عن الأحداث والاختصار عندهم قليل على عكس أصحاب الصحاح والسنن.

---

(1) ينظر الواقدي، المغازي 3/ 916.

(2) ينظر الواقدي، المكان نفسه.

(3) ينظر الواقدي، المكان نفسه.



ما جاء في باب غزوة النساء مع الرجال يوم حنين

ومن الأحداث المهمة التي رافقت غزوة حنين والتي لم يغب عن أصحاب الصحاح ذكرها هي مشاركة النساء في هذه الغزوة والتي افردوا لها باباً خاصاً بها سموه باب غزوة النساء مع الرجال فإن الإمام مسلم (رحمه الله) يحدثنا عن ذلك بقوله: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس. أن أم سليم اتخذت يوم حنين خنجراً فكان معها فرآها أبو طلحة. فقال: يا رسول الله هذه أم سليم معها خنجر فقال لها رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (ما هذا الخنجر؟) قالت: اتخذته إن دنا مني أحد من المشركين بقرت به بطنه فجعل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يضحك قالت: يا رسول الله اقتل من بعدنا من الطلقاء وانهزموا بك فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يا أم سليم: إن الله قد كفى وأحسن[1].

وفي رواية أخرى عن غزو النساء مع الرسول (صلى الله عليه وسلم) يحدثنا الإمام مسلم فيقول: حدثنا يحيى بن يحيى، أخبرنا جعفر بن سليمان عن ثابت: عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يغزو وبأُم سليم ونسوه من الأنصار معه إذا غزا فيسقين الماء ويداوين الجرحى[2].

وفي رواية مطولة عن دور النساء في غزوات الرسول (صلى الله عليه وسلم) يحدثنا الإمام مسلم (رحمه الله) فيقول: حدثنا عبد الله بن أبي عبد الرحمن الدارمي حدثنا عبد الله ابن عمرو (وهو أبو معمر النقري) حدثنا عبد الوارث حدثنا عبد العزيز (وهو بن صهيب) عن أنس بن مالك: قال: لما كان يوم أحد انهزم ناس من الناس عن النبي (صلى الله عليه وسلم) وأبو طلحة بين يدي النبي (صلى الله عليه وسلم) مجَّوب عليه بحجفة قال: وكان أبو طلحة رجلاً رامياً شديد النزع وكسر يومئذ قوسين أو ثلاثاً. قال: فكان الرجل يمر

(1) أخرجه الإمام البخاري في يوم حنين (4318-4319).
(2) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب غزو النساء مع الرجال (135/ 1810).

معه الجعبة من النبل فيقول: انثرها لأبي طلحة، قال: ويشرف نبي الله (ﷺ) ينظر إلى القوم. فيقول أبو طلحة: يا نبي الله بأبي أنت وأمي لا تشرف ليصيبك سهم من سهام القوم نحري دون نحرك. قال: ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وام سليم وإنهما لمشمرتان أرى خدم سوقهما تنقلان القرب على متونها ثم تفرغانه في أفواههم ثم ترجعان فتحملانها ثم تجيئان تفرغانه في افواه القوم. ولقد وقع السيف من يدي أبي طلحة إما مرتين أو ثلاثاً من النعاس[1] وأما الإمام البخاري (رحمه الله) فلقد أورد باباً لغزو النساء مع رسول الله (ﷺ) سماه (باب غزو النساء وقتالهن مع الرجال) يحدثنا فيه فيقول: حدثنا أبو معمر: حدثنا عبد الوارث: حدثنا عبد العزيز، عن أنس (رضي الله عنه) ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وام سليم وإنهما لمشمرتان. أرى خدم سوقهما تنقزان القرب، وقال غيره: تنقلان القرب على متونهما في أفواه القوم[2].

وفي باب مداواة النساء الجرحى في الغزو يقول الإمام البخاري (رحمه الله) (حدثنا عليُّ بن عبد الله. حدثنا بشر بن المفضل: حدثنا خالد بن ذكوان. عن الربيع بنت معوذ قالت: كنا مع النبي (ﷺ) نسقي ونداوي الجرحى ونرد القتلى[3] وفي رواية أخرى مطولة يحدثنا الإمام البخاري بقوله (حدثنا أبو معمر: حدثنا عبد الوارث، حدثنا عبد العزيز عن أنس (رضي الله عنه) قال: ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم وإنهما لمشمرتان أرى خدم سُوقهما تنقزان القرب على متونها تفرغانه في أفواه القوم[4].

أما أصحاب السير والمغازي فلقد تحدثوا عن دور المرأة في مغازي رسول الله (ﷺ) وفي مقدمتهم ابن إسحاق الذي تحدث عن هذا الموضوع بشكل طيب وخصوصاً في غزوة حنين قال: وحدثني عبد الله بن أبي بكر، أن رسول الله (ﷺ) التفت فرأى أم سليم ابنة ملحان. وكانت مع زوجها أبي طلحة. وهي حازمة وسطها ببرد لها. وإنها لحامل بعبد الله بن أبي طلحة ومعها جمل أبي

---

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب غزو النساء مع الرجال (136/ 1811).
(2) أخرجه الإمام البخاري في باب غزوة النساء مع الرجال (2880).
(3) أخرجه الإمام البخاري في باب مداواة النساء (2882).
(4) أخرجه الإمام البخاري في باب مناقب طلحة (رضي الله عنه) (4064، 3811).

طلحة. وقد خشيت أن يعزها الجمل فأدنت رأسه منها فأدخلت يدها في خزامته مع الخطام. فقال لها رسول الله (ﷺ): (أم سليم) قالت: نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله اقتل هؤلاء الذين ينهزمون عنك كما تقتل الذين يقاتلونك فإنهم لذلك أهل. فقال: يا رسول الله: (أو يكفي الله يا أم سليم: (اويكفي الله يا أم سليم) قال: ومعها خنجر فقال لها أبو طلحة: ما هذا الخنجر معك يا أم سليم؟ قالت: خنجر أخذته إن دنا مني من المشركين بعجته به، قال: يقول: أبو طلحة: ألا تسمع يا رسول الله ما تقول أم سليم الرميصاء[1]. ويضيف ابن إسحاق في مقطع آخر: ولما هزم الله المشركين من أهل حنين وامكن رسوله (ﷺ) منهم قالت امراة من المسلمين قد غلبت خيل الله خيل اللات وخيله أحق بالثبات[2].

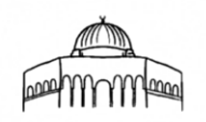
ما جاء في شهداء المسلمين في غزوة حنين

لم يذكر لنا أصحاب الصحاح شيئاً عن أسماء الشهداء الذين سقطوا يوم غزوة حنين لا باسمائهم ولا بعددهم. في حين نجد أن أصحاب السير والمغازي وفي مقدمتهم ابن إسحاق يقدم لنا قائمة باسماء شهداء المسلمين يوم حنين يقول: (وهذه تسمية من استشهد يوم حنين من المسلمين من قريش ثم من بني هاشم: أيمن بن عبيد، ومن بني أسد بن عبد العُزى: يزيد بن زمعة بن الأسود بن المطلب ابن أسد، جمح به فرس له يقال له الجناح فقتل ومن الأنصار: سراقة بن الحرث ابن عدي، من بني عجلان، ومن الأشعريين: أبو عامر الأشعري[3].

وفي مقطع آخر يقول: (ثم جمعت إلى رسول الله (ﷺ) سبايا حنين وأموالها وكان على الغنائم مسعود بن عمرو الغفاري وامر رسول الله (ﷺ) بالسبايا والأموال إلى الجعرانة فحبست بها[4].

ويذكر لنا ابن إسحاق مجموعة عديدة من الابيات الشعرية التي قيلت يوم حنين والتي لم يذكرها أبداً أصحاب الصحاح[5].

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، 4/ 75-76.
(2) ابن هشام، المكان نفسه.
(3) ابن هشام، السيرة النبوية، 4/ 92-93.
(4) ابن هشام، المكان نفسه.
(5) ابن هشام، السيرة النبوية، 4/ 92-126.



ما جاء في باب غزوة الطائف

ونحن نستمر في عرضنا لأحداث السيرة النبوية كما قدمها أصحاب الصحاح والسير والمغازي، وفي نهايات أحداثها بقي لنا الحديث عن بعض من الغزوات التي قادها رسول الله (ﷺ) بعد فتح مكة واستقرار الإسلام فيها. ومنها غزوة الطائف والتي عدها البعض من الغزوات المهمة لما رافقها من أحداث كانت في غايه الأهمية لا سيما قدوم القبائل العربية بعدها لإعلان ولاؤها للدولة الفتية الجديدة دولة الإسلام النموذجية.

يقول الإمام مسلم في معرض حديثه عن هذه الغزوة المباركة: حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة وزهير بن حرب وابن نمير جميعاً عن سفيان: قال زهير حدثنا سفيان ابن عينية عن عمرو، عن أبي العباس الشاعر الأعمى: عن عبد الله بن عمرو قال: حاصر رسول الله (ﷺ) أهل الطائف. فلم ينل منهم شيئاً فقال: (إنا قافلون إن شاء الله) قال أصحابه نرجع ولم نفتتحه: فقال لهم رسول الله (ﷺ): (اغدوا على القتال) فغدوا عليه فأصابهم جراح. فقال لهم رسول الله (ﷺ): (إنا قافلون غداً) قال فأعجبهم ذلك فضحك رسول الله (ﷺ)[1].

واما الإمام البخاري (رَحِمَهُ الله) تحدث عن هذه الغزوة بشكل مطول وذكر عدة روايات وافرد لها باباً سماه غزوة الطائف. فيذكرها في شوال سنة ثمان. قاله موسى بن عقبة يبدأ حديثه بالقول: حدثنا الحميدي: سمع سفيان: حدثنا هشام عن أبيه. عن زينب بنت أبي سلمة عن أمها أم سلمة (رَضِيَ اللهُ عَنْهَا): دخل عليَّ النبي (ﷺ) وعندي مخنث فسمعته يقول لعبد الله بن أبي أمية: يا عبد الله، ارأيت أن فتح الله عليكم الطائف غداً. فعليك بابنة غيلان فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان. وقال النبي (ﷺ) لا يدخلن هؤلاء عليكن[2].

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب غزوة الطائف (82/ 1778).
(2) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في باب غزوة الطائف (4324).

وفي رواية ثانية للإمام البخاري (رحمه الله) يقول حدثنا عليُّ بن عبد الله: حدثنا سفيان: عن عمرو. عن أبي العباس الشاعر الاعمى عن عبد الله بن عمرو لما حاصر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الطائف. فلم ينل منهم شيئاً قال: (إنا قافلون إن شاء الله) فثقل عليهم فقال: (اغدوا على القتال) فغدوا فاصابهم جراح فقال: (إنا قافلون غدا إن شاء الله) فأعجبهم فضحك النبي عليه الصلاة والسلام[1] وقال سفيان مرة: فتبسم[2].

وفي رواية أخرى يحدثنا الإمام البخاري (رحمه الله) فيقول: (قال عاصم: قلت: لقد شهد عندك رجلان حسبك بهما. قال: أجل: أما أحدهما فأول من رمى بسهم في سبيل الله. وأما الآخر فنزل إلى النبي ثالث ثلاثة وعشرين من الطائف)[3].

وفي رواية أخرى للإمام البخاري (رحمه الله) عن أحداث غزوة الطائف فيقول: (حدثنا محمد بن العلاء. حدثنا أبو أسامة عن بريد بن عبد الله، عن أبي بردة عن أبي موسى(رضي الله عنه) قال: كنت عند النبي عليه الصلاة والسلام وهو نازل بالجعرانة بين مكة والمدينة ومعه بلال. فأتى النبي عليه الصلاة والسلام أعرابي فقال: (ألا تنجزي ما وعدتني؟ فقال له: (أبشر) فقال: وقد كثرت عليَّ من أبشر. فأقبل أبو موسى وبلال كهيئة الغضبان. فقال: (رد البشرى فأقبلا أنتما) قالا: أقبلنا. ثم دعا بقدح فيه ماء. فغسل يديه ووجهه فيه ومج فيه، ثم قال: (إشربا منه وأفرغا على وجوهكما ونحوركما وأبشرا) فأخذا القدح ففعلا. فنادت أم سلمة من وراء الستر: (إن أفضلا لأمكما فأفضلا لها منه طائفة)[4].

وتحدث أصحاب السير والمغازي عن غزوة الطائف بحديث شيق وممتع وفي مقدمتهم ابن إسحاق الذي ذكرها بقوله وتحت عنوان غزوة الطائف بعد حنين في سنة ثمان: ولما قدم فلّ ثقيف الطائف أغلقوا عليهم أبواب مدينتها، وصنعوا الصنائع للقتال، ولم يشهد حنيناً ولا حصار الطائف عروة بن مسعود، ولا غيلان

---

(1) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في باب غزوة الطائف (4325).
(2) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، المكان نفسه، 6086، 7480
(3) أخرجه الإمام البخاري في باب غزوة الطائف (4324).
(4) أخرجه الإمام البخاري في باب غزوة الطائف (4328).

ابن سلمة، كانا بجرش يتعلمان صنعة الدبابات المجانيق والضبور[1]. ثم سار رسول الله عليه الصلاة والسلام إلى الطائف-حين فرغ من حنين- فقال كعب بن مالك حين أجمع رسول الله عليه الصلاة والسلام إلى الطائف:

قَضَينَا من تِهَامَةَ كُلّ رَيبٍ　　　وَخيبَر ثُمَّ أجمَعنَا السُّيوفَا

نُخبرها وَلَو نَطَقَت لَقَالت　　　قَوَاطِعهنَ دَوساً أو ثَقيفَاً[2]

وفي مقطع آخر يقول ابن إسحاق: وقال شداد بن عارض الجشمي في سير رسول الله عليه الصلاة والسلام إلى الطائف:

لا تنصروا اللات إن الله مهلكها　　　وكيف يبصر من هو ليس ينتصر.

قال ابن إسحاق: فسلك رسول الله عليه الصلاة والسلام على نخلة اليمانية ثم على قرن، ثم على المليح. ثم على بحرة الرَّغاء من لية. فابتنى بها مسجداً فصلى فيه[3].

وفي مقطع آخر يقول ابن إسحاق: فحدثني عمرو بن شعيب أنه أقاد يومئذ ببحة الدغاء حين نزلها بدم. وهو أول دم أُقيد به في الإسلام رجل من بني ليث قتل رجلاً من هذيل فقتله به[4]. ثم أمر رسول الله عليه الصلاة والسلام وهو بِلِيَّة - بحصن مالك بن عوف فهدم[5]. ثم سلك في طريق يقال لها الضيقة، فلما توجه فيها رسول الله عليه الصلاة والسلام سأل عن اسمها: فقال: (أما اسم هذه الطريق؟ فقيل له: الضيقة، فقال: (بل هي اليسرى) ثم خرج منها على نخب حتى نزل تحت سدرة يقال لها الصادرة.

قريباً من مال رجل من ثقيف، فأرسل إليه رسول الله عليه الصلاة والسلام: (إما أن تخرج. وإما أن نخرب عليك حائطك) فأبى أن يخرج. فأمر رسول الله عليه الصلاة والسلام بخرابه. ثم مضى رسول الله عليه الصلاة والسلام حتى نزل قريباً من الطائف فضرب به عسكره. فقتل ناس من أصحابه بالنبل. وذلك أن العسكر اقترب من حائط الطائف. فكانت النبل تنالهم. ولم يقدر المسلمون على

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، 4/ 122-124.
(2) ابن هشام، المكان نفسه.
(3) ابن هشام، المكان نفسه.
(4) ابن هشام، المكان نفسه.
(5) ابن هشام، المكان نفسه.

أن يدخلوا حائطهم، أغلقوه دونهم، فلما أصيب أولئك النفر من أصحابه بالنبل وضع عسكره عند مسجده الذي بالطائف اليوم فحاصرهم بضعاً وعشرين ليلة[1]. في حين ذكر بن هشام أنها (سبع عشرة ليلة)[2].

ويستمر ابن إسحاق في عرضه لأحداث الطائف فيقول: وكان مع رسول الله عليه الصلاة والسلام (امرأتان من نسائه إحداهما أم سلمة ابنة أبي أمية فضرب لهما قبتين ثم صلى بين القبتين. ثم أقام فلما أسلمت ثقيف بنى على مصلى رسول الله عليه الصلاة والسلام عمرو بن أمية بن وهب بن معتب بن مالك مسجداً)[3].. (فحاصرهم رسول الله عليه الصلاة والسلام وقاتلهم قتالاً شديداً وتراموا بالنبل[4]... ورماهم رسول الله عليه الصلاة والسلام بالمنجنيق، حدثني من أثق به أن رسول الله عليه الصلاة والسلام أول من رمى في الإسلام بالمنجنيق، رمى أهل الطائف)[5].

وفي مقطع آخر يحدثنا ابن إسحاق بقوله: (حتى إذا كان يوم الشدخة عند جدار الطائف دخل نفر من أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام تحت دبابة ثم زحفوا بها إلى جدار الطائف ليحرقوه. فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد محماة بالنار، فخرجوا من تحتها. فرمتهم ثقيف بالنبل فقتلوا منهم رجالا. فأمر رسول الله عليه الصلاة والسلام بقطع أعناب ثقيف، فوقع الناس فيها يقطعون. وتقدم أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة إلى الطائف منادياً ثقيفاً إن أمنونا حتى نكلمكم. فأمنوهما. فدعوا نساء من نساء قريش وبني كنانة ليخرجن إليهما وهما يخافان عليهن السباء فأبين، منهن آمنة بنت أبي سفيان. كانت عند عروة بن مسعود، له منها داود بن عروة)[6].

ولابن هشام رأي غير ذلك فهو يحدثنا ويقول: ويقال: إن أم داود ميمونة

---

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، 4/ 128-130.
(2) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.
(3) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.
(4) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.
(5) ابن هشام، السيرة النبوية، المكان نفسه.
(6) ابن هشام، السيرة النبوية، 4/ 129-130.

بنت أبي سفيان وكانت عند أبي مرة بن عروة بن مسعود فولدت له داود بن أبي مرة)[1].

وفي مقطع لابن إسحاق يقول: (قال: عمر بن الخطاب لرسول الله عليه الصلاة والسلام: وما أُذن لك فيهم يا رسول الله؟ قال: (لا) قال: أفلا أؤذن بالرحيل؟ قال: (بلى) قال: فأذن عمر بالرحيل. فلما استقل الناس نادى سعيد بن عبيد بن أسيد بن أبي عمرو بن علاج: ألا إن الحي مقيم)[2].

ونزل على رسول الله عليه الصلاة والسلام في إقامته ممن كان محاصراً بالطائف عبيد. فأسلموا، فأعتقهم رسول الله عليه الصلاة والسلام)[3]. ويقول ابن إسحاق وحدثني من لا أتهم، عن عبد الله بن مكرم عن رجال من ثقيف قالوا: لما أسلم أهل الطائف تكلم نفر منهم في أولئك العبيد. فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام: (لا أولئك عتقاء الله) وكان ممن تكلم فيهم الحرث بن كلدة)[4]. قال ابن هشام: وقد سمى ابن إسحاق من نزل من أولئك العبيد[5]. وقد قدم ابن إسحاق تسمية من استشهد من المسلمين مع رسول الله عليه الصلاة والسلام يوم الطائف: من قريش، ثم من بني أمية بن عبد شمس: سعيد بن سعيد ابن العاص بن أمية، وعرفطة بن جناب حليف لهم من الأسد بن الغوث. قال ابن هشام ويقال أين حباب... ومن بني تيم بن مرة: عبد الله بن أبي بكر الصديق رُمي بسهم فمات منه بالمدينة بعد وفاة رسول الله عليه الصلاة والسلام ومن مخزوم عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، من رمية رميها يومئذ)[6].... ومن بني عدي بن كعب: عبد الله بن عامر بن ربيعة، حليف لهم. ومن بني سهم بن عمرو: السائب ابن الحرث بن قيس بن عدي وأخوه عبد الله بن الحرث)[7].

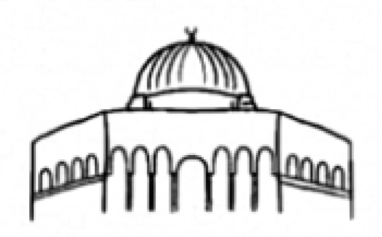
ومن بني سعد بن ليث: جُليمة بن عبد الله. هذا ما ذكره ابن إسحاق في مغازيه. واستشهد من الأنصار: من بني سلمة: ثابت بن الجذع. ومن بني النجار:

(1) ابن هشام، السيرة النبوية.
(2) ابن هشام، السيرة النبوية.
(3) ابن هشام، السيرة النبوية4،/ 132-134.
(4) ابن هشام، المكان نفسه.
(5) ابن هشام، المكان نفسه.
(6) ابن هشام، المكان نفسه.
(7) ابن هشام، المكان نفسه.

الحرث بن سهل بن أبي صعصعة ومن بني ساعدة: المنذر بن عبد الله، ومن الأوس: رُقيم بن ثابت بن ثعلبة بن زيد بن لوذان بن معاوية.

فجميع من استشهد بالطائف من أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام اثنا عشر رجلاً: سبعة من قريش، وأربعة من الأنصار، ورجل من بني ليث[1]. وهذا ما غفل عنه أصحاب الحديث.

هذا مجمل ما قدمه أصحاب الصحاح والمغازي فيما يتعلق بغزوة الطائف ويكاد الجميع يتفقون على خطوط واحدة ومسار واحد ويختلفون في التفاصيل الجانبية لا سيما تلك التي تتعلق بالأحكام الفقهية حيث إن أصحاب الصحاح يبنون عليها أحكاماً فقهية يستفاد منها في الحياة العامة للمسلمين. أما أصحاب السير فهم ليسوا بحاجة إلى دراسة الأحكام الفقهية المتعلقة بالأحداث التاريخية. وجزى الله الجميع الفضل والإحسان.



اللهم نجِّ المستضعفين من المؤمنين في
كل مكان، اللهم الطف بِ أمة نبيِّك
محمد ﷺ وارحمها وفرّج كربتها

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، 4/ 132-134.



ما جاء في باب عدد غزوات النبي عليه الصلاة والسلام

ويكاد أصحاب الصحاح ينهون أحاديثهم في كتاب الجهاد والسير عن غزوات الرسول عليه الصلاة والسلام وسراياه بالحديث عن عدد هذه الغزوات. في حين نجد أن أصحاب السير والمغازي يختلفون معهم في ذكر الغزوات والمغازي وهذا ما سنحاول بيانه في هذه الفقرة إلا أننا سنذكر أولاً ما ذكره أصحاب الصحاح عن عدد غزوات الرسول عليه الصلاة والسلام مبتدئين بما ذكره الإمام مسلم على اعتبار أن أصل الدراسة تقوم على ما قدمه الإمام مسلم ثم الإمام البخاري رحمهما الله ثم عقد مقارنة مع ما قدمه أصحاب المغازي والسير.

يقول الإمام مسلم (رَحِمَهُ اللهُ) في صحيحه في باب عدد غزوات النبي عليه الصلاة والسلام: حدثنا محمد بن المثنى وابن بشار-واللفظ لابن المثنى- قالا: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي إسحاق: إن عبد الله بن بريد خرج يستسقي بالناس فصلى ركعتين ثم استسقى. قال: فلقيت يومئذ زيد بن أرقم. وقال ليس بيني وبينه غير رجل أو بيني وبينه رجل: قلت له كم غزا رسول الله عليه الصلاة والسلام قال: تسع عشرة. فقلت كم غزوت أنت معه، قال: سبع عشرة غزوة. قال: فقلت فما أول غزوة غزاها قال: ذات العسير أو العشير[1].

وفي حديث آخر يحدثنا الإمام مسلم (رَحِمَهُ اللهُ) فيقول: (وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة. حدثنا يحيى بن آدم، حدثنا زهير عن أبي إسحاق عن زيد بن أرقم سمعه منه: (إن رسول الله عليه الصلاة والسلام غزا تسع عشرة غزوة، وحج بعدما هاجر حجة لم يحج غيرها (حجة الوداع)[2].

وفي حديث آخر يقول الإمام مسلم (رَحِمَهُ اللهُ) وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة.

---

(1) أخرجه الإمام مسلم في باب عدد غزوات النبي عليه الصلاة والسلام (143/ 1254).

(2) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب غزوات النبي (144/ 1254).

حدثنا زيد بن الحباب: وحدثنا سعيد بن محمد الجرمي. حدثنا أبو تميلة قالا جميعاً: حدثنا حسين بن واقد عن عبد الله بن بريدة: عن أبيه قال: غزا رسول الله عليه الصلاة والسلام تسع عشرة غزوة قاتل في ثمان منهن)[1].

وفي باب النبي وهديه ذكر لنا الإمام مسلم (رحمه الله) فيقول: حدثنا هداب بن خالد. حدثنا همام حدثنا قتادة: أن أنساً أخبره: أن رسول الله عليه الصلاة والسلام اعتمر أربع عمر كلهن في ذي القعدة إلا التي مع حجته: عمرة من الحديبية أو زمن الحديبية في ذي القعدة وعمرة من العام المقبل في ذي القعدة وعمرة من الجعرانة حيث قسم غنائم حنين في ذي القعدة وعمرة من حجته[2].

أما الإمام البخاري (رحمه الله) فقد ذكرها في باب سماه (باب: بعث النبي عليه الصلاة والسلام وذكر عدد غزوات النبي عليه الصلاة من عدة طرق منها: يقول: حدثنا بن سعيد: حدثنا حاتم، عن يزيد بن أبي عبيد قال: سمعت سلمة بن الأكوع يقول: غزوت مع النبي عليه الصلاة والسلام سبع غزوات، وخرجت فيما يبعث من البعوث تسع غزوات مرة علينا أبو بكر، ومرة علينا أسامة)[3].

ومن طريق آخر يحدثنا الإمام البخاري فيقول: (حدثنا محمد بن عبد الله حدثنا حماد بن مسعدة عن يزيد بن أبي عبيد، عن سلمة بن الأكوع قال: غزوت مع النبي عليه الصلاة والسلام سبع غزوات. فذكر: خيبر والحديبية ويوم حنين ويوم القرد. قال يزيد ونسيت بقيتهم[4].

وفي باب: كم غزا النبي عليه الصلاة والسلام يحدثنا الإمام البخاري (رحمه الله) عن عدد تلك الغزوات فيقول: حدثنا عبد الله بن رجاء: حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق قال: سألت زيد بن أرقم (رضي الله عنه) كم غزوت مع رسول الله عليه الصلاة والسلام؟ قال: سبع عشرة. قلت: كم غزا النبي عليه الصلاة والسلام؟ قال: تسع عشرة)[5].

---

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب غزوات النبي (146/ 1814).
(2) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في بيان عدد عمر النبي (217/ 1253).
(3) أخرجه الإمام البخاري في باب بعث النبي (4270).
(4) أخرجه الإمام البخاري في باب بعث النبي (4273).
(5) أخرجه الإمام البخاري في باب كم غزا النبي (4471).

أما أصحاب المغازي والسير فلهم رأي آخر في غزوات الرسول (ﷺ) وسراياه. فهم كانوا قد ذكروا كل ما يتعلق بغزوات الرسول عليه الصلاة والسلام وسراياه في مصنفاتهم بكل دقة وحرص وسنحاول هنا ذكر كل الغزوات التي عدها الواقدي من المغازي مع علمنا بأن تعريف الغزوة هي تلك الحملة العسكرية التي قادها الرسول عليه الصلاة والسلام لتحقيق هدف عسكري أو سياسي معين بنفسه. أو اناب أحداً عليها. وتتميز الغزوة بأنها ذو اعداد كثيرة من الصحابة.

في حين السرية هي لتحقيق أهداف محدودة أو هي من قبيل اظهار القوة العسكرية أو التأديبية للعدو المتربص بالمدينة وعددها اقل من عدد الذين يخرجون للغزوة. ويكون عليها أمير بأمرةٍ من الرسول (ﷺ). تحت هذا المسمى عرض أصحاب المغازي والسير كل غزوة أو سرية خرجت من المدينة لتحقيق أي من الأهداف السابق ذكرها.

ومن الغزوات التي ذكرها ابن إسحاق والواقدي وغيرهما من الغزوات وحسب التسلسل الأبجدي.

غزوة بن أبي العوجاء، غزوة الابواء، غزوة احد، غزوة أسامة إلى مؤتة، غزوة اكيدر بن عبد الملك بدومة الجندل، غزوة بئر معونة، غزوة بحران، غزوة بدر الأولى، غزوة بدر القتال، غزوة بدر الموعد، غزوة بني جذيمة، غزوة بني سليم ببحران، غزوة بني قريظة، غزوة بني قنيقاع، غزوة بني لحيان، غزوة بني النضير، غزوة بواط، غزوة تبوك، غزوة الحديبية، غزوة حمراء الاسد، غزوة حنين، غزوة خالد بن الوليد إلى بني عبد المدان، غزوة الخبط، غزوة الخندق، غزوة خيبر، غزوة دومة الجندل، غزوة ذات الرقاع، غزوة ذات السلاسل، غزوة ذي أمر، غزوة ذي العشيرة، غزوة الرجيع، غزوة زيد بن الحارثة إلى أم قرفة، غزوة زيد بن الحارثة إلى مؤتة، غزوة السويق، غزوة الطائف، غزوة عبد الله بن رواحة إلى اسير بن زارم، غزوة عليٍّ إلى فدك، غزوة عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل، غزوة الغابة، غزوة غالب بن عبد الله الكديد، غزوة غطفان، غزوة الفتح، غزوة قرارة الكدر، غزوة القرطاء، غزوة كعب بن عمير الغفاري إلى ذات

اطلاح، غزوة مؤتة، غزوة المريسيع، غزوة وادي القرى، غزوة ودان[1].

وبهذا جعلها الواقدي بحدود (59) غزوة، إلا أنه يذكر أن الغزوات التي خرج بها عليه الصلاة والسلام بنفسه لا تزيد على العشرين وأن التي قاتل فيها ثمان فهو بذلك يوافق أصحاب الصحاح على ما ذكروه فيما يخص الغزوات عددها والتي قاتل فيها رسول الله (ﷺ).

كما أحصى الواقدي السرايا التي أرسلها عليه الصلاة والسلام وسوف نذكرها كما ذكرها وحسب التسلسل الابجدي: سرية بن عتبك إلى بن أبي الحقيق، سرية أبي بكر بن أبي قحافة إلى نجد، سرية أبي عبيدة بن الجراح إلى ذي القصة، سرية أبي العوجاء السلمي، سرية أبي قتادة إلى إضم، سرية بشير بن سعد إلى الجناب، سرية بشير بن سعد إلى فدك، سرية بني عبد ثعلبة، سرية بني كلاب، سرية حمزة بن عبد المطلب إلى سيف بحر، سرية خالد بن الوليد إلى أكيدر، سرية إلى خثعم بتبالة، سرية الخبط، سرية خضرة، سرية زيد بن الحارثة إلى أم قرفة، سرية زيد بن الحارثة إلى أم سليم، سرية زيد بن الحارثة إلى حسمى، سرية زيد بن الحارثة إلى الطرف، سرية زيد بن الحارثة إلى العيص، سرية زيد بن الحارثة إلى وادي القرى، سرية سعد بن أبي وقاص إلى الخرار، سرية شجاع بن وهب إلى بني عامر الملوح، سرية عبد الله بن انيس لقتل خالد الهذلي، سرية عبد الله بن رواحة إلى اسير بن زرام، سرية عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل، سرية عبيدة بن الحارث إلى رابغ، سرية عصماء بنت مروان، سرية عكاشة بن محصن إلى الغمر، سرية علقمة بن مجزز، سرية عليٍّ بن أبي طالب إلى بني سعد بفدك، سرية عليٍّ بن أبي طالب إلى الفلس، سرية عليٍّ بن أبي طالب إلى اليمن، سرية عمر بن الخطاب إلى تربة، سرية عيينة بن حصن إلى بني تميم، سرية غالب بن عبد الله إلى الميفعة، سرية قتل أبي عفك، سرية قتل كعب بن الاشرف، سرية القردة، سرية قطبة بن عامر إلى خثعم، سرية كرز بن جابر إلى العرنيين، سرية كعب بن عمير إلى ذات اطلاح، سرية محمد بن مسلمة

(1) ينظر الأجزاء الثلاثة لكتاب المغازي بتحقيق مارسدن جونس/ طبعة بيروت.

إلى ذي القصة، سرية محمد بن مسلمة إلى القرطاء[1].

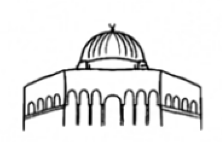
وهكذا يجمل الواقدي عدد سرايا رسول الله (ﷺ) والتي أرسلها لتحقيق أهداف معينة بحدود (46) سرية. ولم يذكر أصحاب الصحاح إلا عدداً محدوداً لهذه السرايا ولربما ذكروا تلك التي قامت عليها احكاماً فقهية معينة فمثلاً نجد الإمام البخاري (رحمه الله) في باب: بعث النبي أُسامة بن زيد (رضي الله عنهما) في مرضه الذي توفي فيه يقول: حدثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد عن الفضيل بن سليمان حدثنا موسى بن عقبة عن سالم عن ابيه: استعمل النبي (ﷺ) أسامة فقالوا فيه، فقال النبي (ﷺ): (قد بلغني انكم قلتم في أسامة وأنه أحب الناس إليَّ)[2].

وقد أورد الإمام مسلم حديثا بهذا الخصوص جاء فيه (حدثنا يحيى بن يحيى ويحيى بن أيوب وقتيبة وابن حجر (قال يحيى بن يحيى: أخبرنا، وقال الآخرون: حدثنا إسماعيل (يعنون بن حجر) عن عبد الله بن دينار: أنه سمع بن عمر يقول: بعث رسول الله (ﷺ) بعثاً وأمر عليهم أسامة بن زيد، فطعن الناس في إمرته. فقام رسول الله (ﷺ) فقال: (أن تطعنوا في إمرته فقد كنتم تطعنون في إمرة أبيه من قبل. وأيم والله إن كان خليقاً للإمرة وإن كان لمن أحب الناس إليّ. وإن هذا لمن أحب الناس إليّ بعده)[3].

وفي نفس الموضوع يحدثنا الإمام البخاري فيقول: (حدثنا إسماعيل حدثنا مالك بن عبد الله بن دينار، عن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما): أن رسول الله (ﷺ) بعث بعثاً. وامر عليهم أسامة بن زيد، فطعن الناس في إمارته. فقام رسول الله (ﷺ) فقال: (أن تطعنون في امارته فقد كنتم تطعنون في امارة أبيه من قبل وأيم الله أن كان لخليقاً للإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إليّ، وإن هذا لمن أحب الناس إليّ بعده)[4] ويبدو أن أصحاب الصحاح عرضوا عدداً من السرايا لمسائل تتعلق بقضايا فقهية أو ذات علاقة بأوامر من الرسول علية الصلاة والسلام ولم يعرجوا عليها جميعاً يبدو لخلوها من أحكام فقهية أو تشريعية والله أعلم.

---

(1) ينظر حول ذلك الاجزاء الثلاثة لكتاب المغازي، المكان نفسه.
(2) أخرجه الإمام البخاري، صحيحه في باب بعث أسامة (4468).
(3) أخرجه الإمام مسلم، صحيحه في باب فضائل زيد (62/ 4425).
(4) أخرجه الإمام البخاري، صحيحه في باب بعث أسامة (4496).



ما جاء في النفاق وموقف الرسول عليه الصلاة والسلام

تناولت كتب الصحاح حركة النفاق في المدينة على عهد رسول الله (ﷺ) بشيء من الايجاز إلا أنه مهم جداً بالنسبة لحديثنا عن السيرة النبوية عرضها فكتب الصحاح ذكرت المنافقين تحت باب في دعاء النبي (ﷺ) وصبره على أذى المنافقين لا سيما الإمام مسلم (رَحِمَهُ ٱللَّهُ) فهو يحدثنا بقوله: حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي ومحمد بن رافع وعبد بن حميد (اللفظ لابن رافع) (قال ابن رافع: حدثنا وقال الآخران: أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن عروة: أن أسامة بن زيد أخبره: أن النبي عليه الصلاة والسلام ركب حماراً عليه إلحاف، تحته قطيفة فدكية وأردف وراءه أسامة وهو يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج وذاك قبل وقعة بدر حتى مر بمجلس فيه اختلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود فيهم عبد الله بن أبي وفي المجلس عبد الله بن رواحة فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة، خمر عبد الله بن أبي أنفه بردائه ثم قال: لا تغبروا علينا فسلم عليهم النبي (ﷺ) ثم وقف فنزل فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن فقال عبد الله بن أبي: أيها المرء لا أحسن من هذا أما إن ما تقول حقاً، فلا تؤذنا في مجالسنا وارجع إلى رحلك. فمن جاءك منا فاقصص عليه. فقال عبد الله بن رواحة اغشنا في مجالسنا فإنا نحب ذلك قال: فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى هموا أن يتواثبوا. فلم يزل النبي (ﷺ) يخفضهم ثم ركب دابته حتى دخل على سعد بن عبادة فقال: (أي سعد! الم تسمع إلى ما قال أبو حباب؟ (يريد عبد الله بن أبي) قال كذا وكذا قال: اعف عنه يا رسول الله! واصفح فو الله: لقد اعطاك الله الذي أعطاك ولقد اصطلح أهل هذه البحيرة أن يتوجوه فيعصبوه بالعصابة. فلما رد الله ذلك بالحق الذي اعطاكه، شَرِقَ بذلك فذلك فعل به ما رأيت فعفا عنه النبي عليه الصلاة والسلام[1].

---

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب دعاء النبي (116/ 1798).

وفي رواية أخرى يحدثنا الإمام مسلم (رَحِمَهُ ٱللَّهُ) عن موقف مشابه لهذا فيقول: حدثني محمد بن رافع حدثنا حجين (يعني بن المثني) حدثنا ليث عن عقيل، عن ابن شهاب في هذا الإسناد بمثله: وزاد: وذلك قبل أن يسلم عبد الله. حدثنا محمد بن عبد الأعلى القيسي حدثنا المعتمر، عن أبيه، عن أنس بن مالك: قيل للنبي (ﷺ): لو أتيت عبد الله بن أبي؟ فانطلق إليه وركب حماراً وانطلق المسلمون، وهي أرض سبخة فلما أتاه النبي (ﷺ) قال: إليك عني فو الله لقد أذاني نتن حمارك قال: فقال رجل من الأنصار: والله لحمارُ رسول الله (ﷺ) أطيب ريحا منك، قال فغضب لعبد الله رجل من قومه قال: فغضب لكل واحد منهما أصحابه قال: فكان بينهم ضرب بالجريد وبالأيدي وبالنعال[1] قال: فبلغنا أنها نزلت فيهم: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا﴾.

وفي صحيح الإمام البخاري (رَحِمَهُ ٱللَّهُ) والذي هو متقدم على الإمام مسلم (رَحِمَهُ ٱللَّهُ) يذكر حول نفس الموضع العديد من الروايات منها في باب ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا﴾ يقول: حدثنا أبو اليمان: أخبرنا شعيب عن الزهري قال: أخبرني عروة بن الزبير: أن أسامة بن زيد (رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا) أخبره: أن رسول الله (ﷺ) ركب حماراً على قطيفة فدكية، وأردف أسامة بن زيد وراءه، يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج، قبل وقعة بدر قال: حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن أبي سلول وذلك قبل أن يسلم عبد الله ابن أبي، فإذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود والمسلمين وفي المجلس عبد الله بن رواحة فلما غشيت عجاجة الدابة، خمر عبد الله بن أبي أنفه بردائه ثم قال: لا تغبروا علينا فسلم رسول الله (ﷺ) عليهم ثم وقف. فنزل فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن. فقال عبد الله بن أبي سلول: أيها المرء إنه لا أحسن مما تقول إن كان حقاً. فلا تؤذنا به في مجالسنا إرجع إلى رحلك. فمن جاءك فاقصص عليه، فقال عبد الله بن رواحة: بلى يا رسول الله، فأغشنا به في مجالسنا فإنا نحب ذلك، فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يثارون. فلم يزل النبي (ﷺ) يخفضهم حتى سكنوا ثم ركب النبي ﷺ

(1) أخرجه الإمام مسلم في باب دعاء النبي (1799).

دابته فسار حتى دخل على سعد بن عبادة، فقال له النبي (ﷺ): (يا سعد الم تسمع ما قال أبو حباب يريد عبد الله بن أبي قال: كذا وكذا) قال: سعد بن عبادة: يا رسول الله، اعف عنه، واصفح عنه فو الذي أنزل عليك الكتاب، لقد جاء الله بالحق الذي أنزل عليك لقد اصطلح أهل هذه البحيرة على أن يتوجوه فيعصبوه بالعصابة[1].

فلما أبى الله ذلك بالحق الذي أعطاك الله شرق بذلك. فذلك فعل به ما رأيت. فعفا عنه رسول الله (ﷺ) وكان النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما امرهم الله ويصبرون على الاذى قال الله ﷻ ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا﴾ وقال: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ وكان النبي عليه الصلاة والسلام يتأول العفو ما امره الله به. حتى اذن الله فيهم. لما غزا رسول الله (ﷺ) بدراً فقتل الله به صناديد كفار قريش قال: بن أبي بن سلول ومن معه من المشركين وعبدة الأوثان: هذا أمر قد توجه. فبايعوا الرسول عليه الصلاة والسلام على الإسلام فأسلموا[2].

وذكر الإمام البخاري العديد من الروايات في أبواب شتى كلها تخص هذا الموقف مثلا في باب كنية المشرك يقدم لنا رواية مطولة نفس الرواية التي عرضها في باب ولتسمعن من الذين[3] وفي باب التسليم في مجلس فيه اخلاط من المسلمين والمشركين يقدم لنا الإمام رواية مطولة حول نفس الموضوع[4].

أما فيما يتعلق بما ذكره أصحاب السير والمغازي عن المنافقين فإننا سوف نلحظ أنهم لم يفردوا لهؤلاء الناس باباً خاصاً أو عنواناً معيناً بل ذكروهم ضمن ثنايا عرضهم لوقائع أحداث السيرة النبوية وركزوا على مواقفهم المشينة من الدعوة ورسولها ومن أبرز زعمائها. وجاء أول ذكر لهم بعد أحداث غزوة بدر

---

(1) أخرجه الإمام البخاري، في صحيحه باب (ولتسمعن: 4566).

(2) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في باب (ولتسمعن) (4566).

(3) ينظر صحيح باب كنية المشرك (6207).

(4) ينظر الصحيح باب التسليم (6254).

التي انتصر فيها رسول الله (ﷺ) على كفار قريش عندما امرهم سيدهم وزعيمهم عبد الله بن أبي بن سلول بالدخول فيما دخلت فيه الناس ألا وهو (الإسلام) ثم إن الذي ميز أصحاب السير والمغازي عن الصحاب الصحاح هو تحقيق الربط السياسي والعقائدي ما بين حركة النفاق وزعمائها واليهود الذين كانوا يسكنون المدينة. فلقد عرضوا هذا الرابط بشكل جيد وملفت للنظر وقد نقول إنهم بذلك تفوقوا على غيرهم ممن كتب في أحوال اليهود والمنافقين في المدينة على عصر رسول الله (ﷺ).

وهنا سنحاول تقديم ملخص عن احوال المنافقين في عصر الرسالة كما قدمه أصحاب السير والمغازي ومنذ نشأت هذه الحركة لقد اقترنت حركة النفاق المناهضة لدعوة التوحيد باسم أحد أبرز زعماء الخزرج عبد الله بن أبي بن سلول ابن مالك بن الحارث بن عبيد الخزرجي[1].

إن من الأسباب التي دعت بن سلول إلى معاداة الإسلام ورسوله أنه كان يتطلع إلى الملك في يثرب يحدثنا بن هشام عن ذلك فيقول: (فكان قومه قد نظموا له الخرز ليتوجوه ثم يملكوه عليهم. فجاءهم الله تعالى برسوله (ﷺ) وهم على ذلك، فلما انصرف قومه عنه إلى الإسلام ضعن، ورأى أن رسول الله (ﷺ) استبله ملكاً[2] وهنا يقدم لنا بن هشام أسباب بن سلول لمعاداة الإسلام ورفضه لقبول التوحيد ثم يستكمل في موضع آخر فيقول ولا سيما عندما استشار عليه أصحابه في تعامله مع بن أبي فقالوا له: (لو أتيت عبد الله بن أبي بن سلول، فانطلق إليه وركب حماراً وانطلق معه المسلمون وحاول أن يؤلف قلبه إلى الإسلام عن طريق الزيارة.... ومر بأرض سبخة فلما أتاه النبي (ﷺ) قال: إليك عني فو الله لقد أذاني نتن حمارك[3]. ونزل الرسول عليه الصلاة والسلام فسلم ثم جلس قليلاً فتلا القرآن ودعا إلى الله ﷻ وحذر وبشر وانذر قال وهو زام لا يتكلم حتى إذا فرغ الرسول عليه الصلاة والسلام[4] رد عليه بن سلول بقوله: ياهذا لا أحسن من حديثك هذا إن كان حقاً فاجلس في بيتك فمن جاءك فحدثه اياه، ومن

---

(1) ينظر الزركلي، الاعلام، 2/ 65.
(2) ابن هشام، السيرة النبوية، 2/ 216.
(3) ابن هشام، المكان نفسه.
(4) ابن هشام، المكان نفسه.

لم يأتك فلا تغته به، ولا تأته في مجلسه بما يكره منه[1] ويحدثنا بن هشام عن كيفية دخول بن سلول واعوانه الإسلام فيقول: فلما رأى قومه قد أبو إلا الإسلام دخل فيه كارهاً مصراً على نفاق وضعن[2] فهو لم يسلم ولم يؤمن أبداً حتى وفاته في حدود السنة التاسعة للهجرة[3] ومما لا شك فيه أن عددا من مشركي الأوس والخزرج قد دخلوا في الإسلام لدوافع مشابهة إلى حد كبير لدوافع بن سلول، وحاربوا تحت زعامته الإسلام ورسوله بكل الطرق والوسائل المتاحة لديهم آنذاك.

ويعرض لنا بن هشام في معرض حديثه عن رموز هذه الحركة الشخصية الثانية ويعرضها بأنه (ابو عامر عبد عمرو بن صيفي بن النعمان وهو من بني ضبيعة ابن زيد إحدى عشائر عمرو بن عوف من الأوس وكان سيداً مطاعاً في قومه. وكان قبل هجرة الرسول (ﷺ) إلى المدينة يناظر أهل الكتاب ويتتبع الرهبان ويألفهم ويكثر الشخوص إلى الشام. حتى سمي بالراهب وقيل إنه أتى الرسول عليه الصلاة والسلام حين قدم المدينة قال ما هذا الدين الذي جئت به؟ فقال: (جئت بالحنيفية دين إبراهيم) قال: فأنا عليها فقال له رسول الله (ﷺ): (إنك لست عليها) قال: بلى... قال: إنك أدخلت يا محمد في الحنيفية ما ليس منها[4] فرد عليه الرسول عليه الصلاة والسلام بالقول: (ما فعلت ولكنني جئت بها بيضاء نقية)[5] وعندها عادى أبو عامر الرسول عليه الصلاة والسلام عداً علنياً ولما وجد نفسه لا يقوى على منازلة الرسول عليه الصلاة والسلام هاجر إلى مكة واخذ يؤلب المشركين على الإسلام ورسوله حتى أمر رسول الله (ﷺ) أصحابه بالقول: (لاتقولوا الراهب ولكن قولوا الفاسق)[6].

ويستمر بن هشام في حديثه عن ابرز زعماء المنافقين فيذكر لنا شخصية ثالثة ألا وهي قيس بن الأسلت (صيفي) وعده بن هشام من الشخصيات المناوئة

---

(1) ابن هشام، المكان نفسه.
(2) ابن هشام، المكان نفسه.
(3) ابن هشام، المكان نفسه.
(4) ابن هشام، السيرة النبوية، 2/ 281.
(5) ابن هشام، السيرة النبوية، 2/ 217-218.
(6) ابن هشام، المكان نفسه.

للإسلام ورسوله وبقوله عنه (كان شاعراً وسيداً مطاعاً في قومه أوس الله، توقف بهم عن الإسلام فلم يزل على ذلك حتى غزوة الأحزاب. حيث رأى قومه فساد رأيه لأنه حال بينهم وبين الإسلام فدخلوا من دونه الإسلام[1].

ويمكن القول إن حركة المنافقين في المدينة هم عبارة عن طائفة من عرب المدينة من الأوس والخزرج وممن انضوى إليهم من يهود البطون اليهودية الصغيرة. وإن هؤلاء جميعاً التفوا حول بن سلول كزعيم لهم لتحقيق طموحاتهم السياسية والقبلية وتحالف معه لنفس الدوافع يهود المدينة (يهود بني قينقاع والنضير وقريظة) ولذا ظل خطر هذا التحالف قوياً على دولة المدينة ما ظل اليهود في المدينة. ولما تم إجلاء اليهود بقبائلهم الثلاث عن المدينة بسبب خروقاتهم ونقضهم لعهدهم مع رسول الله (ﷺ) ضعف كثيراً أمر هذه الحركة البائسة ولم يعد يخشى رسول الله (ﷺ) هذه الحركة وأعوانها على الإسلام ودولته. ويقدم لنا ابن هشام صوراً عديدة عن هذا التحالف بين المنافقين واليهود. فلما قرر الرسول عليه الصلاة والسلام إجلاء يهود قينقاع بسبب معاداتهم للإسلام ورسوله ونقضهم عهدهم معه وإعلان ذلك صراحة أمرهم الرسول عليه الصلاة والسلام بالجلاء وترك المدينة[2] يحدثنا الواقدي عن التحرك السريع لابن سلول لإنقاذهم فأرسل إليهم (يأمرهم أن يتحصنوا. وزعم أنه سيدخل معهم فخذلهم ولم يدخل معهم ولزموا حصنهم فما رموا بسهم ولا قاتلوا حتى نزلوا على صلح رسول الله (ﷺ) وحكمه[3].

وفي مقطع آخر يحدثنا بن هشام: أن حصار الرسول عليه الصلاة والسلام ليهود قينقاع استمر خمسة عشر يوماً[4] ولما ادرك بن سلول عجزه عن مساندتهم أو تقديم المساعدة لهم تدخل بنفسه عند رسول الله (ﷺ) للحصول على عفوه عنهم (فجاء إلى رسول الله (ﷺ) فأدخل يده في جيب درع الرسول (ﷺ) وراح يكرر رجاءه للرسول (ﷺ) بالعفو عنهم فرد عليه الرسول (ﷺ) وقد كست وجهه

---

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، 2/ 46-47.

(2) ينظر ابن هشام، السيرة النبوية، 2/ 217-230.

(3) الواقدي، المغازي، تحقيق مارسدن جونس، طبعة بيروت 1/ 178-179.

(4) ابن هشام السيرة النبوية، 2/ 428-429.

ملامح الغضب (ويحك أرسلني) فأجاب بن سلول: لا والله لا أرسلك حتى تحسن من موالي اربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع قد منعوني من الاحمر والأسود تحصدهم في غداة واحدة إني امرؤ أخشى الدوائر[1].

ويعقب القرآن الكريم على موقف بن سلول بالقول ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [المائدة: 52] وعلى العموم كان موقف المنافقين وزعيمهم بن سلول من الرسول عليه الصلاة والسلام موقفاً معادياً له عداء علنياً لا يخلو من الكيد والدس والمكر والخبث والدهاء.

ويحدثنا بن هشام عن مواقفهم في يوم أُحد والتي أدت إلى إلحاق أذى شديد بالمسلمين ورسولهم، لا سيما عندما أمر الرسول عليه الصلاة والسلام بالخروج إلى خارج المدينة ولم يتبنَّ رأي بن سلول القاضي بالبقاء في المدينة والدفاع عنها من الداخل ويحدثنا بن هشام عن الحجة التي قدمها بن سلول لتبرير انسحابه بثلث القوة التي خرجت مع رسول الله عليه الصلاة والسلام إلى أحد: (لقد أشرتُ عليه بالرأي ونصحته وأخبرته أن هذا رأي من مضى من آبائك. فأبى أن يقبله وأطاع هؤلاء الغلمان الذين معه)[2].

يقول بن هشام على الرغم من ذلك فإن هذا الموقف الذي قام به بن سلول أدى إلى فقدان مكانته في المدينة بين عموم أهلها فيحدثنا ويقول لا سيما بعد أحداث أُحد وما لحق بها من أذى للمسلمين ورسولهم (قال ابن سلول: أيها الناس. هذا رسول الله عليه الصلاة والسلام بين أظهركم أكرمكم الله وأعزكم به فانصروه وعزروه، اسمعوه وأطيعوه. ثم جلس حتى إذا صنع يوم أُحد ما صنع ورجع بالناس قام يفعل كما كان يفعله. فأخذ المسلمون بثيابه من نواصيه وقالوا: اجلس أي عدو الله لست بذلك أهل وقد صنعت ما صنعت. فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول: لكنما قلت بجراً، إن قمت أشدد أمره)[3].

(1) ابن هشام، المكان نفسه.
(2) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 8-9.
(3) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 57.

وهكذا يستمر مسلسل المنافقين وزعيمهم في إلحاق الأذى بالإسلام ورسوله ويستمر أصحاب السير والمغازي بتقديم عرض شيق متماسك عن أوضاع هذه الحركة وزعيمها بن سلول فيحدثنا الواقدي وعندما حاصر رسول الله عليه الصلاة والسلام يهود النضير لامتناعهم عن الخروج من المدينة واستعدادهم لقتاله، لم يستطع بن سلول أن يقوم بأي عمل من شأنه نصرة إخوانه اليهود الذين خدعوا به، عندما أرسل لهم يقول: أن لا تخرجوا من دياركم وأموالكم وأقيموا في حصونكم فإن معي ألفين من قومي وغيرهم من العرب يدخلون معكم حصنكم فيموتون عن آخرهم قبل أن يوصل إليكم)[1]. ولما تأكد لليهود خذلانه لهم اضطروا إلى التسليم بشروط الرسول عليه الصلاة والسلام والخضوع لأوامره بالجلاء ومغادرتهم المدينة)[2].

وقد صور لنا القرآن الكريم عمق هذا التحالف البائس والذي خذله الله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَـٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الحشر: 11- 12].

وفي غزوة الأحزاب (الخندق) لعب بن سلول وأعوانه دوراً سيئاً ضد المسلمين وضد رسول الله عليه الصلاة والسلام فلقد تحدثت كتب السير والمغازي عن الأدوار السلبية التي قام بها هؤلاء مع إخوانهم يهود قريظة: فعندما أحاطت فلول الأحزاب بالمدينة من كل مكان، أسرع يهود بني قريظة إلى نقض عهدهم مع رسول الله عليه الصلاة والسلام وراحت حملات المنافقين تتصاعد من كل مكان واشتد الخوف على الذراري والنساء حتى عظم البلاء على المسلمين ورسولهم فراح المنافقون يقولون كما حدثنا عنهم بن هشام(كان محمداً يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط)[3]. بل وراح فريق آخر منهم يقول للرسول عليه الصلاة والسلام: (يا

(1) الواقدي، المغازي، 2/ 368-369. (2) الواقدي، المكان نفسه.
(3) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 238-239.

رسول الله إن بيوتنا عورة من العدو، فائذن لنا أن نخرج فنرجع إلى ديارنا فإنها خارج المدينة)[1]. وهكذا عظم البلاء على المسلمين واشتد خوفهم وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم.

ويستمر أتباع بن سلول في خلق الأزمات والمشاكل للمسلمين ورسولهم عليه الصلاة والسلام فبعد تصفية الوجود اليهودي في المدينة سلك هؤلاء أسلوباً جديداً في معاداتهم للمسلمين فعمدوا إلى إثارة روح العصبية القبلية بين سكان المدينة والأطراف المجاورة لها فبعد أن حقق رسول الله عليه الصلاة والسلام أهدافه المرجوة في غزوة بني المصطلق وبينما المسلمون يستعدون للعودة إلى المدينة حصل حادث طفيف في ذاته إلا أن أبعاده كانت خطيرة جداً. إذ تنازع أجير لعمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يدعى جهجهاه بن مسعود وآخر لأحد الأنصار يدعى سنان بن وبر الجهني عندما كانوا يسقون خيلهم من عين ماء فاقتتلا فصرخ الجهني: يا معشر الأنصار وصرخ جهجهاه: يا معشر المهاجرين)[2]. وتشابك القوم[3].

وينقل لنا بن هشام نص حديث بن سلول في هذه الواقعة: (فأظهر على وجهه علائم الغضب وقال مخاطباً قومه: أوقد فعلوها؟ نافرونا وكاثرونا في بلادنا والله ما عدنا وجلابيب قريش هذه إلا كما قال الأول: سمن كلبك يأكلك، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. ثم أقبل عن من حضره من قومه. فقال لهم: هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموه بلادكم وقاسمتموه أموالكم. أما والله لو أمسكتم عنهم ما في يدكم لتحولوا إلى دار غيركم)[4]. وجاء القرآن الكريم ليثبت هذا القول ويفضح بن سلول الذي كاد لقوله هذا أن يخلق مشكلة كبيرة بين سكان المدينة: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۝٧ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ

(1) الواقدي، المغازي، 2/ 488، ابن سعد، الطبقات، 2/ 68-70.
(2) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 334.
(3) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 334-335.
(4) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 334-335.

إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ [المنافقون: 7- 8].

ولم يكن يكتفي بن سلول بما فعله بل عمد بالإساءة إلى أم المؤمنين السيدة عائشة أم المؤمنين (رضي الله عنها) بحديث سماه بن هشام حديث الإفك[1]. وفيه يستعرض كافة الملابسات من تولى كبره وشارك فيه بحديث مطول يمكن الرجوع إليه. ويحدثنا كذلك عن موقف الرسول عليه الصلاة والسلام من هؤلاء فيقول: (أيها الناس ما بال رجال يؤذونني في أهلي ويقولون عليهم غير الحق، والله ما علمت منهم إلا خيراً ويقولون لرجل والله ما علمت منه إلا خيراً وما يدخل بيتاً من بيوتي إلا وهو معي)[2].

ويستمر بن هشام يحدثنا عن أحوال المنافقين وبكل دقة فهو الآن يحدثنا عن دورهم السلبي في المشاركة في غزوة تبوك وبناء مسجد الضرار لإلحاق أكبر ضرر بالمسلمين. ففي هذه الظروف الحرجة دبت الحيوية من جديد في نفوس أتباع بن سلول وأتباع أبي عامر الفاسق فأخذوا يشيعون الأخبار الكاذبة والتي تدفع إلى بث روح التردد وعدم المشاركة في هذه الغزوة يقول ابن هشام: (وقال بعض المنافقين لبعضهم لا تنفروا في الحر زهادة في الجهاد وشكاً وإرجافاً برسول الله عليه الصلاة والسلام)[3].

ويقول الواقدي: (جاء ناس من المنافقين يستأذنون رسول الله عليه الصلاة والسلام من غير علة، فأذن لهم)[4]. وبلغ عدد من استأذن رسول الله عليه الصلاة والسلام منهم بضعة وثمانين رجلاً[5].

وهذا ابن إسحاق يقول إن الرسول عليه الصلاة والسلام قال للجد بن

---

(1) ينظر ابن هشام حيث ذكره بشكل مطول كما فعل أصحاب الصحاح ولقد سماه حديث الإفك، 3/ 342-350.

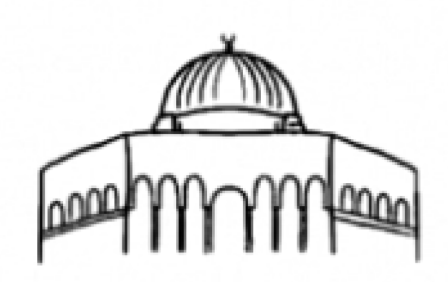
(2) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 345-346.

(3) ابن هشام، السيرة النبوية، 4/ 170-172.

(4) الواقدي، المغازي، 3/ 955.

(5) الواقدي، المغازي، 3/ 955-956- ابن سعد، الطبقات، 2/ 165.

قيس: (يا جد هل لك العام في جلاد بني الأصفر. فقال: يا رسول الله أو تأذن لي ولا تفتني)[1]. وقد عقب القرآن على قول الجد بقوله: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة: 49].



اللهم نجِّ المستضعفين من المؤمنين في كل مكان، اللهم الطف بِأمة نبيِّك محمد ﷺ وارحمها وفرّج كربتها

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، 4/ 170-171.



ما جاء في إجلاء يهود المدينة

بعد هذا العرض المبسط لأحوال المنافقين في المدينة على عهد رسول الله عليه الصلاة والسلام، أصبح من المهم الحديث عن اليهود وإجلائهم عن المدينة المنورة وهذا ما سنحاول عرضه من خلال كتب الصحاح مبتدئين بصحيح الإمام مسلم (رحمه الله) الذي ذكرهم في باب إجلاء اليهود من الحجاز يقول حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا ليث عن سعيد بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي هريرة أنه قال بينا نحن في المسجد إذ خرج إلينا رسول الله عليه الصلاة والسلام فقال: (انطلقوا إلى يهود، فخرجنا معه، حتى جئناهم. فقام رسول الله عليه الصلاة والسلام فناداهم، فقال: (يا معشر يهود: أسلموا تسلموا) فقالوا: قد بلغت، يا أبا القاسم: فقال لهم رسول الله عليه الصلاة والسلام: (ذلك أريد أسلموا تسلموا) فقالوا: قد بلغت، يا أبا القاسم) فقال لهم رسول الله عليه الصلاة والسلام: (ذلك أريد. فقال لهم الثالثة، فقال: (اعلموا أنما الأرض لله ورسوله. وإني أريد أن أجليكم من هذه الأرض فمن وجد منكم بماله شيئاً فليبعه وإلا فاعلموا أن الأرض لله ورسوله)(1).

وفي حديث آخر ينقله لنا الإمام مسلم (رحمه الله) حول نفس الموضوع يقول: وحدثني محمد بن رافع وإسحاق بن منصور قال ابن رافع: حدثنا وقال إسحاق: أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا بن جريج عن موسى بن عقبة عن نافع، عن بن عمر أن يهود بني النضير وقريظة حاربوا رسول الله عليه الصلاة والسلام فأجلى رسول الله عليه الصلاة والسلام بني النضير، وأخر قريظة ومنّ عليهم حتى حاربت قريظة بعد ذلك. فقتل رجالهم وقسم نساءهم وأولادهم وأموالهم بين المسلمين، إلا أن بعضهم لحقوا برسول الله عليه الصلاة والسلام فأمنهم وأسلموا وأجلى رسول الله

(1) أخرجه الإمام مسلم في باب إجلاء اليهود (61-1765).

عليه الصلاة والسلام يهود المدينة كلهم بني قينقاع (وهم قوم عبد الله بن سلام) ويهود (بني حارثة وكل يهود كان بالمدينة)[1].

وقد عرض الإمام البخاري أحوال يهود في المدينة بعديد من الروايات منها مطولة ومنها مختصرة وعلى سبيل المثال في باب قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾ [الكهف: 54]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ يقول حدثنا قتيبة حدثنا الليث عن سعيد عن أبيه عن أبي هريرة قال: بينا نحن في المسجد خرج رسول الله عليه الصلاة والسلام فقال: (انطلقوا إلى يهود) فخرجنا معه حتى جئنا بيت المدارس فقام النبي عليه الصلاة والسلام فناداهم فقال: (يا معشر يهود أسلموا تسلموا) فقالوا: قد بلغت يا أبا القاسم، قال: (فقال لهم رسول الله عليه الصلاة والسلام: ذلك أريد (أسلموا تسلموا) فقالوا: قد بلغت يا أبا القاسم فقال لهم رسول الله عليه الصلاة والسلام: (ذلك أريد) ثم قالها الثالثة. فقال: (اعلموا أنما الأرض لله ورسوله وإني أريد أن أجليكم من هذه الأرض. فمن وجد منكم بماله شيئاً فليبعه وإلا فاعلموا أنما الأرض لله ورسوله)[2]. وذكر الإمام نفس الرواية في باب: في بيع المكره ونحوه...)[3].

وفي رواية مطولة يحدثنا الإمام البخاري (رحمه الله) فيقول: في باب حديث بني النضير: ومخرج رسول الله عليه الصلاة والسلام إليهم في دية الرجلين وما أرادوا من الغدر برسول الله عليه الصلاة والسلام.

وقال الزهري: عن عروة بن الزبير: كانت على رأس ستة أشهر من وقعة بدر قبل أحد وقوله الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى

(1) أخرجه الإمام مسلم في باب إجلاء اليهود (62-1766).
(2) أخرجه الإمام البخاري في باب (وكان الإنسان أكثر شيء جدلا) (7348).
(3) أخرجه الإمام البخاري في باب (بيع المكره ونحوه) (6944).

ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [الحشر: 2]. وجعله ابن إسحاق بعد بئر معونة وأُحد: حدثنا إسحاق بن نصر: حدثنا عبد الرزاق: أخبرنا ابن جريج عن موسى بن عقبة. عن نافع عن عمر (رضي الله عنهما) قال: حاربت النضير وقريظة فأجلى النضير وأخر قريظة ومنّ عليهم. حتى حاربت قريظة فقتل رجالهم وقسم نساءهم وأولادهم وأموالهم بين المسلمين إلا بعضهم لحقوا بالنبي عليه الصلاة والسلام فأمنهم وأسلموا. وأجلى يهود المدينة كلهم. بني قينقاع وهم رهط عبد الله بن سلام. ويهود بني حارثة. وكل يهود المدينة)[1]. وفي رواية أخرى مختصرة يحدثنا الإمام البخاري عن إجلاء يهود المدينة[2].

ومن الروايات المهمة التي قدمها الإمام مسلم (رحمه الله) في باب جواز قطع أشجار الكفار وتحريقها يقول: حدثنا يحيى بن يحيى ومحمد بن رمح قالا: أخبرنا الليث (ح) وحدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا ليث عن نافع عن عبد الله أن رسول الله عليه الصلاة والسلام حرق نخل بني النضير وقطّع وهي البويرة)[3].

زاد قتيبة وابن رمح في حديثهما. فأنزل الله عز وجل: ﴿مَا قَطَعۡتُم مِّن لِّينَةٍ أَوۡ تَرَكۡتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيُخۡزِيَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [الحشر: 5]. وعند الإمام البخاري (رحمه الله): (حدثنا آدم: حدثنا الليث عن نافع عن بن عمر (رضي الله عنهما) قال: حرق رسول الله عليه الصلاة والسلام نخل بني النضير وقطّع وهي البويرة، فنزلت ﴿مَا قَطَعۡتُم مِّن لِّينَةٍ أَوۡ تَرَكۡتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيُخۡزِيَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾.

ما جاء في باب قتل كعب بن الأشرف طاغوت اليهود

يحدثنا الإمام مسلم (رحمه الله) في صحيحه عن مقتله في هذا الباب فيقول: حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي وعبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن المسور الزهري كلاهما عن بن عيينة واللفظ للزهري حدثنا سفيان عن عمرو سمعت جابراً يقول: قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: (من لكعب بن الأشرف؟ فإنه

---

(1) أخرجه الإمام البخاري في باب (حديث بني النضير) (4028).

(2) أخرجه الإمام البخاري في باب (إخراج اليهود) (3167).

(3) أخرجه الإمام مسلم في باب جواز قطع أشجار الكفار (30-3021).

قد أذى الله ورسوله، فقال محمد بن سلمة: يا رسول الله، أتحب أن أقتله؟ قال: نعم قال: ائذن لي فلأقل. قال: (قل) فأتاه فقال له: وذكر ما بينهما. وقال: إن هذا الرجل قد أراد صدقه وقد عنانا، فلما سمعه قال: وأيضاً والله لتملُّنَّه قال: إنا قد أتبعناه الآن ونكره، أن ندعه حتى ننظر إلى أي شيء يصير أمره. قال: وقد أردت أن تسلفني سلفاً قال: فما ترهنني؟ قال: ما تريد قال: ترهنني نساءكم. قال: أنت أجمل العرب أنرهنك نساءنا: قال له: ترهنوني أولادكم قال: يسب ابن أحدنا فيقال: رهن في وسقين من تمر ولكن نرهنك اللامة-يعني السلاح- قال: فنعم. وواعده أن يأتيه بالحارث وأبي عبس بن جبر وعباد بن بشر قال: فجاؤوا فدعوه ليلاً فنزل إليهم. قال سفيان: قال غير عمرو قالت له أمرأته: إني لأسمع صوتاً كأنه صوت دم. قال: إنما هذا محمد بن مسلمة ورضيعه وأبو نائلة. ابن الكريم لو دعي إلى طعنه ليلاً لأجاب قال محمد: إني إذا فسوف أمد يدي إلى رأسه. فإذا استمكنت منه فدونكم قال: فلما نزل، نزل وهو متوشح. فقالوا: نجد منك ريح الطيب. قال: نعم تحتي فلانة هي أعطر نساء العرب. قال: فتأذن لي أن أشم منه قال: نعم فشم فتناول فشم ثم قال: أتأذن لي أن أعود؟ قال فاستمكن من رأسه ثم قال دونكم. قال فقتلوه)[1].

وكان الإمام البخاري قد ذكره في صحيحه في باب قتل كعب بن الأشرف يقول حدثنا عليُّ بن عبد الله. حدثنا سفيان قال: عمرو سمعت جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما) يقول قال: رسول الله عليه الصلاة والسلام: (من لكعب بن الأشرف. فإنه قد أذى الله ورسوله) فقام محمد بن مسلمة فقال: فأذن لي أن أقول شيئاً، قال: (قل) فأتاه محمد بن مسلمة. فقال: إن هذا الرجل قد سألنا صدقة. وإنه قد عنانا وإني قد أتيتك أستسلفك، قال: وأيضاً والله لتملنه. قال: إنا قد اتبعناه. فلا نحب أن ندعه حتى تنظر إلى أي شيء يصير شأنه. وقد أردنا أن تسلفنا وسقاً أو وسقين، وحدثنا عمرو غير مرة فلم يذكر وسقاً أو وسقين فقلت له فيه وسقاً؟ فقال: أرى فيه وسقاً أو وسقين. فقال: نعم. أرهنوني، قالوا: أي شيء تريد؟ قال: أرهنوني نساءكم. قالوا: كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب.

(1) أخرجه الإمام مسلم في باب قتل كعب (1801).

قال: فأرهنوني أبناءكم قالوا: كيف نرهنك أبناءنا. فيسب أحدهم فيقال: رهن بوسق أو وسقين هذا عار علينا ولكنا نرهنك اللامة. قال سفيان يعني السلاح فواعده أن يأتيه. فجاءه ليلاً ومعه أبو نائلة، وهو أخو كعب من الرضاعة. فدعاهم إلى الحصن. فنزل إليهم فقالت له أمرأته: أين تخرج هذه الساعة؟ فقال: إنما هو محمد بن مسلمة ورضيعي أبو نائلة. إن الكريم لو دعي إلى طعنه بليل لأجاب قال: ويدخل محمد بن مسلمة معه رجلان. قيل لسفيان: سماهم عمرو؟ قال: سمى بعضهم قال عمرو: جاء معه برجلين. وقال غير عمرو: أبو عبس بن جبر والحارث بن أوس وعباد بن بشر. قال عمرو: جاء معه برجلين فقال: إذا ما جاء فإني فائلٌ بشعره فأشمه. فإذا رأيتموني استمكنت من رأسه فدونكم فاضربوه. وقال مرة: ثم أشمكم. فنزل إليهم متوشحاً وهو ينفخ منه ريح الطيب. فقال: ما رأيت كاليوم ريحاً. أي أطيب. وقال غير عمرو: قال: عندي أعطر نساء العرب وأكمل العرب. قال: عمرو: فقال: أتأذن لي أن أشم رأسك؟ قال: نعم فشمه ثم أشم أصحابه. ثم قال: أتأذن لي؟ قال: نعم فلما استمكن منه قال: دونكم فقتلوه. ثم أتوا النبي عليه الصلاة والسلام فأخبروه)[1].

وفي باب رهن السلاح يقدم لنا الإمام البخاري (رَحِمَهُ ٱللَّهُ) رواية مختصرة عن مقتل كعب[2]. ولقد خص الإمام البخاري في صحيحه في باب: قتل أبي رافع عبد الله بن أبي الحقيق ويقال: سلام بن أبي الحقيق. كان بخيبر ويقال: في حصن له بأرض الحجاز وقال لزهري: هو بعد كعب بن الأشرف منفرداً عن غيره.

يحدثنا الإمام عن مقتله فيقول: حدثني إسحاق بن نصر: حدثنا يحيى بن آدم حدثنا بن أبي زائدة عن أبيه عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب (رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا) قال: بعث رسول الله عليه الصلاة والسلام رهطاً إلى أبي رافع. فدخل عليه عبد الله بن عتيك بيته ليلاً وهو نائم فقتله[3].

وفي رواية ثانية يحدثنا الإمام البخاري فيقول حدثنا يوسف بن موسى:

(1) أخرجه البخاري في صحيحه في باب قتل كعب بن الأشرف (4037).
(2) أخرجه البخاري في صحيحه في باب رهن السلاح (2510).
(3) أخرجه الإمام البخاري في باب قتل أبي رافع (4038).

حدثنا عبيد الله بن موسى. عن إسرائيل عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب قال: بعث رسول الله عليه الصلاة والسلام إلى أبي رافع اليهودي رجالاً من الأنصار. فأمر عليهم عبد الله بن عتيك وكان أبو رافع يؤذي رسول الله عليه الصلاة والسلام ويعين عليه وكان في حصن له بأرض الحجاز. فلما دنوا منه. وقد غربت الشمس وراح الناس بسرحهم فقال: عبد الله لأصحابه: اجلسوا مكانكم. فإني منطلق ومتلطف للبواب لعلي أن أدخل، فأقبل حتى دنا من الباب. ثم تقنع بثوبه كأنه يقضي حاجة. وقد دخل الناس. فهتف به البواب. يا عبد الله إن كنت تريد أن تدخل فادخل فإني أريد أن أغلق الباب فدخلت فكمنت. فلما دخل الناس أغلق الباب ثم علق الأغاليق على وتد. قال: فقمت إلى الأغاليق فأخذتها ففتحت الباب وكان أبو رافع يسمر عنده وكان في علالي له.

فلما ذهب عنه أهل سمرة صعدت إليه. فجعلت كلما فتحت باباً أغلقت عليَّ من داخل. قلت: إن القوم نذروا بي لم يخلصوا إليّ حتى أقتله. فانتهيت إليه. فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله لا أدري أين هو من البيت. فقلت يا أبا رافع. قال: من هذا؟ فأهويت نحو الصوت فأضربه ضربة بالسيف وأنا دهش. فما أغنيت شيئاً وصاح فخرجت من البيت. فأمكث غير بعيد. ثم دخلت إليه. فقلت: ما هذا الصوت يا أبا رافع؟ فقال: لأمك الويل. إن رجلاً في البيت ضربني قبل بالسيف. قال: فأضربه ضربة أثخنته ولم أقتله. ثم وضعت ضبة السيف في بطنه حتى أخذ في ظهره. فعرفت أني قتلته فجعلت أفتح الأبواب باباً باباً. حتى انتهيت إلى درجة له، فوضعت رجلي. وأنا أرى أني قد انتهيت إلى الأرض. فوقعت في ليلة مقمرة فأنكسرت ساقي فعصبتها بعمامة. ثم انطلقت حتى جلست على الباب فقلت: لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتلته؟ فلما صاح الديك قام الناعي على السور فقال: أنعي أبا رافع تاجر أهل الحجاز. فانطلقت إلى أصحابي فقلت النجاء فقد قتل الله أبا رافع. فانتهيت إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام فحدثته. فقال: (أبسط رجلك) فبسطت رجلي فمسحها فكأنها لم أشتكها قط)[1].

وفي رواية ثانية مطوله يحدثنا فيها الإمام البخاري عن مقتل أبي رافع فيها

(1) أخرجه الإمام البخاري في باب قتل أبي رافع (4039).

اختلاف بسيط[1].

وما زال حديثنا مع أصحاب الصحاح فيما يتعلق بأحوال اليهود في الحجاز وفي باب جواز قتال من نقض العهد وجواز إنزال أهل الحصن على حكم حاكم عدل أهل للحكم يحدثنا الإمام عن حكم الصحابي الجليل سعد بن معاذ بيهود قريظة: يقول وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ومحمد بن المثنى وابن بشار(وألفاظهم متقاربة) (قال أبو بكر: حدثنا غُندر عن شعبة. وقال الآخران: حدثنا محمد بن جعفر. حدثنا شعبة عن سعد بن إبراهيم. قال: سمعت أبا أمامة بن سهل بن حنيف قال: سمعت أبا سعيد الخدري قال: نزل أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ فأرسل رسول الله عليه الصلاة والسلام إلى سعد فأتاه على حمار فلما دنا قريباً من المسجد قال رسول الله عليه الصلاة والسلام للأنصار(قوموا إلى سيدكم) (أو خيركم) ثم قال: (إن هؤلاء نزلوا على حكمك قال: فقتل مقاتلتهم وتُسبي ذريتهم. قال: فقال النبي عليه الصلاة والسلام (قضيت بحكم الله) وربما قال: (قضيت بحكم الملك)[2].

وفي رواية أخرى يحدثنا الإمام مسلم (رَحِمَهُ ٱللَّهُ) فيها عن حكم سعد بن معاذ (رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ) بحق يهود قريظة وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ومحمد بن العلاء الهمداني كلاهما عن بن نمير. قال ابن العلاء. حدثنا بن نمير حدثنا هشام عن أبيه عن عائشة قالت: أصيب سعد يوم الخندق رماه رجل من قريش يقال له بن العرقة. رماه في الأكحل فضرب عليه رسول الله عليه الصلاة والسلام خيمة في المسجد يعوده من قريب. فلما رجع رسول الله عليه الصلاة والسلام من الخندق وضع السلاح فاغتسل فأتاه جبريل وهو ينفض رأسه من الغبار. فقال وضعت السلاح والله ما وضعناه أخرج إليهم فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام (فأين؟) فأشار إلى بني قريظة فقاتلهم رسول الله عليه الصلاة والسلام فنزلوا على حكم رسول الله عليه الصلاة والسلام فرد رسول الله عليه الصلاة والسلام الحكم

---

(1) أخرجه الإمام البخاري في باب قتل أبي رافع (4040).

(2) أخرجه الإمام مسلم في باب جواز قتال من نقض العهد (64/ 1768).

فيهم إلى سعد قال: فإني أحكم فيهم أن يقتل المقاتله وأن تسبى الذرية والنساء وتقسم أموالهم)[1].

ذكرنا آنفاً الأحاديث التي وردت عند أصحاب الصحاح عن اليهود الذين سكنوا بلاد الحجاز وبعضاً من مواقفهم من الرسول عليه الصلاة والسلام وأصحابه، ولاحظناها بأنها امتازت بالقصر والاختصار وعدم التكرار والمبنية على مواقف فقهية وليس تاريخية.

وعليه لا بد لنا هنا أن نذكر الروايات التي قدمها أصحاب السير والمغازي طالما كانت الدراسة تقوم على عرض مقارن لما ذكره أصحاب الصحاح والسير والمغازي.

يذكر لنا أصحاب الصحاح والسير والمغازي أن الرسول عليه الصلاة والسلام، عندما دخل مدينة يثرب وادع اليهود وعاهدهم وأثرهم على دينهم وأموالهم وسميت تلك الموادعات بالعهود وإن لم تذكر هذه المصادر نصها[2]. ويبدو أن قبائل اليهود الثلاث(قينقاع والنضير وقريظة) لم تعاقد الرسول عليه الصلاة والسلام في وقت واحد. فقد ذكرت المصادر أن بني قينقاع حين أجلاهم الرسول عليه الصلاة والسلام بعد بدر كانوا أول من نقض العهد مع رسول الله عليه الصلاة والسلام[3]. يقول الواقدي وتلميذه بن سعد: إن اليهود بعد مقتل كعب بن الأشرف وإهدار دم اليهود في المدينة، فزعوا وجاؤوا إلى الرسول عليه الصلاة والسلام وقالوا له: (لقد طرق صباحنا الليلة وهو سيد من سادتنا قتل غيلة بلا جرم ولا حدث علمناه)[4]. فرد عليهم الرسول عليه الصلاة والسلام فقال: (إنه لو قرّ كما قرّ غيره ممن هو على مثل رأيه ما اغتيل ولكنه نالنا بالأذى وهجانا بالشعر ولا يفعل هذا أحد منكم إلا كان السيف له)[5]. ودعاهم إلى أن يكتب

(1) أخرجه الإمام مسلم في باب جواز قتال من نقض العهد (65-1769).

(2) ابن هشام، السيرة النبوية، 2/ 119-122، الواقدي، المغازي، 1/ 176-177، البلاذري، الفتوح، 1/ 17-18.

(3) ابن هشام، المكان نفسه، الواقدي، المكان نفسه، البلاذري، المكان نفسه.

(4) الواقدي، المغازي، 1/ 191-195، البلاذري، فتوح، 16/ 17.

(5) الواقدي، المكان نفسه، ابن هشام، السيرة النبوية 2/ 439.

بينهم كتاباً ينتهون إلى ما فيه فكتبوا بينهم وبينه كتاباً)[1].

بيد أن تلك المعاهدات التي وقعها الرسول عليه الصلاة والسلام مع قبائل اليهود الثلاث الكبرى لم تشترط عليهم مشاركة المسلمين في القتال ضد أي من يحاول الاعتداء على المدينة وسكانها. فلم يكن الرسول عليه الصلاة والسلام يثق باليهود حتى يشترط عليهم أن يشاركوا معه في أية حرب تقع على المدينة. ولقد ذكر لنا الواقدي نصاً يفيد بذلك أن الرسول عليه الصلاة والسلام رفض الاستعانة باليهود لا سيما النضير عندما خرج إلى أحد قائلاً: (لا يستنصر أهل الشرك على أهل الشرك)[2].

١- إجلاء يهود بني قينقاع:

كان أول صدام مبكر بين رسول الله عليه الصلاة والسلام واليهود هو ذلك الذي حدث في أعقاب معركة بدر. فقد ذكر الطبري أن الرسول عليه الصلاة والسلام حين حارب مشركي قريش وانتصر عليهم في معركة بدر أظهر له اليهود الحسد والبغي وقالوا: لم يلق محمد من يحسن القتال.ولو لقينا لاقى عندنا قتالاً لا يشبه قتال أحد)[3]. ويستكمل الواقدي إجلاء اليهود بقوله: (فجمعهم الرسول عليه الصلاة والسلام في سوق بني قينقاع وقال لهم: يا معشر اليهود احذروا من الله ﷻ مثل ما نزل بقريش من النقمة وأسلموا فإنكم قد عرفتم أني نبي مرسل، تجدون ذلك في كتابكم وفي عهد الله إليكم، قالوا: يا محمد إنك ترى أنا مثل قومك لا يغرنك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب. فأصبت منهم فرصة، إنا والله لئن حاربتنا لتعلمن إنا نحن الناس)[4].

ويقدم لنا الواقدي عديداً من الروايات التي تذهب إلى إعلان يهود قينقاع التحدي لسلطة الرسول عليه الصلاة والسلام بل راحوا يقرنون ذلك بالفعل، لا سيما اعتداء أحدهم على امرأة مسلمة كانت في سوقهم ولما حاول أحد

---

(1) الواقدي، المكان نفسه. وينظر كذلك السهيلي، الروض الآنف، 3/ 239.

(2) الواقدي، المغازي، 1/ 215-216.

(3) الطبري، تاريخ الرسل، 2/ 479.

(4) الواقدي، المغازي، 1/ 176، البلاذري، الأنساب، 1/ 308. الطبري، المكان نفسه.

المسلمين الدفاع عنها قتلوه)[1]. عندها قال الرسول عليه الصلاة والسلام: (إني أخاف يهود بني قينقاع بسبب مواقفهم)[2]. وسار لقتالهم وهم بذلك كما يحدثنا الواقدي عنهم: (نبذوا العهد إلى النبي عليه الصلاة والسلام وحاربوا وتحصنوا في حصنهم)[3]. لذا لم يجد الرسول عليه الصلاة والسلام مناصاً من إعلان الحرب عليهم ومقاتلتهم ويحدثنا الواقدي فيقول: وكان ذلك على رأس عشرين شهراً للهجرة)[4]. ويستكمل حديثه الواقدي فيقول: (واستمر حصارهم لمدة خمس عشرة ليلة)[5]. وفي مقطع لابن هشام يحدثنا بقوله: (فما رموا بسهم ولا قاتلوا حتى نزلوا على صلح رسول الله عليه الصلاة والسلام وحكمه)[6]. كما يؤكد ابن هشام فشل كل المحاولات التي قام بها بن سلول لنجدة يهود قينقاع عسكرياً. فما كان منه إلا أن يطلب من رسول الله عليه الصلاة والسلام أن يمنّ عليهم ولا ينفذ فيهم العقاب فوافق الرسول عليه الصلاة والسلام على ذلك وتركوا المدينة إلى أذرعات في بلاد الشام[7].

مما سبق عرضه رأينا بوضوح أن منهج أصحاب السير والمغازي يختلف تماماً عن منهج أصحاب الصحاح في عرض أية مادة تتعلق بسيرة الرسول عليه الصلاة والسلام حيث نجد أن أصحاب السير والمغازي أسهبوا كثيراً في ذكر التفاصيل التي لها علاقة بالحدث في حين أن أصحاب الصحاح اختصروا أحاديثهم بشكل واضح إلا فيما يتعلق بقضية فقهية.

٢- إجلاء يهود بني النضير:

قامت سياسة الرسول عليه الصلاة والسلام في المدينة على الرغبة في التعايش السلمي مع اليهود على اساس ما تضمنته من مبادئ واحكام. غير أن

---

(1) الواقدي، المغازي، 1/ 176-177، ابن هشام، السيرة النبوية، 2/ 426.
(2) الواقدي، المكان نفسه. (3) الواقدي، المكان نفسه.
(4) الواقدي، المغازي، 1/ 177، ابن هشام، المكان نفسه.
(5) الواقدي، المكان نفسه، البلاذري، فتوح، 1/ 17.
(6) ابن هشام، السيرة النبوية، 2/ 423-430
(7) ابن هشام، المكان نفسه، الواقدي، المغازي، 1/ 180، البلاذري، الأنساب، 1/ 309-310.

اليهود جميعاً لم يبادلوا الرسول عليه الصلاة والسلام مثل هذه الرغبة وأخذوا يتحينون الفرص للإساءة إليه بل التعاون والتحالف مع اعدائه المنافقين والمشركين وبخاصة بعد معركة أُحد. حيث أفسحت نتيجة المعركة مجالاً لليهود وغيرهم من أعداء الإسلام ورسوله أن ينفسون عن احقادهم وراحوا يطلقون الاقوال السيئة ويقولون كما حدثنا الواقدي: (ما محمد إلا طالب ملك، ما أصيب هكذا نبي قط. أصيب في بدنه واصيب في أصحابه[1] ولم يقف اليهود عند هذا الحد في اشعال الحرب النفسية ضد سكان المدينة بل إنهم مضوا إلى أبعد من ذلك مستغلين ما حصل في حادثتي الرجيع وبئر معونة وتأليب الأعراب الوثنيين ضد الإسلام ورسوله. فقرر زعماؤهم التآمر على حياة الرسول عليه الصلاة والسلام وقتله وهذا ما حدثنا به الواقدي: (أن الرسول (ﷺ) ذهب إلى بني النضير في أطراف المدينة بصحبة عدد من كبار أصحابه يستعتبهم في ديه قتيلين من بني عامر كان أحد الصحابة قد قتلهما خطأ في أعقاب نجاته من حادثة بئر معونه[2] يحدثنا الواقدي عن تفاصيل هذه المؤامرة بقوله: (فأظهر له اليهود الترحيب وطلبوا منه الجلوس ليصنعوا له طعاماً فجلس الرسول عليه الصلاة والسلام مستنداً ظهره إلى بيت من بيوتهم فقالوا: انكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه فمن يعلو على هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيريحنا منه؟ فقال عمرو بن جحاش بن كعب: أنا لذلك وصعد لتنفيذ المهمة. فنزل الوحي الأمين لكي يخبر الرسول عليه الصلاة والسلام بما أراد القوم فما لبث أن غادر المكان عائداً إلى المدينة ولما انتظره أصحابه طويلاً ولم يعد، قاموا في طلبه. وفي الطريق لقوا رجلاً مقبلاً من المدينة أعلمهم أنه رأى رسول الله (ﷺ) داخلاً. ولما التقوا به أخبرهم بما اعتزمه اليهود من الغدر به[3].

كما قام شاعرهم كما يحدثنا بهذا البلاذري: (كعب بن الاشرف بتحريض المشركين من قريش في اشعاره وبكائه أصحاب القليب)[4] كما أنهم اعانوا أبا سفيان عندما هاجم المسلمين في أطراف المدينة إذ قتل أحد الصحابة الأنصار

---

(1) الواقدي، 1/ 317-318.
(2) الواقدي، المغازي، 1/ 363-364.
(3) الواقدي، المغازي، 1/ 367-368.
(4) البلاذري، فتوح، 1/ 18-20.

وغلامه وكذلك أعانوا قريش يوم أحد ودلوهم على عورات المدينة، تحت كل هذه الأسباب يقول الواقدي إن الرسول عليه الصلاة والسلام بعث محمد بن مسلمة الأنصاري من الأوس حيث كانوا حلفاء لبني النضير. ليبلغهم أمر رسول الله (ﷺ): (أن أخرجوا من بلادي. لقد نقضتم العهد الذي جعلت بينكم بما هممتم به من الغدر بي، لقد اجلتكم عشراً فمن رؤي بعد ذلك ضربت عنقه)[1] ويحدثنا البلاذري عن ردهم فيقول: (فأبوا ذلك واذنوا بالمحاربة)[2].

وقد تحدثنا عند الحديث عن حركة المنافقين عن طبيعة العلاقة ما بين اليهود والمنافقين. وهذا الواقدي يحدثنا عن العلاقة ما بين اليهود عموماً وعبد الله بن سلول زعيم المنافقين على وجه الخصوص فيقول إن ابن أبي أرسل لهم قائلاً: (لا تخرجوا من دياركم وأموالكم. وأقيموا في حصونكم فإن معي ألفين ممن أطاعني من قومي وغيرهم من العرب يدخلون معكم حصونكم ويموتون عن أخرهم قبل أن يوصل إليكم[3] وتمدكم قريظة فإنهم لن يخذلوكم ويمدكم حلفاؤكم من غطفان[4] ويحدثنا الواقدي عن موقف يهود النضير تجاه اوامر الرسول عليه الصلاة والسلام بترك المدينة والخروج منها: (إذ اخذوا في التجهيز للحرب فرممت حصونها ونقلت إليها الحجارة وشحنتها بالمؤن والذخيرة يقول الواقدي وعدَّ رسول الله (ﷺ) هذا التحرك من جانب اليهود بالقول: (حاربت اليهود)[5]. ويضيف البلاذري بالحديث: (ثم أسرع الرسول عليه الصلاة والسلام فزحف إليهم فحاصرهم خمس عشرة ليلة)[6] وكان ذلك في شهر ربيع الأول من السنة الرابعة للهجرة وهم في قلاعهم وحصونهم وشدد عليهم الحصار واستماتوا وقاتلوا في الدفاع عن حصونهم حتى ظن المسلمون استحالة إخراجهم منها فأمر الرسول عليه الصلاة والسلام بقطع نخيلهم وتحريقها حتى يؤيسهم من المقاومة. كما حاول الرسول عليه الصلاة والسلام الحيلولة دون تقديم بن سلول أية مساعدة عسكرية لهم ولما يئس اليهود من تحقيق النصر يقول الواقدي: (ولما

(1) الواقدي، المغازي، 1/ 367.
(2) البلاذري، مفتوح، 1/ 18-20.
(3) الواقدي، المغازي، 1/ 368-270.
(4) الواقدي، المكان نفسه.
(5) الواقدي، المكان نفسه.
(6) البلاذري، فتوح، 1/ 18-20.

يئس اليهود من نصرة عبد الله لهم وأن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يتراجع عن موقفه تجاههم فطلبوا منه المصالحة على الجلاء لكل ثلاثة منهم بعير يحملون عليه ما شاؤوا من مال وطعام وشراب وليس لهم غيره[1] كما قدم لنا القرآن الكريم سورة رائعة عن كيفية إجلاء يهود النضير في سورة سماها الحشر ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝١ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ۝٢﴾ [الحشر: 1- 2]. يقول الواقدي وبموجب شروط الجلاء كان على يهود بني النضير التخلي عن مزارعهم وبيوتهم وأسلحتهم للرسول عليه الصلاة والسلام فغنم منهم خمسين درعاً وخمسين بيضة وثلاثمائة وأربعين سيفاً وذكر أنهم غيبوا عنه بعض سلاحهم وخرجوا به[2].

٣- إجلاء يهود بني قريظة عن المدينة:

ادرك اليهود الذين خرجوا من المدينة أن هدفهم لن يتحقق إلا بإقناع يهود بني قريظة بنقض عهدهم مع رسول الله (ﷺ) ولما كانت رغبة كفار مكة اجتياح المدينة والقضاء على الإسلام وجد اليهود فرصتهم سانحة لتحقيق أهدافهم بتشكيل جبهة جديدة ضد الرسول عليه الصلاة والسلام ودولته، فكان لا بد من العمل على دفع يهود قريظة إلى نقض عهدها مع رسول الله (ﷺ) فأوكلت المهمة إلى حيّي بن اخطب ويحدثنا الواقدي عن دوره في اقناع زعيم بني قريظة كعب بن أسد نقض عهده مع رسول الله (ﷺ) فيقول له (جئت بعز الدهر وببحر طام جئتك بقريش على قادتها وسادتهم حتى انزلتهم بمجمع الاسيال من رومة وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بجانب أُحد. وقد عاهدوني على أن لا يبارحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه. اجابه كعب والله لقد جئتني بذل الدهر وبجهام قد أهرق ماءه فهو يرعد ويبرق ليس فيه شيء ويحك يا حيي فدعني وما أنا عليه فإني لم أر من محمد إلا صدقاً ووفاء[3] فلم يزل حيي بكعب يختاله ويراوغه ويمنيه

---

(1) الواقدي، المغازي، 1/ 373. (2) الواقدي، المغازي1، / 377.

(3) الواقدي، المغازي، 2/ 454-457، الطبري، شارع، 2/ 517.

حتى اجابه لما أراد بعد أن يشترط عليه أنه إذا ما عادت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمداً دخل معه حصنه حتى يصيبه ما اصابه وعند ذلك قام كعب بنقض عهده مع الرسول عليه الصلاة والسلام.

إن نقض يهود بني قريظة عهدهم مع رسول الله (ﷺ) في هذه الفترة الحرجة خلق جواً يسوده الخوف والرعب، وكاد هذا الوضع يتسبب في القضاء على الإسلام ودولته في المدينة لولا عناية الله ﷻ وصمود المسلمين لمحنة الأحزاب حتى عبر القرآن الكريم عن هذا الوضع بأصدق حديث: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾ [الأحزاب: 10- 11] يحدثنا الواقدي عن الموقف الذي اتخذه رسول الله (ﷺ) تجاه يهود قريظة: (جاء جبريل عليه السلام إلى الرسول عليه الصلاة والسلام وسأله: أوقد وضعت السلاح يا رسول الله؟ اجاب الرسول عليه الصلاة والسلام: نعم فقال جبريل: فما وضعت الملائكة السلاح بعد. وما رجعت الآن إلا لأن أطلب القوم، إن الله ﷻ يأمرك يا محمد بالمسير إلى بني قريظة، فإني عامد إليهم فمزلزل بهم. فأمر الرسول عليه الصلاة والسلام مؤذنا يؤذن في الناس: (من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا ببني قريظة[1] فأسرع المسلمون إلى تلبية نداء الرسول عليه الصلاة والسلام على الرغم من الجهد والعناء الذي أصابهم أيام حصار الخندق.

يحدثنا الواقدي عن موقف يهود قريظة تجاه تحرك الرسول عليه الصلاة والسلام (حاول كعب بن أسد أن يغريهم بقتال المسلمين ولكن نفوسهم كانت قد ضعفت وقلوبهم خلعت.... ثم عرض عليهم أن يسلموا ويبايعوا الرسول عليه الصلاة والسلام ولكنهم رفضوا وصمموا على النزول على حكم الرسول عليه الصلاة والسلام ظناً منهم أن حلفاءهم الأوس لن يسلموهم إن أراد الرسول عليه الصلاة والسلام بهم شراً[2] وتحقيقاً لرغبة الأوس أمر الرسول عليه الصلاة والسلام أن يحكم اليهود من بني قريظة سيدهم سعد بن معاذ (رضي الله عنه) الذي كان قد

(1) الواقدي، المغازي، 2/ 496، البلاذري،الانساب، 1/ 347.

(2) الواقدي، المغازي، 2/ 512-513.

أصابه سهم أكحل من أحد فرسان قريش الذين هموا بعبور الخندق (ويحدثنا بن هشام فيقول: وحين رضوا بأن يحكم فيهم سعد بن معاذ وحين كلم الأوس سعداً في أن يحسن في مواليه قال: لقد آنى لسعد ألّا تأخذه في الله لومة لائم)[1] ثم قال: (إني أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسم الأموال وتسبى الذراري والنساء)[2] وفي ختام مسيرتنا بالحديث عن يهود الحجاز كما عرضته علينا كتب السير والمغازي. بقي لنا الحديث عن يهود خيبر وموقف الرسول (ﷺ) منهم وكيف يتعامل معهم.

من المعلوم لدينا أن يهود المدينة بعد أن تم إجلاؤهم جميعاً عن المدينة وعلى وجه الخصوص قبائل قينقاع والنضير وقريظة. اخذوا يتجمعون في خيبر واخذت هذه القوى تسعى من النيل من الإسلام ودولته ورسوله يحدثنا الواقدي عن دورهم في خيبر فيقول: (اتصل بعض اليهود بزعيمهم سلام بن مشكم وسألوه الرأي فأجابهم: نسير إلى محمد (ﷺ) بما معنا من يهود خيبر فلهم عدد ونستجلب يهود تيماء وفدك ووادي القرى ولا نستعين بأحد من العرب. فقد رأيتم في غزوة الخندق ما صنعت بكم العرب[3] ويستكمل الواقدي فيقول: (ثم نسير إليه في عقر داره[4] نقاتل على وتر حديث وقديم فقالت اليهود هذا الرأي فرد كنانة عن أبي الحقيق قائلاً: إني قد خبرت العرب فرأيتهم أشد عليه وحصوننا هذه ليست مثل ما هناك. ومحمد لا يسير إلينا أبداً لما يعرف[5] وهكذا فشل زعماء اليهود في خيبر من الاتفاق على مباداة الرسول عليه الصلاة والسلام في الهجوم عليه وبذلك بقي زمام المبادرة في يد الرسول عليه الصلاة والسلام.

غير أن مقاتلة يهود خيبر وحلفائهم لم يكن بالأمر السهل والواقدي يصف لنا خيبر فيقول: (تبعد عن المدينة بحوالي مائة ميل باتجاه الشمال وهي مدينة غنية بمزروعاتها من النخيل والحبوب ولدى أهلها عدد كبير من الحصون المنيعة التي

---

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 258-260.

(2) الواقدي، المكان نفسه، ابن هشام، المكان نفسه.

(3) الواقدي، المغازي، 2/ 530-531.

(4) الواقدي، المكان نفسه، السهيلي، الروض الآنف، 4/ 84.

(5) الواقدي، المكان نفسه، المكان نفسه.

يصعب اختراقها[1] فضلاً عن عدد من الرجال المقاتلين قدروا (بعشرة آلاف مقاتل)[2] يحدثنا الواقدي في رواية مهمة له عن دور الرسول (ﷺ) في تعبئة قواته لمهاجمة يهود خيبر فقال لأصحابه عليه الصلاة والسلام: (لا تخرجون معي إلا راغبين في الجهاد، فأما الغنيمة فلا)[3] وبذلك استطاع عليه الصلاة والسلام من أن يعد قوة مقاتلة من المسلمين هدفها الأول الجهاد وكان عددهم حوالي ألف وأربعمائة مقاتل[4] كانت سياسة الرسول عليه الصلاة والسلام العسكرية تجاه يهود خيبر هو مباغتتهم ومفاجئتهم ولذا صحب معه دليلين ليرشداه إلى الطريق وحاول أن يقطع المسافة الفاصلة بين المدينة وخيبر بسرعة قياسية فقطعها بثلاثة أيام فلم تكد خيبر تحس بهم أثناءها حتى باتوا أمام حصونها[5] فجراً حيث كان اهلوها ورجالها قد خرجوا إلى مزارعهم بمساحيهم ومكاتلهم، فلما رأوا الرسول عليه السلام يقود جيش المسلمين تمالكهم الخوف والرعب. ونادوا (محمد والخميس) وهربوا لائذين بحصونهم وعبؤوا أنفسهم لحصار طويل فنادى الرسول عليه الصلاة والسلام ملقياً مزيداً من الرعب في قلوبهم (الله أكبر خربت خيبر أنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين)[6].

يحدثنا بن هشام عن الاستعدادات العسكرية التي اتبعها الرسول عليه الصلاة والسلام في خيبر وعسكر الرسول عليه الصلاة والسلام والمسلمين معه بوادٍ يقال له الرجيع وقد اختار موقعاً لقواته حيث يفصل بين خيبر وغطفان (ليحول بينهم وبين أن يمدوا أهل خيبر وكانوا لهم مظاهرين على رسول الله (ﷺ)[7] ويضيف ابن إسحاق في مقطع آخر فيقول: (إن غطفان لما سمعت بمنزل الرسول عليه الصلاة والسلام في خيبر جمعوا له. ثم خرجوا ليظاهروا عليه حتى إذا ساروا منقله سمعوا خلفهم في أموالهم وأهلهم حساً ظنوا أن القوم قد خالفوا إليهم فرجعوا على اعقابهم فقاموا في أهليهم وأموالهم وخلوا بين رسول الله (ﷺ) وبين

(1) الواقدي، المغازي، 2/ 232-235.
(2) الواقدي، المكان نفسه.
(3) الواقدي، المكان نفسه.
(4) الواقدي، المكان نفسه.
(5) الواقدي، المكان نفسه، الطبري، تاريخ، 3/ 9-10.
(6) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 398-400.
(7) ابن هشام، المكان نفسه، السهيلي، المكان نفسه.

خيبر[1] ويقول بن هشام: إن يهود خيبر كانوا قد وعدوا غطفان بالوقوف إلى جانبهم لقاء نصف ثمار خيبر لذلك العام[2] يحدثنا الواقدي بأن الرسول عليه الصلاة والسلام: قام بهجوم مباشر على حصن القموص وتوجهت بعض الفصائل لمشاغلة حصون النطاة وكانت في موقع مرتفع نوعاً ما بالنسبة إلى قوات المسلمين مما مكن اليهود المدافعين من إصابة حوالي خمسين من المهاجمين المسلمين بجراح النبال التي صوبوها تجاههم وباستشارة من الحباب بن المنذر غير الرسول عليه الصلاة والسلام موقع قواته وجعلها بعيدة عن مرمى المدافعين اليهود من بعد أن سترهم الليل بظلامه[3] لقد اتسم قتال الرسول عليه الصلاة والسلام والمسلمين معه ضد حصون خيبر المنيعة بالشدة والاستبسال من جانب الطرفين غير أن اصرار المسلمين على تحقيق أهدافهم راحت حصون خيبر الممتدة في المنطقة على شكل سلاسل والمنقسمة إلى ثلاث مناطق هي النطاة والشق والكتيبة ويدافع عنها زهاء عشرة آلاف مقاتل من يهود خيبر[4] تسقط بأيدي المسلمين حصناً حصناً وكان اولها سلاسل حصون ناعم والقموص وراح عدد من المدافعين عنها يتسللون هاربين من حصنهم واتصل بعضهم بالرسول عليه الصلاة والسلام ودلوه على نقاط الضعف في مواقع اليهود[5] واستمر القتال بين الطرفين قرابة شهر مما اضطر اليهود في نهايتها إلى طلب الصلح من الرسول عليه الصلاة والسلام فوافق على ذلك[6] بعد أن تكبد اليهود العديد من الخسائر في الأرواح ثلاثة وتسعين قتيلاً أما خسائر المسلمين فكانت خمسة عشر شهيداً[7].

وجاء في شروط الصلح التي حدثنا بها الواقدي والتي تمت ما بين الرسول عليه الصلاة والسلام ويهود خيبر أن منحت الرسول حق إجلائهم عن خيبر وهذا الشرط نص (فإننا إن شئنا أن نخرجكم أخرجناكم)[8].

---

(1) الواقدي، المغازي، 2/ 650-651.

(2) ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 398-410.

(3) الواقدي، المغازي، 2/ 642.

(4) الواقدي، المكان نفسه.

(5) للمزيد ينظر الواقدي، المغازي، 2/ 640-645.

(6) الواقدي، المغازي، 2/ 645.

(7) الواقدي، المغازي، 2/ 700.

(8) الواقدي، المغازي، 2/ 643، السهيلي، الروض الآنف، 4/ 88.

وكانت غنائم خيبر عظيمة جداً وقد روى أصحاب المغازي روايتين فيها الأولى (يقول إن الرسول (ﷺ) خمسها وقسمها فجعل أربعة أخماسها بين الذين فتحوها خاصة وجعل الخمس لمن سمى الله تبارك وتعالى أما الثانية فتقول: إن رسول الله (ﷺ) لما أفاء الله عليه خيبر قسمها ستة وثلاثين سهماً جمع كل سهم منها مائة سهم وعزل نصفها لنوائبه وما ينزل به وقسم النصف الباقي بين المسلمين[1] ومن الأحداث المهمة في مسيرة الرسالة هي إجلاء اليهود عن المدينة والتي تحدث عنها أصحاب الصحاح بشكل طيب وقدموا لنا روايات دقيقة عن أحداث تلك القبائل اليهودية داخل المدينة وكيف التعامل معها على ضوء التزامها بالعهود والمواثيق التي قطعوها على أنفسهم مع رسول الله (ﷺ) وبقي لنا الحديث عن يهود خيبر. فلقد أفرد أصحاب الصحاح لهم باباً خاصاً وهذا الإمام مسلم (رحمه الله) يتحدث عنهم في باب خاص سماه (باب غزوة خيبر) وفعل الإمام البخاري (رحمه الله) من قبله، يحدثنا الإمام مسلم فيقول: وحدثني زهير ابن حرب حدثنا إسماعيل (يعني بن عليّة) عن عبد العزيز بن صهيب: عن أنس أن رسول الله (ﷺ) غزا خيبر. قال: فصلينا صلاة الغداة بغلس فركب النبي (ﷺ) وركب أبو طلحة وأنا رديف أبي طلحة، فأجرى نبي الله (ﷺ) في زقاق خيبر وأن ركبتي لتمس فخذ نبي الله (ﷺ) وانحسر الأزار عن فخذ نبي الله (ﷺ) وإني لأرى بياض فخذ نبي الله (ﷺ) فلما دخل القرية قال: (الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين) قالها ثلاث مرات. قال: وقد خرج القوم إلى أعمالهم فقالوا: محمد قال عبد العزيز: وقال بعض أصحابنا: والخميس، قال: وأصبناها عنوة[2] وفي رواية أخرى يقول الإمام مسلم (رحمه الله) حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عفان، حدثنا الإمام بن سلمة حدثنا ثابت: عن أنس قال: كنت ردف أبي طلحة يوم خيبر وقدمي تمس قدم رسول الله (ﷺ) قال: فأتيناهم حين بزغت الشمس. وقد أخرجوا مواشيهم وخرجوا بفؤوسهم ومكاتلهم ومرورهم. فقالوا: محمد والخميس قال: قال رسول الله (ﷺ): (خرجت خيبر إنا إذا نزلنا

---

(1) ينظر الواقدي، المغازي، 2/ 650، والديار بكري، تاريخ الخميس 2/ 56.

(2) أخرجه الإمام مسلم في باب غزوة خيبر (120-1365).

بساحة قوم فساء صباح المنذرين) قال: فهزمهم الله ﷻ[1].

ولقد عرض الإمام البخاري (رحمه الله) في صحيحه في باب سماه باب غزوة خيبر أحداثاً مطولة ومفصلة عن هذه الغزوة المباركة فيقول حدثنا عبد الله بن مسلمة: عن مالك عن يحيى بن سعيد عن بشير بن يسار: أن سويد بن النعمان أخبره: أنه خرج مع النبي (ﷺ) عام خيبر حتى إذا كنا بالصهباء وهي من ادنى خيبر صلى العصر ثم دعا بالأزواد فلم يؤت إلا بالسويق. فأمر به فثري، فاكل وأكلنا. ثم قام إلى المغرب. فمضمض ومضمضنا ثم صلى ولم يتوضأ[2] وفي رواية أخرى يحدثنا الإمام البخاري فيقول: أخبرنا صدقة بن الفضل أخبرنا بن عيينة حدثنا أيوب. عن محمد بن سيرين عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: صحبنا خيبر بكرة فخرج أهلها بالمساحي. فلما بصروا بالنبي (ﷺ) قالوا: محمد والله محمد، محمد والخميس. فقال: النبي (ﷺ): الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين فأصبنا من لحوم الحمر. فنادى منادي النبي (ﷺ): (أن الله ورسوله ينهاكم عن لحوم الحمر فإنها رجس)[3].

وفي رواية أخرى يحدثنا الإمام البخاري فيقول: حدثنا سليمان بن حرب: حدثنا بن زيد عن ثابت، عن أنس (رضي الله عنه) قال: صلى النبي (ﷺ) الصبح قريباً من خيبر بغلس. ثم قال: (الله أكبر خربت خيبر. إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين) فخرجوا يسعون في السكك. فقتل النبي (ﷺ) المقاتلة وسبى الذرية. وكان في السبي صفية فصارت إلى دحية الكلبي. ثم صارت إلى النبي (ﷺ) فجعل عتقها صداقها[4] ويقول وحدثنا آدم: حدثنا شعبة عن عبد العزيز بن صهيب قال: سمعت أنس بن مالك (رضي الله عنه) يقول: سبى النبي (ﷺ) صفية فأعتقها وتزوجها[5] وفي رواية مهمة يحدثنا الإمام البخاري عن فتح خيبر يقول: حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن أبي حازم قال: اخبرني سهل بن سعد أن

---

(1) أخرجه الإمام مسلم في باب غزوة خيبر (121-1365).

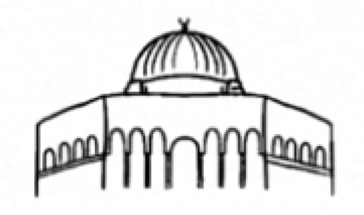
(2) أخرجه الإمام البخاري في باب غزوة خيبر (4195).

(3) أخرجه الإمام البخاري في باب غزوة خيبر (4198).

(4) أخرجه الإمام البخاري في باب غزوة خيبر (4200).

(5) أخرجه الإمام البخاري في باب غزوة خيبر (421).

رسول الله (ﷺ) قال يوم خيبر: (لأعطين هذه الراية غدا رجلاً يفتح الله عليَّ يديه. يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله) قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم ايهم يعطاها. فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله (ﷺ) كلهم يرجو أن يعطاها. فقال: (أين علي بن أبي طالب) فقيل: هو يا رسول الله يشتكي عينيه قال: (فأرسلوا اليه) فأتي به فبصق رسول الله (ﷺ) في عينيه ودعا له. فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع. فأعطاه الراية. فقال عليٌّ: يا رسول الله، اقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: (انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم. ثم ادعهم إلى الإسلام. واخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه. فو الله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم[1] وفي رواية أخرى يحدثنا الإمام البخاري فيقول: (حدثنا الحسن ابن إسحاق حدثنا محمد بن سابق: حدثنا زائدة عن عبيد الله بن عمر بن نافع عن بن عمر (رضي الله عنهما) قال: قسم رسول الله (ﷺ) يوم خيبر للفرس سهمين وللراجل سهما[2].



اللهم نجِّ المستضعفين من المؤمنين في
كل مكان، اللهم الطف بِ أمة نبيِّك
محمد ﷺ وارحمها وفرِّج كربتها

(1) أخرجه الإمام البخاري في باب غزوة خيبر (4210) ينظر الإمام مسلم، باب فضائل الصحابة، (2406) نفس الرواية.
(2) أخرجه الإمام البخاري في باب غزوة خيبر (4228).



ما جاء في باب بيان عدد عُمر النبي وزمانهن

من الأمور المهمة والتي لم يغفل عنها أصحاب الصحاح هي الحديث عن عدد عُمرات الرسول (ﷺ) ففي صحيح مسلم (رحمه الله) وفي هذا الباب يحدثنا: حدثنا هداب بن خالد. حدثنا همام حدثنا قتادة: أن أنساً أخبره: أن رسول الله (ﷺ) اعتمر أربع عُمر كلهن في ذي القعدة وعُمرة من العام المقبل في ذي القعدة وعُمرة من جعرانة حيث قسم غنائم حنين في ذي القعدة وعُمرة مع حجته[1] ويضيف في مقطع آخر حدثنا محمد بن المثني حدثني عبد الصمد حدثنا همام حدثنا قتادة قال: سألت انساً كم حج رسول الله (ﷺ) قال: حجة واحدة واعتمر أربع عُمر ثم ذكر بمثل حديث هداب[2].

وذكرها الإمام البخاري (رحمه الله) في صحيحه في باب كم اعتمر النبي (ﷺ) يقول: حدثنا حسان بن حسان: حدثنا همام عن قتادة: سألت انساً (رضي الله عنه) كم اعتمر النبي (ﷺ) قال: اربعا: عُمرة الحديبية في ذي القعدة حيث صده المشركون وعُمرة من العام المقبل في ذي القعدة حيث صالحهم وعمرة الجعرانة إذ قسم غنيمة اراه حنين قلت كم حج؟ قال: واحدة[3].

ولم يذكر أصحاب المغازي والسير شيئاً عن عدد عُمرات الرسول (ﷺ) بل جاءت عندهم في ثنايا الحديث عن سيرته (عليه الصلاة والسلام).

---

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب بيان عمر النبي (217-1253).

(2) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب بيان عمر النبي (217-1253).

(3) أخرجه الإمام البخاري في باب كم اعتمر النبي (1778).

وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام

لم يذكر أصحاب الصحاح السنة التي توفي فيها رسول الله (ﷺ) غير أنهم ذكروا في معرض حديثهم في باب كفن الميت روايات عن الكفن الذي كفن به رسول الله (ﷺ) فهذا الإمام مسلم يحدثنا عن ذلك في هذا الباب فيقول حدثنا يحيى بن يحيى وأبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب (واللفظ ليحيى) قال: يحيى أخبرنا وقال الآخران: حدثنا معاوية عن هشام وابن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: كفن رسول الله (ﷺ) في ثلاثة أثواب بيض سحولية من كرسف ليس فيها قميص ولا عمامة أما الحلة فإنما شبه على الناس فيها. أنها اشتريت له ليكفن فيها فتركت الحلة وكفن في ثلاثة أثواب بيض سحولية فاخذها عبد الله بن أبي بكر فقال: لأحبسنها حتى أكفن فيها نفسي ثم قال: لو رضيها الله ﷻ لنبيه لكفنه فيها. فباعها وتصدق بثمنها[1].

وفي رواية ثانية يقول الإمام مسلم وحدثني عليُّ بن حجر السعدي أخبرنا عليُّ بن سهر حدثنا هشام بن عروة عن أبيه: عن عائشة قالت أدرج رسول الله (ﷺ) في حلة يمنية كانت لعبد الله بن أبي بكر. ثم نزعت عنه وكفن في ثلاث أثواب سحولية يمانية. ليس فيها عمامة ولا قميص فرفع عبد الله الحلة فقال: أكفن فيها. ثم قال: لم يكفن فيها رسول الله (ﷺ) واكفن فيها فتصدق بها[2].

ولقد ذكر الإمام البخاري (رحمه الله) في صحيحه في باب: الثياب البيض للكفن يقول: حدثنا محمد بن مقاتل: أخبرنا عبد الله: أخبرنا هشام بن عروة. عن أبيه عن عائشة (رضي الله عنها) أن رسول الله (ﷺ) كفن في ثلاثة أثواب يمانية بيض سحولية من كرسف. ليس فيهن قميص ولا عمامة[3].

---

(1) أخرجه الإمام مسلم في باب كفن الميت (45-941).

(2) أخرجه الإمام مسلم في باب كفن الميت (46-941).

(3) أخرجه الإمام البخاري في باب الثياب البيض (1264).

ولأصحاب المغازي والسير حديث مطول عن وفاة الرسول (ﷺ) فجعلوها في باب جهاز رسول الله (ﷺ) ودفنه في حديث مطول وفي من تولى غسل الرسول: يحدثنا الإمام السهيلي فيقول[1]: قال ابن إسحاق: فلما بويع أبو بكر (رضي الله عنه) اقبل الناس على جهاز رسول الله (ﷺ) يوم الثلاثاء عبد الله بن أبي بكر وحسين بن عبد الله وغيرهما من أصحابنا: أن علي بن أبي طالب والعباس ابن عبدالمطلب والفضل بن العباس وقثم بن العباس وأسامة بن زيد وشقران مولى رسول الله (ﷺ) هم الذين ولوا غسله وأن أوس بن خولي أحد بني عوف بن الخزرج قال لعلي بن أبي طالب: أُنشدك الله يا علي وحظنا من رسول الله (ﷺ) وكان أوس من أصحاب رسول الله (ﷺ) وأهل بدر، قال: ادخل فدخل فجلس وحضر غُسل رسول الله (ﷺ) فأسنده علي بن أبي طالب إلى صدره. وكان العباس والفضل وقثم يقبلونه معه وكان أسامة بن زيد وشقران مولاه هما اللذان يصبان الماء عليه وعلي يغسله قد أسنده إلى صدره وعليه قميصة يدلكه به من ورائه لا يفضي بيده إلى رسول الله (ﷺ)وعلي يقول: بأبي أنت وأمي، ما أطيبك حياً وميتاً ولم ير من رسول الله (ﷺ) شيء مما يرى من الميت[2].

وفي رواية لأصحاب المغازي حول تكفين الرسول يحدثنا ابن إسحاق فيقول: فلما فرغَ من غسل رسول الله (ﷺ) كفن في ثلاثة أثواب ثوبين صحاريين وبردة حبرة، أدرج فيها إدراجاً. كما حدثني جعفر بن محمد بن علي بن الحسين، عن أبيه عن جده علي بن الحسين والزهري عن علي بن الحسين[3].

وحول حفر القبر يحدثنا ابن إسحاق فيقول: وحدثني حسين بن عبد الله عن عكرمة، عن بن عباس قال: لما أرادوا أن يحفروا لرسول الله (ﷺ) وكان أبو عبيدة بن الجراح يضرح كحفر أهل مكة وكان أبو طلحة زيد بن سهل هو الذي يحفر لأهل المدينة. فكان يلحد فدعا العباس رجلين. فقال لأحدهما: اذهب إلى أبي عبيدة بن الجراح. والآخر اذهب إلى أبي طلحة. اللهم خِر لرسول الله فوجد صاحب أبي طلحة أبا طلحة فجاء به فلحد لرسول الله (ﷺ).

---

(1) للمزيد حول هذا الموضوع ينظر الروض الآنف، 4/ 472-474.

(2) المكان نفسه. (3) المكان نفسه.

وفي رواية أخرى لأصحاب المغازي والسير والذين افردوا لهذا الموضوع أهمية كبيرة جداً وهم على عكس أصحاب الحديث الذي جهدوا بالاختصار بالحديث عن هذا الموضوع.

فعند حديثهم عن دفن رسول الله (ﷺ) يقول الإمام السهيلي (رحمه الله): (فلما فرغ من جهاز رسول الله يوم الثلاثاء، وضع في سريره في بيته، وقد كان المسلمون اختلفوا في دفنه فقال قائل: ندفنه في مسجده وقال قائل بل ندفنه مع أصحابه، فقال أبو بكر: إني سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: (ما قبض نبي إلا دفن حيث يقبض) فرفع فراش رسول الله الذي توفي عليه، فحفر له تحته. ثم دخل الناس على رسول الله (ﷺ) يصلون عليه ارسالاً دخل الرجال، حتى فرغوا أدخل النساء حتى إذا فرغ النساء ادخل الصبيان. ولم يؤم الناس على رسول الله (ﷺ) أحد. ثم دفن رسول الله من وسط الليل ليلة الأربعاء[1].

وفي رواية لابن إسحاق عن من تولى دفن رسول الله يقول: (وكان الذين نزلوا في قبر رسول الله (ﷺ) علي بن أبي طالب، والفضل بن عباس، وقثم بن عباس، وشقران مولى رسول الله (ﷺ)[2].

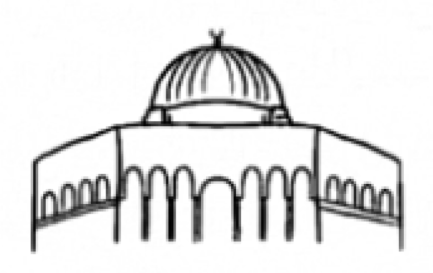
ولأصحاب المغازي والسير روايات مطولة حول هذا الموضوع يصعب حصرها إلا أننا نختتم حديثنا برواية عرضها السهيلي نقلاً عن ابن إسحاق عن افتتان المسلمين بعد موت الرسول (ﷺ) فيقول: (ولما توفي رسول الله عظمت به مصيبة المسلمين فكانت عائشة فيما بلغني تقول لما توفي رسول الله ارتدت العرب واشرأبت اليهود والنصرانية ونجم النفاق وصار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية لفقدهم نبيهم (ﷺ) حتى جمعهم الله على أبي بكر (رضي الله عنه)[3].

مما سبق بيانه عمّا عرضه أصحاب الصحاح والسنن عند حديثهم عن وفاة الرسول (ﷺ) وجدناهم اختصروا الموضوع إلى حد معين وفيما يتعلق بالمسائل الفقهية حصراً. وكانت رواياتهم جداً مقتضبة في حين وجدنا الإسهاب والتطويل عند أصحاب المغازي والسير منهم قدموا للقارئ كل ما يتعلق بهذا الحدث

(1) حول ذلك ينظر الروض الآنف، 4/ 478-481.

(2) المكان نفسه. (3) المكان نفسه.

الجلل من صغير أو كبير وبشكل علمي منهجي لطيف ممتع مقنع بعيد عن المغالطة والتهويل في عرضهم اطالة إلا أنها سليمة جيدة يستطيع القارئ من خلالها التعايش مع الحدث بكل جوارحه وحواسه وعواطفه وكأنه حاضر فيه.



اللهم نجِّ المستضعفين من المؤمنين في كل مكان ، اللهم الطف بِ أمة نبيِّك محمد ﷺ وارحمها وفرِّج كربتها

لا غالب إلا الله



الخاتمة

بعد الحمد لله والثناء عليه والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آل بيته الأطهار الأخيار وأصحابه أجمعين نقول:

بعد هذا العرض المسهب للسيرة النبوية عند الإمام مسلم (رحمه الله) مقارنة مع ما قدمه الإمام البخاري وهو سابق له وأصحاب المغازي والسير وفي مقدمتهم ابن إسحاق وابن هشام والسهيلي. يمكننا أن نسجل الملاحظات الآتية:

1. إن أصحاب الحديث وفي مقدمتهم الإمام مسلم (رحمه الله) في صحيحه كان متوافقاً إلى حد كبير مع الإمام البخاري (رحمه الله) في صحيحه ما عدا بعض الاختلافات التي لا تشكل قدراً كبيراً من الاختلاف.
2. كما أن أصحاب الحديث عرضوا قضاياهم في السيرة النبوية بشكل مختصر جداً وفيما يتعلق فقط بالقضايا الفقهية ذات العلاقة بالتشريعات الخاصة بأحوال المسلمين. فلم يكونوا مسهبين في عرض أحداث السيرة النبوية إلا بحدود ما يتعلق بالقضايا الفقهية أو الشرعية ذات العلاقة بأحوال السنة النبوية.
3. كما أن أصحاب الحديث قدموا رواياتهم عن السيرة في أبواب عديدة وحسب الأبواب الفقهية ذات العلاقة بالحديث النبوي (أي السُّنة) وتجنبوا الخوض في التفاصيل والسرد الممل للأحداث لأن هدفهم هو ليس عرضاً لأحداث السيرة بل هو عرض لوقائع القضايا الفقهية ذات العلاقة بحياة المسلم والأمة الإسلامية على مستقبل العصور والأزمان.
4. أما أصحاب السير والمغازي وجدناهم لا يختلفون مع أصحاب الحديث في عرض بعض مفاصل السيرة بل أحياناً كبيرة كانوا يتوافقون معهم وتتطابق رؤياهم للأحداث بشكل كبير قلما وجدنا تناقض أو اختلاف بينهما وخصوصاً في طرح المسائل العامة.

5. إن أصحاب المغازي والسير على الرغم من أنهم استندوا في عرض رواياتهم على اسانيد ضعيفة أو مبتورة أو يتخللها رواة هم عند علماء الحديث هم بدرجة الضعفاء إلا أنها كانت جديرة بالتقديم كرواية جيدة.

6. إن الاختلاف الحقيقي ما بين أصحاب الحديث وأصحاب السير والمغازي هو إسناد الرواية وصحتها، فلقد دخل روايات أصحاب المغازي والسير عددٌ من الروايات التي لا ترتقي إلى مستوى الصحة. على عكس أصحاب الحديث التي كانت جميع رواياتهم ترتقي أي درجة القطعية والسبب في ذلك هو أن علم الجرح والتعديل الذي عدل به أصحاب الحديث رواياتهم لم يكن قد ظهر أساساً عند أصحاب المغازي بالعديد منهم كتب أحداث السيرة في نهايات القرن الأول للهجرة مما أدى ذلك إلى دخول العديد من الروايات الفاسدة إلى مقاطع السيرة النبوية وأصبحت جزءاً منها. في حين نرى أن أصحاب الحديث اخضعوا كل رواياتهم وجميعها لعلم الجرح والتعديل بل إن البعض منهم لا سيما الإمام البخاري والإمام مسلم (رحمهما الله) وضعوا شروطاً لأخذ الرواية فجاءت مروياتهم صحيحة وعدها عموم المسلمين سليمة، فلو كان هذا العلم موجوداً عند أصحاب السير والمغازي وفي عصرهم واخضعوا رواياتهم له لجاءت صحيحة وسليمة ولتخلصنا نهائياً من تلك المرويات الفاسدة.

7. وتعقيباً على ما سبق من دخول روايات فاسدة أو سقيمة إلى مفاصل السيرة النبوية لا بد من القول إن سبب ذلك هو أن أحداث السيرة النبوية كتبت بعد أكثر من قرنين من الزمان على وقوع الحدث وعندما كتبت الأحداث كتبت في عصر امتاز بظهور الكذابين والمدلسين والفسقة وأصحاب الفرق السياسية وأصحاب القصص التأريخية في غياب كامل آنذاك لعلم الجرح والتعديل ولهذا حصل هناك فرق ما بين مرويات أصحاب الحديث وأصحاب المغازي والسير التي كانت وما زالت تعاني مروياتها من دخول روايات فاسدة وغير مقبولة يصعب التخلص منها.

8. من خلال هذا العرض لكلا مرويات أصحاب الحديث (الصحاح والسنن) وأصحاب المغازي والسير، نقول إن أصحاب المغازي والسير كانت لهم

القدرة الكبيرة على عرض أحداث السيرة بشكل ينسجم مع روح الأحداث أو ما يسمى عند أهل التاريخ (القدرة على تعايش الحدث) فالقارئ لسيرة الرسول (عليه الصلاة والسلام) عندهم يجد المتعة الكبيرة والسمو الروحي المفعم بالحيوية ومحبة الرسول (ﷺ). والعشق لها.

9. امتاز أصحاب السير والمغازي بالقدرة الكبيرة على تحقيق وحدة الموضوع أي التسلسل الزمني لأحداث السيرة على عكس أصحاب الحديث التي كانت مروياتهم للسيرة النبوية تعتمد على عرض أحداث السيرة وفق القضايا الفقهية وهذا بحد ذاته اضاع منها متعة السمو الروحي لأحداث السيرة النبوية وجعلها علماً فقهياً صرفاً بحتاً يصعب فهمها عند عامة الناس.

10. على الرغم من أن أصحاب الصحاح تناولوا أحداث السيرة النبوية من وجهة فقهية، إلا أنهم كانوا غير قادرين على إيصال السيرة النبوية بروحية المؤرخ أو القصاص وهذا جعل كثيراً من الناس العدول عن قراءتها عندهم.



لَا غَالِبَ إِلَّا اللَّه





اللهم نجِّ المستضعفين من المؤمنين في
كل مكان ، اللهم الطف بِ أمة نبيِّك
محمـد ﷺ وارحمها وفـرّج كربتها

قائمة بالمصادر والمراجع المستخدمة في الدراسة

* القرآن الكريم.

1- الإصابة في تمييز الصحابة (طبعة بيروت: 1328هـ)، الإمام أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت: 852 هـ).

2- أنساب الأشراف، تحقيق: د. محمد حميد الله (طبعة دار المعارف، مصر: 1958م).

أحمد بن يحيى بن بلاذر (ت: 279 هـ).

3- تاريخ الإسلام، تحقيق: مصطفى عبد القادر، ط1، (بيروت 1426 هـ/ 2005م).

أبو عبد الله: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت: 748هـ).

4- تفسير القرآن العظيم، علق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، ط1، (دمشق: 1425هـ/ 2004م).

عماد الدين أبو الفداء: إسماعيل بن كثير (ت: 774هـ).

5- تهذيب الكمال في أسماء الدجال، ط1، (دام: 1425هـ/ 2004م)، أبو الحجاج، جمال الدين يوسف الزي (ت:).

6- الروض الآنف ومعه السيرة النبوية لابن هشام. تحقيق: عبد الله المنشاوي، ط1، القاهرة: 1429هـ/ 2008م).

أبو القاسم عبد الرحمن الخثعمي السهيلي (ت: 581هـ).

7- زاد المعاد في هدي خير العباد، ط1، (القاهرة: 1429 هـ/ 2008م). مع طبعة 1928 برعاية محمد محمد عبد اللطيف. شمس الدين عبد الله محمد ابن أبي بكر قيم الجوزية (ت: 751 هـ).

8- السيرة والمغازي، تحقيق: د.سهيل زكار، طبعة دار الفكر، القاهرة: د.ت).

محمد ابن إسحاق بن يسار المطلبي، (ت 151هـ).

9- السيرة النبوية، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط1، (القاهرة: طبعة دار الفكر، د.ت).

10- السيرة النبوية، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، ط1، (بيروت: 1414هـ/ 2004م).

محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي.

11- السيرة برواية الإمام البخاري، ط1، (موصل/ 2011م).

أ. د. هاشم هادي.

12- صحيح الإمام مسلم بشرح الإمام النووي المعتني به: محمد بن عيادي بن عبد الكريم، ط1، (القاهرة: 1424هـ/ 2003م).

الإمام محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف الدين (ت 676هـ).

13- الوجيز في السيرة النبوية، ط1، (موصل: 2009م).

أ. د. رياض هاشم هادي.

14- فيات الأعيان، تحقيق: د. يوسف على الطويل، ط1، (بيروت: 1391هـ/ 1998م).

أبو العباس: أحمد محمد بن إبراهيم بن أبي بكرى خلكات، (ت:).

15- المغازي، تحقيق: د. مارسدن جؤنس، ط1، (طبعة عالم الكتب، بيروت، د.ت).

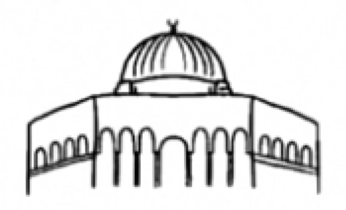
محمد بن عمر بن واقد (ت: 207هـ).

16- مناهج التأليف في السيرة النبوية، ط1، (دمشق: 2000م). محيي الدين مستو.





فهرس المحتويات

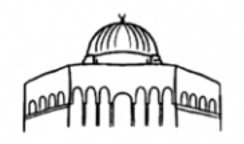


اللهم نجِّ المستضعفين من المؤمنين في
كل مكان ، اللهم الطف بِ أمة نبيِّك
محمد ﷺ وارحمها وفرِّج كربتها



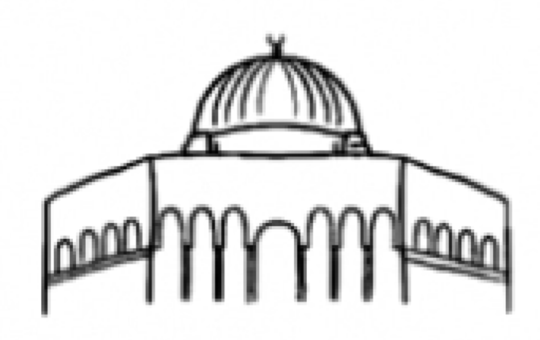
AS-SĪRA AN-NABAWIYYA
BIRIWĀYAT AL-'IMĀM MUSLIM

BY
DR. RIYADH HASHIM HADI



اللهم نجِّ المستضعفين من المؤمنين في
كل مكان ، اللهم الطف بِ أمة نبيِّك
محمد ﷺ وارحمها وفرّج كربتها





اللهم نجِّ المستضعفين من المؤمنين في
كل مكان ، اللهم الطف بِ أمة نبيِّك
محمـــد ﷺ وارحمها وفـــرِّج كربتها

لا غالِبَ إلاّ الله

السيرة النبوية
برواية الإمام مسلم

إن المشكلة في كتابات أهل السنن والصحاح، هي تناثر الروايات المتعلقة بحياة رسول الله ﷺ على أبواب عدّة، وأوردوها حسب الحاجة الفقهية إليها، مما يجعل القارئ لسيرة الرسول ﷺ، يقرأ كل صحيحي البخاري أو مسلم رحمهما الله من أجل الاطلاع على الروايات ذات العلاقة بسيرة الرسول ﷺ.

وإن ما كتبه الإمام مسلم رحمه الله في سيرة الرسول ﷺ، يأتي بعد ما كتبه الإمام البخاري رحمه الله، إذ إن صحيحه من أفضل كتب أصحاب السنن، حيث خصّص كتابًا سماه المغازي، ثم أفرد أبوابًا في ذلك واعتمد في عرض مادته على الرواية السليمة، وأخضعها إلى علم الجرح والتعديل، حالها حال الروايات الأخرى التي جمعها في صحيحه، إلا أنها كانت متداخلة مع مواضيع أخرى، يصعب على القارئ العامي الاطلاع عليها والبحث فيها، فكان لا بدّ من العمل على جمع هذه الروايات، وهذا ما قام به المعدّ لكتابنا هذا، فقد أفردها بكتاب خاص بها، وأطلق عليه اسم **"السيرة النبوية برواية الإمام مسلم"**.

اللهم نجِّ المستضعفين من المؤمنين في كل مكان ، اللهم الطف بِ أمة نبيّك محمد ﷺ وارحمها وفرّج كربتها



ISBN: 978-2-7451-8470-2

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

هاتف 12/ 11/ 804810 5 961+
فاكس 804813 5 961+
ص.ب 9424 - 11 بيروت - لبنان
رياض الصلح - بيروت 2290 1107

info@al-ilmiyah.com
e-mail: sales@al-ilmiyah.com

دار الكتب العلمية
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKI www.al-ilmiyah.com